

أبو كاسيس

قيامة أسرار المروءة

د. علي مغنم



ن للنشر و التوزيع

الكتاب: أبو كاليبس
المؤلف: علي مغنم
تصميم الغلاف: رويدة طه
رقم الإيداع: 2023/26166
الترقيم الدولي: 978-977-778-350-7
الطبعة الأولى: 2024

20 عمارات منتصر - الهرم - الجيزة

02-35860372 - ت

info@noonpublishing.net

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناسر





خريطة
بلاد بين النهرين

ترتبط بلاد ما بين النهرين لعالم البشر بعالمين آخرين موازيين: عالم علوي سماوي وآخر سفلي يسمى جحيم (إرالو) البابلي. بشكل عام فإن كل حضارة بشرية ترتبط بدورها بعالمين موازيين أحدهما علوي والآخر سفلي. التسمية مجازية؛ فالعالم الثلاثة تقع في نفس الحيز الأثيري ولكن بترددات جسدية مختلفة تجعل كل عالم لا يرى الآخر إلا بشروط معينة أو عبر بوابات محدودة سرية. تفصل بين كل عالم وقريته حواجز الدهر، وهي ساتر أزلي غير مرئي ولكنه فعال، يمنع اختلاط العوالم ببعضها البعض.

فيما يتعلق بمملكة (بابل) السماوية فقد حكمها أسياذ الصواعق ردحا من الزمن قبل أن يغتصب منهم الحكم أسياذ الحديد، بينما تحكم مملكة (بابل) السفلية السيدة (إرشكجال) بيد من حديد، يساعدها في الحكم زوجها (نرجال) وآخرون عديدون...

الصورة الكبرى لباقي العوالم الموازية لحضارات الأرض لا تهمنا الآن، وفيها من التفاصيل ما يطول شرحه لحد الملل.. ما يعنينا الآن هو هاتان الحضارتان البشريتان، حضارتا (بابل) و(كيميت) العتيقتين، وما يوازيهما من عوالم علوية وسفلية.. ولا ننسى هنا الحضارة الخفية الضخمة المتقدمة، الموازية للأرض كلها بجميع حضاراتها التاريخية المتعاقبة، ألا وهي حضارة (أطلانتس)، والتي هي ليست بشرية بالطبع، كما هي ليست بالسماوية ولا السفلية كحضارتنا أو حضارة ما بين النهرين. إنها فقط تتواجد مع حضارات البشر كلها، مشاركة إياها نفس الحيز المادي الأثيري الأرضي، ولكن يفصلها عنهم جدار ذهري ذو اتجاه واحد، يسمح للأطلانتيين فقط - برؤية البشر. وعالم (أطلانتس) - بحسب علمنا - هو العالم

الوحيد الذي يوازي عالم البشر كعالم واحد فقط لا عالمين علوي وسفلي.

يعلم القليل من الكائنات السماوية والسفلية بوجود حواجز الدهر غير المرئية، والتي تمنع اختلاط هذه العوالم. إنها تمنع أية محاولة من الكائنات غير البشرية للتدخل السافر في شؤون البشر، وذلك بجعل كل العوالم الموازية للأرض مرتبطة بنفس القدر جغرافيًا، فزوال نهر -على سبيل المثال- من الأرض يقابله على الفور زوال نفس النهر بجميع العوالم الموازية السماوية، وهو ما يجعل أي تغيير بأرض البشر يأتي بنتائج عشوائية -وكارثية- على الكون كله، تأثير فراشة شديد الوطء كان له تأثير فعال للغاية في حماية الأرض -المطمع الأكبر- من أطماع جميع كائنات الكون الموازي، وحماية باقي العوالم الموازية من نفسها.. مهندس الكون الأزلي حكيم بما يكفي ليؤمن الحماية لأطفاله الفانين البشر.. حتى حدث المحظور، وقام ساحر بابلي يدعى (النمرود) بتسريب سحر السماء للأرض -عن قصد- في خرق هادر للقوانين التي وضعها مهندس الكون، خرق أخل بموازين الدهر وقوّض حواجزه الأزلية، سامحًا بتحرير أطماع الغزاة المخبوءة بالصدور منذ قرون تجاه البشر وأرضهم ومواردهم.. فالآن يمكن العبث بحرية بكل العوالم، بلا خوف من تأثير جانبي إجباري قادر على تحويل أي النصر لهزيمة نكراء..)

مقتبس من كتاب (تحوت) أحد أسياد عالم (كيميت) السفلية

الثالوث

معركة الثالوث الجزء الأول

كان (سين) -سيد القمر- يندفع للأمام كالسهم الغاضب متجها نحو مدينة جبار الماء، مُعَيِّزًا حوله زوايع من رمال الصحراء الصفراء التي تغطي الفاصل ما بين المدينتين، مدينته ومدينة سيد الماء (إنكي). لقد تمّ تدمير مدينته، أثناء تواجده خارجها برفقة أخيه (شمش)؛ للقيام ببعض الأمور السياسية مع أسياد العالم السماوي البابلي الجديد، استغل (إنكي) -جبار الماء- فرصة خلق مدينة سيد القمر من سيدها وانقض عليها، دحر حاميتها ساحر الأشكال، وأحالها لأطلال فوق أطلال، تاركًا فقط تماثيل له من ماء، تُحَلِّق -وُثَقِّق بسخرية- فوق ركام المدينة الغابرة، مدينته.

حاول أخوه (شَمْش) -سيد الشمس- اللحاق به، وهو يقول بلهجة فيها شيء من التعقل:

- لا أتفق معك يا أخي. سنخسر ما اكتسبناه للتوّ بالتحالف مع أسياد عالمنا.

زمجر (سين) وهو يقول ساخِطًا:

- لقد فقدت مدينتي بالفعل، لم تعد أساساتها قائمة بالأصل. هذه إهانة لم تحدث لي من قبل.

حاول (شمش) مجاراته قائلا:

- بإمكاننا التروّي وكسب حلفاء أقوياء، هذا حقنا الرسمي بعد ما وَعَدْنَا به أسياد الحديد، ملوك (بابل) السماوية الجديدة. بإعلاننا الولاء لهما صار بيننا تحالف دفاع مشترك، من يهاجمنا وَجِبَ عليهما

مساندتنا ضده. يملكان ذلك المعدن السحري -الحديد الأرضي-
القادر على اختراق أجساد الأسياء وقتلهم، لا تهاجم بلا تفكير، لدينا
نقطة قوة لا يمكن الاستهانة بها.

سأله (سين) بسخرية:

- أتخشى سيد الماء (إنكي)؟

صمت (شمش) وإن احتقن وجهه وكاد يضي وهو يقول بغضب
مكتوم:

- لا أخشى أحدًا، ولكني أفضّل الحلول التي تجعل انتصاري
مضمونًا.

لم يردّ عليه (سين) وإن تجلّت السخرية بوضوح من نظرات عينيه،
بينما غرق (شمش) في أفكاره السوداء مُكدّثًا نفسه..

(لماذا لا تفكر مرة واحدة يا أخي العزيز قبل أن تُقدّم على خطوة
فاصلة مثل هذه. لماذا تبدأ حرب بجيش ويمكنك أن تبدأها بزوجٍ من
الجيوش إن تحلّيت بفضيلة الانتظار. لدينا الحلفاء بالفعل فلماذا لا
نستغلهم؟ وأي حلفاء إنهما سيّدَا مملكة العالم السماوي الجديد بعد
اغتصابهم للحكم من يد أسياء الصواعق!)

بدأت ملامح قمة قصر (إنكي) تبرز بالأفق بين غمامات السحب،
(و(سين) يقول بمقت هائل:

- لقد أحال مدينتي أطلالًا بعد استعادتي لها.

- البنيان يمكن إعادة تشييده. المدنيون بمدينتك زحفوا كلهم

لمدينة (إريدو) -مدينة سيد الماء- زحفا شاملا أخلى المدينة؛ فراراً
من ويلات المعركة المدمرة بين ساحرهم وبين سيد الماء.

- جنباء. سأفنيهم بيدي بعد قتلي ل (إنكي).

- هذا جنون يا أخي. لم يكن بيدهم من الأمر شيء. هذه معركة لا
يمكنهم ويخاطروا ويشاهدوها حتى عن بُعد، حب الحياة يجعلهم
يبتعدون قدر الإمكان عنها.

- إنها مدينتهم.

- لا تنس أن ساحر الأشكال -نائبك في الحكم- هو من بادر وحاول
إفناء مدينة (إريدو)، لم يفعل (إنكي) ما فعله إلا ابتغاء الانتقام ممن
كاد يفني شعبه.

- أَدافع عنه الآن؟ هذا مُزري يا أخي الأكبر.

- لا أَدافع عنه، والدليل أنني أرافك الآن للنيل منه، ولكن ما جريمة
المدنيين في الهروب من ساحة معركة ساحقة مهلكة قد لا يجرؤ
بعض الأسياد على الخوض فيها؟

- قُضِيَ الأمر!

قالها (سين) بلهجة لا تقبل للجدال، وهو يهدئ من سرعته، بينما
شعر (شمش) بحنكته أن (سين) يكيل بمكيالين، يريد الانتقام من
شعبه التي تجزأ وانقلب عليه من قبل.

تنامى لسمع (سين) صوت خرير الماء القادم من جهة الأسوار،
انتبه (شمش) بدوره، فتخى خيبة أمله في تغيير رأي أخيه المتسرع،

وبدا يركز حواسه في مصدر هذا الصوت. ثم تجمد الاثنان لوهلة مع رؤياهم لصنيع (إنكي) الشيطاني بأسواره وبوابته الحامية.

كانت الأسوار كلها من ماء، ماء ثائر يُضدّر مزيجا من خرير وهدير يصم الآذان، لولب هائل الحجم يدور ليغطي المدينة إحاطة السوار بالمعصم، لولب يتألف من عدة جدائل مائية سميكة لا تكف عن الدوران حول بعضها البعض، أمواج هائلة ملتفة في صفائر مائية شفافة محكمة كالأغلال حول المدينة، حائل مائي خرافي يبدو مستحيلا اختراقه منذ النظرة الأولى، رغم شفافيته التي تجعل العين تلمح بوضوح ما خلفه من بيوت ومعابد متراصة، وبالخلفية ينتصب قصر (إنكي) الشامخ، وحول القصر وبين البيوت والمعابد وفوقها تبدو جلية دوامات الماء العائرة، والتي تتراقص كزينة للمدينة لا أكثر.

غمغم (سين) بسخط:

- لقد جهّز دفاعاته، وكأنه ترك رسالة استهزاء على أسواره.

قال (شمش) وهو يخترق ببصره ما بين أغلال الماء:

- الأمر أكبر من كونه رسالة.

نظر (سين) نحوه متسائلا، فأضاف (شمش) بحزم:

- إنها أدوات رصد أيضًا.

- ما الذي تعنيه؟

- أعني أنه رأنا الآن!

(استنتاج رائع يا سيد الشمس!)

جاءهم صوته القوي قبل أن يبرز مُحلّقًا فوق مركز الأسوار الأمامي، حيث تنتصب البوابة المائية أضخم نقطة بسوار الأسوار الدائري، كان يبتسم باستهزاء وهو يفرد ذراعيه يمينا ويسارا عن آخرهما بشكل استعراضى، مُوجِّهاً راحتي يديه للسماء، حيث تراقصت دوامة مائية صغيرة فوق كل يد.

قال (سين) بحلق لا حدود له، وهو يحدجه بنظرة قاسية مغمغما:

- أنت!

لم ينطق (شمش)، بينما قال (إنكي) ببساطة ودون أن تهتز عضلة بوجهه:

- إنها مدينتي. إنه بيتي. فلماذا العجب؟!

لَوْح نحوه (سين) بسبابته مهددا صائحا:

- سَلِّم لي مدينتك وشعبي، وإلا لن تملك أيًا منهما.

ثنى (إنكي) ركبتيه ليجلس القرفصاء فوق الأسوار، واتسعت ابتسامته وهو يقول بهدوء أكثر:

- مدينتي ولا أرغب في التخلي عنها. شعبك وقد لجأ لي طوعًا. أعتقد أنه يجب عليك إعادة التفكير في امتلاك مدينة وشعب في الأصل. لا تصلح.

ثم رنا نحو (شمش) وقد قرأ من انعقاد حاجبيه أنه ليس مندفعًا كأخيه:

- أعتقد أن دورك أن تجعله أكثر تعقلاً يا سيد الشمس. فيغص النظر عن كونه ليس نذا لي، ولكن لا طائل من معركة لا أساس منطقي لها. لقد حاول ساحركم تسميم شعبي، فانتقمته منه. انتهى الأمر.

قال (سين) وقد بدأ قمر فضي في التجشّد خلفه ببطء:

- بإمكانني تصديقك أن لم تنتقم منه بتدمير مدينتي.

هز (إنكي) كتفيه بلا مبالاة، ولم يبدو عليه أنه تأثر ببزوغ القمر الفضي خلف (سين) وهو يقول له بغطرسة:

- لا ذنب لي أن قوتي تدمر المدن كأثر جانبي.

ثم أضاف بلهجة ذات مغزى وعيناه تبرقان شدة:

- والأفضل - والأكثر حكمة - أن تتجنب جبار الماء، فمواجهته لا تنتهي إلا بالدمار.

تدخل (شمش) في الحوار قائلاً بلهجة حاسمة:

- لا تعتقد أنني سأقف مكتوف الأيدي في معركة أخي هو طرف فيها.

- إذا ستفقد يديك!

وفي لمح البصر، حرك أصابع يده اليمنى، فانطلق رمح من ماء تجشّد من بين أصابعه، وتضخم أثناء اندفاعه نحو (شمش)، لينقسم لرمحين متماثلين قبل أن يصل لجسده بقليل، كل رمح يندفع نحو أحد ذراعيه قاصداً بترها من منبتها.

نذت عن (سين) حركة عصبية وكأنه على وشك القيام بفعل شيء

دفاعي، ولكن كان (شمش) سريعًا - رغم هيئته المتراخية- وهو يرفع يديه، فيتجسد أمامه درعان ضخمان من نار، تلقى كل درع رمح مائي فتكسر الماء على سطحه وصار رذاذًا. لم يتوقع (إنكي) أن ينال من (شمش) بهذه السهولة بالطبع، ولكنه بدا متعجبًا من قدرة النار على صد الماء، فالمفترض هو العكس، وهو ما ينوى استغلاله ضد (شمش) بشكل أساسي في هذه المعركة. وكأن (شمش) قرأ أفكاره، فقال له بسخرية:

- النيران الباردة. لن تنال مني بقوة مائك السحرية مهما فعلت. لا تفكر حتى في هذا.

أمال (إنكي) رأسه قائلاً بإعجاب:

- هذا يزيد من مستوى التحدي.

صاح (سين) بغضب:

- كفى ثرثرة. لتبدأ نهايتك!

قرن صيحته بأن رفع ذراعيه فوق رأسه، فتحرك القمر ببطء ليعلو، وكلما علا أكثر كلما تضخم حجمه وتضاعف أكثر، كان قمراً مكتملاً لا تشوبه شائبة، فلما توسط كبد السماء استحالت عينا (سين) لكرتين فضيتين وهو يهتف وملامح وجهه تتجعد بشكل مخيف:

- الخسوف!

بدأ الظلام يتسلل لطرف القمر ليقفل من جزئه المضيء، ثم غزا السواد اللون الفضي حتى صار لكل نصفي القمر لون معاكس للآخر، بدأت جدران الماء تهتز، تميل للأمام وكأن قوة -جاذبية سحرية

قمرية- تجذبه للتخلي عن وجوده. فهم (إنكي) ما يحدث، عقد حاجبيه وهو يستنفر إرادته ليسيطر على الماء المكوّن للأسوار، عادت جدائل الماء للتماشك وكأن شيئاً لم يكن، زمجر (سين) والسواد يزحف ليغطي القمر، وتدرجياً صار القمر مجرد كرة سوداء بحواف فضية رفيعة، زادت قوة الجذب وعادت الأسوار لتتثنى وكأن ماءها صار شيئاً مرئياً قابلاً للتمدد، ثار (إنكي) وصاح وهو يستدعي كل ما يملك من قوة ليُعيد صفائر الماء لتمسك ببعضها البعض، كان هناك صراع بين قوتين، قوة جذب القمر التي تحاول تفكيك الأسوار وفُزط عقد لفائفها، وقوة جذب جزيئات الماء والتي تقوم بها إرادة (إنكي) والقادرة على السيطرة على كل ذرة ماء وكأنها كائن حي قائم بذاته.

(الكسوف!)

قالها (شمش) بعد أن تجسد قرص الشمس خلف جسده، ثم زحفت الشمس المضئّة للأعلى لتحتجب بالقمر المظلم -المتضخم- مستقرّة خلفه، فحَبَا ضوءها في لحظات عندما حجبها القمر المخسوف. فتضاعفت قوة الجذب لحَدّ شديد العنف، وبدأت ذرات الهواء نفسها تنسحق، وتتجه كُزْها نحو مصدر قوة الجذب الثنائية للشمس والقمر. تحركت الأسوار حركة بطيئة لتبتعد عن (إنكي) رغماً عنه، وقد بدأت الصفائر المعقودة تنفك ببطء. شعر (إنكي) بسيطرته على جزيئات ماء السور تهرب من بين يديه، فإن كانت قوة القمر قوية فإن قوة الشمس جبارة، فكّر لوهلة في مقاومة خصميه ولكنه أيقن أنه سيكون مجهوداً خرافياً سيضعفه من قبل بداية النزال الفعلي، ترك سيطرته على الماء بشكل كامل لقوة جذب الشمس والقمر،

وعيناه تضيقان بخبث وهو يقول:

- احذر مما تتمناه!

تفككت الأسوار في لحظة، تراجع (إنكي) بسرعة تاركًا الماء
ينفصل عن بعضه البعض في أمواج عشوائية هائلة، طوفان عابث
انفك من عقاله واتجه بكل قوته وعنفوانه نحو (شمش) و(سين)،
مُضدِرًا صوت انفجار مخيف وكأنَّ ألف قنبلة تمزق أحشاءه. كان
لفعل (إنكي) الخبيث -بترك العنان لقوة خصميه- تأثيرا رهيبا على
سرعة وقوة اندفاع الماء نحوهما، وهكذا وجد سيدا الشمس والقمر
الطوفان الذي خلقته قواهما المتحدة ينقض عليهما كأسوأ كابوس
خلقته عناصر الطبيعة.

صاح (شمش) بانفعال في (سين) وهو يسارع بتحريك قرص
الشمس ليعيده خلفه ويوقف قوة جذبه التي انقلبت سلاحا ذا
حدين:

- أوقف سحر الجذب!

وبينما يقوم (سين) بتحريك القمر ليُلغى سحر الخسوف، وبينما
تبدأ أشعة الشمس في الظهور بشكل تدريجي خلف (شمش) معلنةً
عن انتهاء الكسوف، لم يكن (إنكي) يقف متفرجا، سارع بتحريك
أصابع يديه لتشكيل أسلحته من ذلك الفيض المائي المندفِع نحو
خصميه، فبمجرد إلغاء خصميه لقوة سحرهما الجاذبة استعاد (إنكي)
سيطرته في جزء من الثانية على ذرات الماء، وجعلها تتحول لسيل
من أسهم ضخمة هوت عليهما كحجارة من سجيل.

تراجع (شمش) ليحتمي بجسد (سين)، أخذ سيد القمر خطوة للأمام ليتحرك القمر معه، ثم دار القمر ليستقر أمام جسد سيده، الذي كان يهمس رغم الغيظ الذي تملّكه:

- القمر الجليدي.

تحول القمر لقطعة من الثلج في لحظة، ومع بدء هطول مطر الأسهم المائية القاتلة نحو جسديهما، تضخم القمر عدة مرات حتى أحاط بجسدي السידين ليحميهما، تخلص عن تصلبه الجليدي لجزء من الثانية سمحت له باحتواء جسديهما، قبل أن يعود سطحه الخارجي جامدا تتكسر على سفحه الجليدي الأسهم المائية وتذوب، ولكن لم تمر لحظة فقدان التصلب الجليدي من الكرام، فقد فرّ زوج من الأسهم في هذه اللحظة، واخترق أحدهما كتف (سين) مُخَدِّثًا جرحا عميقًا نافذًا.

كشر (سين)، انتظر انتهاء فيضان الأسهم، فلما انقضى سارع بإزاحة القمر جانبًا، حاول (شمش) تهدئته بالكلمات ولكنه كان غاضبا بشدة، وزاد من غضبه ابتسامة (إنكي) المستفزة الواثقة، والذي صار يحلق الآن فوق فراغ ما كانته الأسوار، وظهرت بنايات مدينته وجزء كبير من قصره لناظريه. أشار للقمر ليحوّله لِكُرّة ضخمة من حجر وهو يقول:

- القمر الحجري.

ثم أوما بسبابته نحو (إنكي) فانقض القمر الحجري كجلمود صخر شديد الوطء على خصمه. انتبه سيد الماء، تراجع للخلف وهو يقوم بتفعيل عدة تعويذات متتالية، الحجر خطير كنعصر أساسي سحري

وله اليد العليا على الماء في المواجهات المباشرة. همس عدة مرات
مكررا:

- موجة عاتية، جليد. موجة عاتية، جليد. موجة عاتية، جليد.

كانت الأمواج تنشأ من الفراغ لتنقض على القمر الحجري بكل
عنفوانها، فيحدث اصطدام يقلل بعض الشيء من اندفاع القمر، تليها
موجة أخرى تتجمد في مكانها كسد جليدي قوي يحطمه اندفاع
القمر الحجري ولكن بعد إضعاف اندفاعته قليلا. وهكذا -وبعد سيل
متتالي من الأمواج اللاطمة والسدود الجليدية- ضعفت تمامًا سرعة
وقوة انقضاضة الجرم الحجري على سيد الماء، ليتوقف تمامًا على
قيد أنملة من جسده، وقد صار مجرد تمثال ساكن.

همس (شمش) ل(سين) وهو يفكر بعمق:

- إنه أسلوب ساحر الأشكال، يبدو أن سيد الماء يستفيد من
نزاله السابق. يكتفي بالدفاع وقلب السحر على الساحر في توفير
لطاقته الهجومية. إنه يعلم جيدا أنه ليس من السهل مواجهة اثنين
من الأسياد في نزال واحد، لذا يكتفي بالعتبات الدفاعي وسرعة
الانقضااض الخاطف، لربما حالفه الحظ ونجح في الانتصار بأقل
مجهود ممكن.

أشار لكتف (سين) المجروح مع ختامه لكلماته، فقال (سين)
بغطرسة:

- هذا لأنه يعلم أنه ليس نِدًا لنا.

- وهذا بالضبط ما يستغله الآن.

حدجه (سين) بدهشة فأكمل (شمش) بإيجاز:

- غرورك وتسرعك! ودفعي لعدم التفكير بحكمة ومجاراتك في اندفاعك غير المتعقل للهجوم.

ثم قال وهو يشير نحو (إنكي) المقرّص أمامهما على ارتفاع،
يكتفي بالتحديق نحوهما بابتسامة عريضة:

- انظر إليه. إنه ينتظر.

تساءل (سين) وهو يرمق (إنكي):

- ينتظر ماذا؟

أجابه (شمش) باختصار:

- حماقة جديدة منك! هجوم بلا رويّة!

في نفس اللحظة، كانت دماغ (إنكي) تفور بشدة خلافا لمظهره الهادئ، لم يعجبه توقفهما عن الهجوم -توقّف (سين) بالذات- وبدء حوار جانبي، اعتمد بشكل كُلي في بداية هذا النزال على دراسته لشخصية (سين) الانفعالية قبل أسلوب نزاله السحري، ولكن يبدو أن (شمش) المخضرم قد فهم لعبته الآن، ويدفع أخيه ليحارب بعقله أكثر من انفعاله، وهو ما لن يصبّ في مصلحته. لذا فقد انتفض من جلسته بحركة سريعة وقد اشتعلت عيناه بلّوّن سماوي كَلَوّن البحر، وبادر بالهجوم.

سين

سيتصدى الإله (سين) لمن يجرؤ ويتعدى على قوانيني

اقتباس من قوانين (حمورابي)

كانو ثلاثة أشقاء. ثلاثة من الأسياد. هو الأصغر، والشقيق الأكبر (شمش)، ويتوسطهما المدل (أداد). كان هذا منذ زمن بعيد، قديم قَدَم الدهر نفسه. عندما وجد الأسياد أنفسهم - بطفراتهم المباغثة - وقد تميّزوا بشكل واضح عن العامة من قاطني العالم السماوي. بدأ المجتمع يقسّم نفسه بنفسه لعدة طبقات تبعًا لما تطلّبت هذه الطفرات، فترّيع الأسياد على قمة المجتمع السماوي، بينما مثل العامة قاعدته السفلى، تاركين عدة أصناف تتباين ما بين الأسياد والعامة، كالأنوار والسحرة وغيرهم، ليسو بقوة الأسياد، ولكنهم لم يكونو كالعامة أيضًا.

فلما ضاق العالم السماوي ذرعًا بأسياده، وبرزت أطماع البعض في السيطرة على العالم كله، دارت بينهم الحروب وسفكوا الدماء، واستحال العالم السماوي جحيما سارع العامة بالفرار من لهيبه بالتخفي بالقفار والصحاري. انتهت المعركة بانتصار أسياد الصواعق بقيادة الراحل (أنو)، وقُتِل الكثير من الأسياد، لتفنى أجسادهم، بينما تتسلل أرواحهم للعالم السفلي، عالم العوَاب والعقاب الأبديين. ومن بين من فُقد من الأسياد بهذه الحرب كان الأخ الأوسط (أداد)، سيد السحاب والعواصف الرملية.

انتزعت هذه الحادثة (أداد) ليصبح هو الابن الأكثر أهمية، الابن

الذي لقي مصرعه فظل هو محور الحديث بين الأسياد ردحا طويلاً،
ليجد (سين) نفسه شبّحاً حيّاً، فلا أحد يريد ذكر محاسنه وقوته،
ولا أحد يريد الكفّ عن التغني بمآثر وقوة (أداد) الحكيم، والذي
تنافس رجاحة عقله حكمة الأخ الأكبر (شمش). وكأن لا أحد أراد
موته، وكأنهم أرادو جميعاً -بدون أن يجاهروا بها- لو أن من رحل
هو (سين) -الابن الأصغر عديم القيمة- وليس (أداد). كانت مدينة
(أور) تحت سيطرة الشقيقين بالتناصف، صارت (أور) ل(سين) الآن
برحيل (أداد). ولكن ظل الجميع يتحدث عن ثلوث أسياد الشمس
والقمر والعواصف وكأن (أداد) ما يزال حيّاً، ويقارنون بين حال (أور)
الآن ومن قبل إبان أيام حياة (أداد). حاول (سين) كميّداً أن يعبت
للجميع أنه موجود، أنه قوي حكيم، أنه يصلح سيّداً جبّاراً لمدينة
(أور)، أنه يستحق إرثه كسَيِّد جبار. حاول إثبات أنه هو من تبقى
حيّاً، ولكنه فشل. ظل السماويون يتهامسون أن من مات كان ليكون
هو السيد الأفضل لمدينة (أور). قتله موت (أداد)، وكأن موت (أداد)
أحيا (أداد) نفسه وطمره هو -سيد القمر- تحت العرى. لم يكن
يكرهه حيّاً، ولكنه كرهه ميّتاً حتى الموت.

وهكذا نقم (سين) على العالم السماوي كله بشكل عام أسياداً
وعامة، وعلى أهل (أور) بشكل خاص. ووجد نفسه يتجه للعالم
الآخر، عالم البشر البسيط الذي يعاملهم كآلهة. تعددت زيارته لكل
مدن الأرض وليس لمدينة (أور) الأرضية فقط، خالف الغزف المعتاد
والذي يقول أن لكل سيد مدينة سماوية الحق في أن يتصرف مع
بشر مدينته الأرضية المقابلة كإله. كان من المفترض أن يكون إلهاً
ل(أور) البشرية فقط ولكنه تجاوز هذا، أراد المزيد، أراد الانتقام من

عالم خذله، وإثبات نفسه في عالم أدنى يصير فيه أكبر بكثير من مجرد إله. اتجه لمدينة (حزان) البشرية وصار إلهها الأوحى، ثم بدأ ينشر ديانته بين مدن الحضارة البشرية بين النهرين ليصبح هو الإله الأعظم، سيد جميع آلهة بلاد الرافدين، جعل البشر يتعبدون للقمر ويجعلونه سيداً للشمس ولسائر الآلهة. صار (سين) هو أبو (شمش) لدى البشر، واتسعت عبادته بشكل شبه حصري بالأرض بشكل نافر من نفوذ (أنو) وأولاده من نسل أسياى الصواعق بالعالم السماوى، بل صار (سين) هو سيد آلهة الأرض كما هو (أنو) سيد أسياى العالم السماوى. خالف قاعدة (كما بالأرض يكون بالسماء)، وأرضى هذا كميّزاً غرور -أو نقص- (سين) المتأصل منذ رحيل (أداد) الذى أحياه، فقط لتبدأ الأمور فى التعقّد مرة أخرى بالعالم السماوى.

ثار أهل (أور) السماوية، جاهرُوا بالقول إن سيدهم يهتم بعالم البشر أكثر من اهتمامه بهم، لا يرويه إلا لماماً، الأحوال الاقتصادية والاجتماعية فى تدهور، لا يوجد رخاء، سرت الشائعات أن (أور) الأرضية نافست (أور) السماوية، وهو ما لم يحدث من قبل بتاريخ العالمين. كانت ثورة جامحة، تحدى العامة سيدهم، وقاد الثورة الكاهن الأعلى، ساحر مدينة (أور)، والذى بات واضحاً أنه يهين نفسه ليحل محل (سين) فى سابقة أخرى لم تحدث من قبل، مدينة سماوية يحكمها ساحر لا سيد.

كانت إهانة لم يستطع (سين) تحملها أو تقبلها، أثار موقف شعب (أور) كل ما خزنته ذاكرته -أو خزّنه قلبه- ضدهم، كان مشحوناً بقوة فأراد الانفجار. وهكذا تنزّل سيد القمر -فى تواجد نادر- ليقف فى وجه ثورة الشعب، قاصداً كسر شوكتهم بالقوة الغاشمة.

سيعلمهم كيف يطيعونه ويحترمونه كسيد، حتى لو وصل الأمر لإفنائهم جميعًا. حاول (شمش) إثباته عن عزمه ولكن لم يكن (سين) ليسمع لأي شخص. لم يكن يسمع إلا ضجيج عقله العائر، ولام جزء خفي من عقله أخاه الأكبر على تبعات ما حدث له، كان يجب عليه -كشقيق أكبر وأب- الوقوف في وجه كل من يستمر في ذكر محاسن (أداد) ويخبرهم أنه قد مات، الوقوف في وجه ثورة (أور) وكبحها بحكمته بدلًا من محاولة كبج زمام غضبه هو. كان يؤمن بشدة أن غضبه له ما يبرره، وأنه لن يسمح لأي كائن بالوقوف ضده ومصارحته بخطئه.

هنا، حدث ما لم يكن يتوقعه (سين) في أسوأ كوابيسه ظالمًا، لقد عاد (أداد)، بُعث حيًا. وكأنه لم يكن قد مات بالمقام الأول. وكأن موته الذي صنع حياته لم يكن كافيًا. قامت سيدة العالم السفلي (إرشكجال) -عالم الأرواح- بإعادة (أداد) من العالم السفلي للوقوف في وجه جنون (سين) كما وصفه العالم السماوي. كان جزء من مهمة سيدة العالم السفلي هو محاولة تحقيق التوازن والعدل بالعالم السماوي كلما سنحت لها الفرصة، مستغلة قدرتها على تحرير أرواح من ماتوا واستقروا بعالمها السفلي كأفكار وذكريات بلا وعاء جسدي، فكانت تعيد لهم وعاءهم وتبعثهم لعالمهم لتحقيق مهمة واحدة، وفي حالة (أداد) تم بعثه حيا فقط لردع (سين) من القيام بمجزرة ضد شعبه.

تضاعف جنون (سين)، لقد هزمه (أداد) ميتا فحانت لحظة الانتقام. وهنا تدخل (شمش) بحكمة ليعيد له عقله، ليوضح له أن وقوفه في وجه شعبه وقائدهم الساحر الكاهن الأعلى و(أداد)،

ليس إلا موقف معادي لرغبات سيدة العالم السفلي، والتي لن تعدم أية وسيلة أخرى لتحقيق مآربها الخفية، بالإضافة لعدم تقبل العالم السماوي بشكل عام لسياسات (سين) الهدامة، أقنعه بأن الانسحاب أحيانًا ليس بهزيمة، وأن الذكاء أحيانًا يكون بالكز لا الفرز، وأن الصبر فضيلة من يريد الانتصار في النهاية مهما طال الزمن. ووعده بأنه سيكون عضوًا لأخيه يوم الانتقام، والذي سيكون قريبًا جدًا.

استجاب له، وانسحب في يوم مشهود تقلد فيه الكاهن الأعلى منصب سيد (أور) السماوية، بعد رفض (أداد) للمنصب واكتفائه بالانسحاب هو الآخر للصحاري، معتزلًا العالم والحياة التي لم يعد يألفها بعد حياته الأخرى. ليبدأ (شمش) في حيك خطة استعادة حكم (أور) -وشعبية (سين) بين عامتها- على مدار السنين بمنتهى التأني والحكمة. ليتم ل(سين) ما أراد بعد حين، ويعود لحكم (أور) بعد خطة محكمة جعلت الشعب نفسه يلفظ وجود الكاهن الأعلى وينادي بحياة (سين). كم أحب بساطة الدهماء حينها، يحيا السيد يموت السيد، هذا هو ديدن حياتهم وتفكيرهم. ولكن لم يستتب الأمر له بسرعة كما حلم، فها هو ساحر مدينة (أور) -ساحر الأشكال الساحر القرد- الذي استبدل به الكاهن الأعلى السابق يقوم بتحدي (إنكي)، سيد مدينة (إريدو) المجاورة، ويحاول إفناء مدينته بدون العودة له أول (شمش)، كجزء من حرب السيطرة التي لا تنتهي بين الأسياد.

كانت خطة (شمش) الخفية تشمل عودة (سين) لحكم (أور) كخطوة أولى، تليها غزو (إريدو) وإخضاع (إنكي) كخطوة ثانية. ولكنه أرادها بطريقة ماهرة خبيثة لا تحمل ضررا أو احتمالا لأية خسارة من أي نوع، ولكن دفعتهم حماقة ساحر الأشكال -والتي

تلتها حماقة (سين) الانتقامية- للاضطرار للوقوف في هذا الموقف،
إما هما - سيدا الشمس والقمر- وإما (إنكي) سيد الماء. إنها حرب لا
يمكن أن يخرج فيها خاسر على قيد الحياة.

معركة الثالوث الجزء الثاني

(مَدّ الظلام!)

صاح بها (إنكي)، وهو يرمي بذراعيه للأمام، فيخلق من اللاشيء قمع شديد الضخامة، إعصار هائل الحجم يمتد من الأرض للسماء، يدور حول نفسه بسرعة محدثًا جلبة مزعجة مخيفة. ثم بدأ يهمس فتنسل من قوام قلب الإعصار أمواج سوداء، ماء مظلم له كثافة وشفك جعلاه كالقاز، وبدأت الأجواء نفسها للبقعة كلها تميل لظلام ما قبل الغروب. انقضت الأمواج في تتابع لا يتوقف منقسمة لصفين، صف استهدف سيد الشمس والآخر سيد القمر، أراد إجبارهما على الانفصال والدفاع كل عن نفسه، كانت الموجة الواحدة تهجم بقوة تكفي لتحطيم جسد أي سيد من أسياذ العالم السماوي.

(لن نفترق. (سين)، لنقم بتفعيل تعويذة الحدود).

قالها (شمس) وهو يدافع عن جسده بدرع النيران الباردة، والتي كان يعلم أنها لن تصمد أكثر من ثواني معدودة في وجه هذه الأمواج الهادرة الظلامية. التقط (سين) ما أراده (شمس)، أحاط نفسه بالقمر الجليدي مؤقتًا، ليحمي نفسه من خطر أية إصابة جدية، ثم قال بحماس:

- لنفعلها الآن يا أخي. قوة الشمس والقمر. تعويذة الحدود.

تَجَسَّد أمامهما جدار عظيم، مائل الإعصار الأسود ارتفاعًا بل وفاقه قليلًا. جدار كان قلبه ينبض بمزيج من لون أحمر نارٍ ولون فضي براق. كان سطحه يتموج، يتنفس وكأن له قلب. بدد ضياؤه الظلام

الوليد المحيط. صارت الأمواج تتلاطم على سطح الجدار وسفحه كما لو كانت حملاً وديعاً. تخلق (شمش) عن درعه و(سين) عن قمره الحامي، وبدءا يحركان الجدار سوياً ببطء للأمام، نحو الإعصار المظلم نفسه.

قبض (إنكي) يديه بعصبية وهو يصيح:

- لماذا الانتظار؟ ليحدث التصادم!

أفلت قوة تحكمه، فانطلق الإعصار يلتوي على نفسه نحو الجدار، ينقض عليه. تندفع قمته الضيقة السفلية للأمام في خط مستقيم، بينما تتراقص قاعدته العلوية العريضة بجنون لتواكب سرعة القمع الأرضي للإعصار. وكأنه قمع أسود من ماء جبار الحجم والقوة. انقض الإعصار على الجدار، كان اصطداماً أشبه بكارثة طبيعية. تفتت الجدار، ومعه تشتت الإعصار لألف ألف موجة. كان صوت الانفجار مؤذياً للأذان، وبريق الاصطدام خلق مزيجاً فريداً من لونين أسود وأحمر تخللتها خيوط فضية براقّة. كانت قوة الاصطدام عنيفة، حفرت بالأرض أخدوداً عميقاً، وتناثرت الرمال في شكل دائرة حوله منعت الرؤية للحظات، ثم حطّت الرمال وأجزاء من صخور ما تحت المرى التي فتتها الانفجار ليتكوّن ما يشبه سلسلة من الجبال حول الأخدود وتطوقه. لم ير أيّ من الأسياد الثلاثة خصمه لما يشبه الدقيقة الكاملة، ثم انقشعت الرؤية ليظهر (شمش) و(سين) محاطين بالقمر الجليدي الحامي، وقد تشققت جدرانه بشكل خطير، بينما كان (إنكي) يُخلّق بداخل كرة من ماء لا تكف عن الدوران حول نفسها، وغضب ساطع يملأ مُكيّاه.

لم ينتظر (إنكي) وضوح الرؤية بشكل كامل، أعاد الانقضاض.
صاح بكل قوته:

- أبراج الماء.

تفجرت من أسفل قدمي (شمش) و(سين) ينابيع من الماء، تراجع كل منهما بحذر والماء المتفجر من باطن الأرض يندفع من الأرض للسماء كأعمدة سميكة من ماء مجدول، أعمدة كانت تتراقص وتتمايل ليزداد شفكها بمرور الوقت، أحاطت بالسيدتين بسرعة لتعزلهما عن الوسط المحيط، وعندما أطلق (إنكي) تعويذة هجومية جديدة أدرك (شمش) و(سين) الغرض الأساسي من هذه الأبراج. عزل الشمس والقمر عن جسديهما، وفصلهما -ولو مؤقتا- عن مصدر السحر.

وجداه أمامهما في لمح البصر. كان يقف ممسكاً بسيف عظيم من الماء، يلمع طرفه بقطعة تبدو بيضاء كالثلج، في حين أحاطت الأبراج المائية بالقمر والشمس وأخفت ضوءهما، واحتجبا خلف أستار الماء العاتية الهادرة. قصد أن يطعن (سين) في البداية، كانت مفاجأة (سين) عظيمة برؤيته ل(إنكي) على مسافة لصيقة منه، تراجع بسرعة تدفعه غريزته فأخطأ طرف السيف هدفه وهو محل القلب، ولكنه اخترق جانب الصدر ونفذ منه ليبرز طرف السيف من جانب ظهره، صاح (سين) بألم لا يصدق ما يحدث، سحب (إنكي) السيف بسرعة وقام بإعادة توجيه ضربة جديدة صائبة هذه المرة، ولكن باغته (شمش) بأن أطلق دفقة من طاقة صافية حارقة من بين يديه، ضربت صدره وألقته للخلف والنيران تشتعل بصدرة وجسده.

انحنى (شمش) على أخيه ليساعده على النهوض، وهو ينظر
بطرف عينه ل(إنكي) الذي انقلب على ظهره بعيدًا، وقد صار أشبه
بِكُرّة محترقة. اطمأن على أخيه، الذي كان يلهث ونقاط من دم أصفر
تندفع من بين شفتيه. سأله باهتمام:

- هل ستستطيع تجاوز هذه الإصابة؟

أوماً (سين) برأسه إيجابا بضعف وهو يهمس:

- سأبدأ الشفاء الآن، ولكن سيستغرق الأمر وقتًا. الإصابة قوية.

هز (شمش) له رأسه بعزم بدون أن ينطق، واعتدل وهو يرمق
(إنكي) الذي اعتدل بسرعة والماء ينضح من جسده ليشفي جسده
بسرعة خرافية، بدا واضحًا أن الحرب ضد (إنكي) ستكون كابوسًا
بقدرته اللامحدودة على شفاء إصاباته، والتي يجاهد أخوه (سين)
لبلوغ نصف قدرتها. قال لأخيه:

- استتيز بقمرك الحامي، وسأشغله أنا حتى يكتمل شفاءك.

مط (سين) شفتيه، لم يعجبه اختيار أخيه للفظ (أشغله) بدلًا من
(أقتله)، ولكنه لم يصرح عن أفكاره، ووهب أخاه بسمة مشجعة.

قال له (شمش) وهو يتأهب لهجوم جديد:

- يجب أن يكون التعاون بين عقلينا لحظيًا. لتقم بتفعيل التخاطر.

فعلها (سين) فارتبط العقلان ارتباط الشمس بالقمر، وبينما يريح
(سين) جسده كان (شمش) يحلّق للأعلى وهو يراقب (إنكي) الذي
اعتدل بجسد كامل الشفاء. همس لنفسه:

- لن يستمر هذا طويلاً. لننقل النزال لمستوى أكبر.

ثم صاح وعيناه تتوهجان لتشتعلان بالنيران:

- عواصف الشمس.

تضخمت الشمس بسرعة عدة أضعاف، كان (إنكي) يستعد لهجوم جديد، ولكنه أخذ بمادرة (شمش)، وقد تجلّت الشمس فوق رأسه لتصبح في حجم قصر مهيب، ثم بدأت تشعل بنيران متأججة كانت تمور وتفور وتتنفس باللهب، ثم اهتزت وربت وناءت بحملها قبل أن تنفجر منها كرات النار العملاقة، وكأنها صارت منجنيق لا يكف عن رمي قذائفه النارية الملهبة. انتبه (إنكي) لأن (شمش) لم يكن يقصده شخصياً، بل اتسع مدى كرات النار ليصل لكل مباني المدينة ومعابدها. اشتعل غيظ (إنكي)، فسيد الشمس يريد إحراق (إريكو) عن بكرة أبيها.

ارتقى (إنكي) قليلاً والغيظ يتملكه، تلامست راحتا يديه وهو يتمتم:

- خفافيش الماء.

انفجرت من فوق رأسه كرة عظيمة من الماء، انبعق منها عشرات بل مئات بل آلاف من خفافيش صغيرة ذوات الأجنحة، والمخلوقة من ماء أزرق اللون. كانت تندفع من تلك الكرة وكأنّ أيادٍ خفية عملاقة -مئات الأيدي- تقذف بهذه الخفافيش من قلب بئر خفي يستقر الأثير فوق (إنكي). طارت الخفافيش في كل اتجاه حتى بدا المشهد وكأنّ خيوطاً من ماء أزرق اللون لا عدد لها ولا حصر تنتشر

في كل مكان. تقابلت الكرات النارية المتفجرة مع تكتلات الأجساد الخفاشية الزرقاء، كانت انفجارات متتالية تموج بلوني الأحمر والأزرق. عملت الخفافيش ككائنات انتحارية توذ الموت لوأد تقدم كرات النار المندفعة بإصرار نحو المنازل. بدأ (إنكي) يشعر بالإرهاق مع خلقه المستمر للخفافيش، بينما كان (شمش) يقف أسفل شمسهِ الخارقة متهيئًا لهجوم جديد.

كلاهما يعلم أنه لا يمكن تفعيل سحري نفس العنصر في آن واحد، لا يمكن تفعيل تعوذتين للشمس في نفس اللحظة، كما لا يمكن فعل المثل مع (إنكي) فلا يمكنه تفعيل سحري ماء بالتزامن، ولكن يبقى ل(شمش) قوة جسدية تمثله كسيد للشمس، فسارع بإطلاق نار لاهبة من قبضتيه نحو جسد (إنكي) الذي أرققه استمراره في خلق جيش الخفافيش الانتحارية.

كانت الضربة قوية ومباشرة ومركزة، أصابت (إنكي) ب صدره وأحرقته -للمرة الثانية- وأسقطته على ظهره، فَقَدَ سيطرته على خفافيشه فصارت تتخبط بلا هوى وتسقط أرضا، بينما عاثت كرات النار الفساد بالمنازل والمعابد للحظات عندما لم تجد من يتصدى لها، وبينما يعتدل (إنكي) بغیظ -وَألم- والماء يشفي إصاباته القاتلة، وصلت بعض كرات النار لقصره الملكي الشخصي، وأسقطت بعضًا من أسواره.

اعتدل (سين) وعيناه تشتعلان جذلاً مع رؤياه لمدينة (إنكي) تبدأ في التضرر فعليًا، وبدأ الاثنان يعملان سويًا بعقل واحد وجسدين، بعد شفاء جسد (سين) بشكل شبه كامل.

دار (إنكي) حول نفسه كإعصار من ماء، لا يوجد وقت لانتظار إتمام تعافيه الجسدي، فمدينته تحترق! ولكن عاجله (سين) بهجوم خاطف غير متوقّع مستغلًا تسرع (إنكي) في العودة للنزال قبل اكتمال شفائه، فقام بتفعيل تعويذة جديدة خطيرة. تعويذة القمر المُستنزف.

فوجئ (إنكي) بجسده يتوقف عن الشفاء، ما زال صدره يشتعل بالنيران ورأسه وأطرافه تعج باللهب، كانت جزيئات الماء تندفع من جسده لتنوي الالتحام بالنيران وإطفائها ورأب صدع الجسد الممزق، ولكن غير الماء اتجاهه فجأة وصار يندفع بعيدا عن الجسد، يندفع بقوة وسرعة نحو القمر الفضي الأقرن المتجسد فوق رأس (سين)، الذي كان يهمس بشماتة لا حد لها:

- لهذا أسمى هذه التعويذة قُبلة القمر! بإمكانها سحب واستنزاف أي عنصر من عناصر الطبيعة، والماء ليس باستثناء.

كان الوضع مأساويًا عند (إنكي)، لقد فهم خصماه أخيرا أن قوتهما في اتحادهما، وبدأ في استغلاله بشكل جيد، وها هي مدينته تتلقى كرات النار اللهبية على رؤوس منازلها، بينما يتم سحب ماء الشفاء من جسده للخارج، تاركًا الجسد نفسه يحترق، وهو ما سيقتله خلال لحظات، إن لم يكن حرقًا فسيكون بتأثير تحلل ذرات جسده المائية ذاتها، إن لم يتدخل ويفعل شيئًا ما يعيد قدرته الخرافية على التجدد والشفاء. يعيد لذراته المائية التماسك من جديد.

إنكي

يُخَكّي أنه، منذ قديم الأزل، كان هناك عالمان: عالم (سومر) السماوي، والذي يحكمه الأسياذ أقوياء الأجساد والمتحكمين بقوى الطبيعة، ويسوده عوامٌ يعيشون يومًا بيوم يقدرسون أسياذهم كملوك، وبين الطبقتين تتباين أجناس عدة. وعالم البشر الأرضي، والذي بدأت حضارته بين نهري (دجلة) و(الفرات)، وتسلى إليه أسياذ (سومر) السماويين وأنواره من كهنة وسحرة؛ ليوسوسوا إليهم بعبادة أسياذ عالم (سومر) السماوي كآلهة تنفع وتضر. يستطيع أسياذ السماء رؤية البشر من حيث لا يمكن للبشر أن يرونهم، بينما لا يمكن للبشر رؤية السماويين إلا برغبتهم. كما حكمت إرادة مهندس الكون منذ الأزل أن العالم السماوي تابع لعالم البشر جغرافيا، إن هلك جبل أو مدينة أو انطمر نهر بعالم البشر، تلاه تدمير مماثل بالعالم السماوي، جزاءً وفاقًا يمنع أية محاولة من أسياذ السماء للعبث بمقادير البشر، فيئدها في مهدها.

هكذا قضت الطبيعة وقواعدها منذ الأزل. كلا العالمين مترابطان ارتباطًا يجعل أسياذ السماء يهتمون كل الاهتمام بعالم البشر؛ حفاظًا على عالمهم هُم من التأثر بالأرض.

ضج عالم الأسياذ بأسياذه، ارتأى كل منهم أنه الأحق أن يسود. استحال الحقد رغبةً في التدمير وكان هذا السبب في حرب الأسياذ الدموية الأولى. كان (إنكي) شابًا حينها لا ناقة له ولا جمل في هذه الحرب، ولكن أثبت أبوه (أبسو) أنه سيئذ لا يمكن مجاراته، إله حقيقي في استخدام عنصر الماء كسلاح فتاك. خشيه جميع

الأسياذ باسئئناء أسياذ الصواقق بقاءة المهبب (أنو). أظهر له أنه باسئءءام الماء بمكنه كسر شوكة صواققه وءعلها ئرئء كسلاح ذب ءذبن. كان (أبسو) هو السبء الوءبء الذب اسئطاع الوقوف بوجه (أنو) وصواققه، ولكنه فعلا فقط من أجل الدفاع عن نفسه، لم بسئءءمها من أجل نفوذ أو ءكم. رأى (إنكب) أنه كان باسئطاعة والده (أبسو) ءءر ءمبب الأسباذ، ولكنه ائءذ مسارًا سلمبًا عءببا وئأى بنفسه عن الءرب ءائرة، واعتزلهم وما بربءون واعتكف بمءبئته (إربءو)، أقءم وأول مءن (سومر) السماوبة، والئب شبءها ببببب من بقاءا الطوفان العظبم قبل أن بءمء.

كان (إنكب) -الشاب- أول من أراء اسئعمار العالم السماوبب، كان بقول لأبببب إن أسباذ الماء هم أءق الأسباذ بالببابة. أوضح له أن من بملك القوة ولا بسئءءمها سبراه ءمببب ضعبفا، وسبكون ضعبفا بالفعل مع الوقت. قال له أبوبب إن ءماس الشباب لبببب بعلب الءكمة، وأنه سبئعلم بومًا ما بطربقة صعبة الءكمة بب ببذ القوة وءءم اسئءءامها إلا دفاعًا عن النفس. رآها (إنكب) ءماقة، وانئظر بفارغ الصبر البوم الذب سببببب بببب سببء الماء الأوبء، لبءقق أءلامه الاسئعمارببة بب ءكم المملكة كءق مكئسب لا ئفضل من الآخربب.

ئطورت الأءءاء بمرور الزمن لئئبب للفتب (إنكب) أنه كان على ءق. ئءهور وءع مءبنة (إربءو) كبببًا، لم بصدق العامة أن سببء الماء (أبسو) -سببببب- لببببب قوة ولا بربب اسئءءامها لإئباء ببمئته على باقب الأسباذ، وبءأئ موجاء من الءجرة العكبببة ئنطلق بب أفواج لئءجر المءبنة الئب سببب وءوببها وءوب سائر المءن. ئم

تأمرت الطبيعة لتكمل آخر حلقة من حلقات سقوط (إريدو)، فجف فرع الماء الذي كان يغذي مدينة (إريدو) الأرضية، فلعب الترابط الأزلي بين العالمين لعبته ليحدث المثل ب(إريدو) السماوية وتفقد الماء -سر قوتها وتفرد لها- في مفارقة ساخرة لمدينة سيد الماء.

فاض به الكيل يومًا ما مع تنامي أصوات الهمسات الساخرة من اضمحلال مكانة المدينة المتنامي، واجه أباه بمنتهى العصبية. وقف أمامه وجهًا لوجه بقصره وقلب عرشه وتحت قدمي تمثاله الضخم.

- لابد من تغيير الحال. هذا ليس قدرنا.

- ومن أنت لتكون أعلم الناس بقدرنا أيها الفتى؟!

- أنا ابن سيد الماء الأعظم، أول وأقوى الأسياد جميعًا.

- وستصير قريبًا سيد الماء الأعظم. تعامل على هذا الأساس. امتلك القليل من الحكمة.

- وما الفائدة من القليل من الحكمة إن امتلكت الكثير من القوة؟

- القوة بلا حكمة تصبح ضعفًا.

- هراء!

- تأذّب مع أبيك يا فتى.

- لست بأبي ولا يشرفني حتى كوننا أسياد لنفس عنصر الطبيعة. إن كنت أنا السيد مكانك لفعلت ما هو أكثر بكثير من الارتكان للسلم وتضييع مكانة مستحقة لنا ولمدينتنا.

- لست مجرد ولد عاق، أنت غبي أيضًا. غبي ودموي. تريد أن تصبح

مجرد قاتل تتناقل الألسنة سيرته الحمقاء الدموية.

- أن يتم تناقل سيرتي -بأية طريقة- أفضل من أن يتجاهلني التاريخ.

- حسناً أيها الفتى الذكي.. ماذا كنت لتفعل إن كنت مكاني؟

- كنت لأفعل الكثير والكثير منذ سنين. لم أكن لاكتفي بالدفاع عن نفسي ضد (أنو)، كنت لأهاجمه وأفنيه وأدمر سلالته. كنت لأصبح أنا السيد الأقوى والأعظم. كانت (إريدو) ستصبح عاصمة العالم السماوي. كانت ستصبح قبلة لجميع السومريين السماويين. لا أدري سبب فخرك بأنه يتم تقديسك على نطاق واسع بعالم البشر، سبب تباهيك بأنك الأعظم والمفضل لدى ذلك العرق الأدنى. يكفي ارتباطنا بهم والذي لم يضر أحدًا غيرنا بين كل أسياد (سومر) السماوية. لماذا تركت انحسار (الفرات) بالأرض ولم تهتم بمنعه؟ لماذا لم تقم حتى بتقوية مصادر الماء ل(إريدو) الأرضية لينعكس هذا على مدينتنا السماوية؟ لماذا -وهو السؤال الأكثر أهمية- لم تقم باستغلال قواك وسحب الماء مباشرةً من (الفرات) السماوي ل(إريدو) السماوية؟ أيعجزك هذا يا سيد الماء؟ أعلم أنه لا يعجزك، ولكن كونك لم تفعله يعني للعامة أنه يعجزك.. الناس يترجمون ما يرونه بأعينهم، لا يشعرون بما داخل قلبك. لذا كَفَّ عن التعامل بمثالية وانظر لمدينتك التي ستصير قفرا جافا بعد حين ليس ببعيد.

- أي ديكتاتور أصبحت يا بني؟ كيف ربيث هذا الوحش -المتعطش للحكم والدماء- تحت كنفي؟ متى نَمَتْ وترعرعت بداخلك كل هذه الكراهية للحياة وتصنيفها لأدنى وأسفل بحسب أهوائك؟ لست

بأفضل من البشر في شيء، وليسو كائنات لا تستحق الحياة لتدمر مدنها بظرفة عين فقط من أجل بناء مجدك الشخصي. هناك آلاف غيرك من البشر لديهم أحلام وطموحات مشروعة، منهم من يرى نفسه سيدا لعالمه كما ترى نفسك بالتحديد، أترى لأين ياخذك هذا؟ كيف تريد أن تصبح سيدا للعالم وأنت لا تحترم أبسط قواعده بإبقاء الترابط ما بين العالمين؟ من سيحترم سيدا لا يحترم قواعد عالمه؟ تريد ولاء قائما على الخوف، سيكون هذا يسيّرًا، ولكنك لن تنال الرضا عن نفسك ولن تحترمها. ستصبح لياليك مظلمة طويلة لا تنتهي، ويصبح مجرد خلودك للنوم قرير العين ضربًا من المستحيل، فسيكون لديك ثأر ومظلمة لدى كل من تراههم أدنى منك سواء أكانوا سماويين أم بشرا. بالإضافة لأنك لا ترى بالفعل أبعد من موطئ قدميك، فهل تظن أن تغييرك لقواعد العالمين سيجعل باقي الأسياد يكتفون بالانبهار بقدراتك والتهليل لك والتسبيح بحمدك؟ ألا تظن أن هناك من يفكرون معلنك وينتظرون بزوغ قمرك ليخسفوه خسفاً؟ وستزج بشعبك حينها لحروب شخصية لن يطالهم منها إلا الموت والدمار. مسؤولية شعبك يجب أن تكون همك الأول يا جبار الماء بدلاً من دفعهم للتهلكة، فهل أنت هذا النوع من الملوك حقا يا بني؟

لم تنجح كلمات والده المنمقة -والعاطفية أكثر منها عقلانية من وجهة نظره- في تغيير رأيه ووجهة نظره في الحياة قيد أنملة، بل على النقيض جعلته يوقن أنه لا مستقبل ل(إريدو) ولا لأسياد الماء في عهد (أبسو). وأنه باستمرار هذه الأفكار السلبية سيزداد تدهور (إريدو) حتى يتم هجرها بالفعل وتصير نسيًا منسيًا، ويصبح أسياد الماء مجرد فكرة خيالية لن يصدق أحد وجودها يوما ما، فمن

سيصدق قوة لم يرها بعينيه؟

كانت هذه اللحظة هي الفارقة، بزغت لعقله فكرة إزاحة أبيه من الحكم ومن الحياة بشكل تام. فكرة اغتياله لأبيه وانفراده بكونه سيد الماء الأعظم.

لم يحتاج الأمر منه إلا سيفاً جليدياً متصلب النصل، خلقه بعقله في لحظة ثم أغمدته حتى آخره بظهر أبيه، الذي كان يوليه ظهره، ولا يكف عن المثرثرة عن السلام والعدل واحترام الآخر. لا يعتقد الآن أنه أراد قتل أبيه حقاً بما فعله، ربما أراد فقط إخراج ما اعتمل بداخله من سخط على سياسات رآها سلبية. إن محاولة قتل سيد الماء بسيف من ماء يبدو مثيراً للشفقة لأقصى حد، ولكنه نجح بالفعل. لم يقم أبوه باستخدام طاقة الشفاء التي كانت لتشفيه خلال أقل من خمس ثوانٍ. فقط استدار نحوه والتفت إليه مبتسماً، وعلامات الألم ترتسم على وجهه يحاول أن يخفيها. لم يبدو متفاجئاً أو ساخطاً، بل بدا راضياً عن هذه النهاية، بل تجراً (إنكي) واعتقد أن أباه أراد أن تجري الأمور على هذا المنوال.

قال (أبسو) كلماته التي فارق بعدها العالم السماوي:

- لقد حانت فرصتك الآن. خذها واستغلها كما تريد. غير حاضرك واستبدل بمستقبلي مستقبلك. أنت جبار ابن جبار فلا تتردد في سلوك الطريق الذي تظنه صحيحاً، حتى وإن خالفتك في الرأي. فمن يدري أينما على صواب؟ أنا غاضب، لا يمكنني إنكار هذا، ولكنني غاضب على حالك لا مثلك يا بني.

اقترب منه (إنكي) ببطء غير قادر على استيعاب ما حدث، لقد

انتحر والده عمليًا، وَهَبَهُ حياته عن طيب خاطر. ورغم ما يحدث لم ينتابه أي ندم على ما فعله، ففي النهاية فإنه قرار أبيه نفسه، بإمكانه أن يحيي ويميت، وهو اختار أن يميت. ولم يشعر بأية عاطفة حتى تجاه أبيه وهو يسقط أرضًا والدماء الصفراء تتفجر من صدره. ترك روحه تفيض تحت قدميه وهو يشعر بروحه تتور بين ضلوعه، فأخيرًا لم يعد بينه وبين المجد حجاب.

معركة الثالوث الجزء الثالث

كان الاختيار أمام (إنكي) أقسى مما يتخيل، فإما أن ينقذ حياته فيخسر مدينته وشعبه، وإما أن ينقذ مدينته فيخسر حياته، لم يضع له سَيِّدًا الشمس والقمر اختيارًا آخر، وكُرَّات الشمس الملتهبة تدمر مدينته، والقمر يستنزف جزيئات جسده المائية. لم يكن هناك مجال للتفكير، سيختار حياته بالطبع، ولكن كان المجال كبيرًا للندم على الثمن الذي دفعه شعبه من أجل حربه الشخصية، تمامًا كما تنبأ والده (أبسو) منذ سنين.

استنفر كل طاقته، فالموقف الراهن لا يتحمل أن يبادر بحيلة دفاعية قابلة للفشل، فجسده يتفكك حرفيًا بواسطة القمر المُسْتَنْزَف. قام بتحويل جسده لطاقة ماء صافية، عنصر الماء يتجسد في صورة بشرية، تخلص جسده عن صورته وأصبح مجرد إعصار قوامة الماء العائر. بدأت كرات الشمس النارية ترتع بالمباني وتدمرها بأصوات انفجارات متتالية، بينما فوجئ (سين) بالقمر يرتج وتصدعات تغزو سطحه. فهم (شمش) على الفور أن (إنكي) استخدم كل طاقته الآن لمقاومة قوة القمر، وبدلاً من أن يستنزفه القمر تبذلت الأدوار، وأصبح الماء هو من يجذب القمر. فكَّر أن (إنكي) قد بكر باستخدام طاقته القصوى، ولكنه متى سيستخدمها إن لم يكن إنقاذًا لحياته.

سارع (سين) بإخفاء القمر، فقد شعر بأنه سيفقده تمامًا خلال لحظات، مما سيتربث عليه فقدانه لكل قواه السحرية. لقد أجبره (إنكي) على التوقف عن استنزافه، ولكن ليس بلا ثمن، فقد تم دك

مدينة (إريدو) تقريبًا، ولم يتبقى منها سوى بقايا القصر الملكي ل(إنكي)، والذي يحاول الصمود أمام سيل كرات الشمس المدمرة. استعاد (إنكي) هيئته محافظًا قدر المستطاع على ما تبقى لديه من طاقة ماء، ولكن لم يغب عنه أنه قد استنزف جزءًا لا يستهان به منها. لذا صقم على إنهاء النزال بسرعة، خاصةً وأنه خسر بالفعل مدينته، والتي كانت الدافع الرئيسي لكل أحلامه التوسعية منذ أيام حكم أبيه الغابرة. لم يعد له شعب يحمل اسمه، وبالتالي لم يعد لديه ما يخسره، وهو ما يجعله خصمًا شديد الخطورة.

ما زالت كرات النار تتابع على المدينة رغم تدميرها نهائيًا، رفع (إنكي) يمينه صائحًا:

- مرآة الماء.

ارتقى خلفه جدارًا من ماء، كان يعكس على سطحه صورة سيدي الشمس والقمر كمرآة عملاقة، ولكنه لم يعكس الصور فقط، بل كان يعكس الأشياء المادية، ككرات النار المندفعة نحو المدينة تستهدف القصر، أو ما تبقى منه. انعكست الكرات على سطح المرآة المائي السحري، كانت كرة النار تغوص قليلًا بالسطح فينتجني بعض الشيء للداخل مُتَقَفِّزًا، ثم يعود السطح ليتحدّب بسرعة مُعِيدًا الكرات لقرسِلها وأخيه.

سارع (شمش) بإيقاف سحر الشمس، فقد صار سلاحًا ضده الآن. ولكن بعد أن هوت بضعة كرات نارية عليه هو و(سين)، استطاع (سين) أن يقي نفسه شزّ زوج من الكرات بأن فجرهما بإطلاق طاقة فضية من قبضتيه فجرتهما على مسافة من جسده، بينما لم

يواتي الوقت (شمش)، الذي كان تركيزه منصبا على الإسراع بإخفاء الشمس مؤقتا، فنالته كرة نارية تفجرت على الأرض أمام جسده مباشرة، فدفعت جسده للخلف ليطير بلا هدى، وقد أصابت شظية نارية صدره مباشرة، وأخرى أصابت ساقه اليمنى وكسرتها على الفور، تاركة النيران تشتعل بجسده.

وبينما يحاول (شمش) الاعتدال، و(سين) يقترب منه بقلق ليرى إصابته، لم يتوقف (إنكي)، وسارع باستبدال سحر المرأة بسحر آخر أقوى وأشر طرا.

هبط. استقرت ساقيه على الأرض. انحنى لتلامس يديه الأرض. همس بعدة كلمات، أنهاها بقوله:

- أوردت الأرض.

تزلزلت الأرض. وصل (سين) ل(شمش) الذي كان يجاهد ليقف، والنيران تنطفئ من صدره وساقه ببطء. لم يستطع الوقوف بشكل جيد. دار بينهما حوار عقلي سريع بعد ارتباط عقليهما بسحر التخاطر القمري. سأل (سين) والذي يعلم جيدا أن سيد الشمس لا يملك القدرة على الشفاء الذاتي، بخلافه هو وسيد الماء: (أحتاج قدرا من قدرتي القمر على الشفاء؟) أجابه (شمش) على الفور نائيا: (لا وقت. إنه يفعل سحرا أقوى الآن. ستحتاج كل قوتك. سأكتفي بالدفاع مؤقتا).

تفجرت الماء من تحت أقدامهما. انبعثت العيون بالأرض ليندفع منها الماء في شكل أقماع عاتية امتدت لعنان السماء. ثمانية من الأقماع التي ما انفكت تزداد شمكا. كان كلاً من سيدي الشمس

والقمر قد اضطر لإخفاء شمسه وقمره، فصار الاثنان بلا حماية لحظيًا. تراقصت أقماع الماء الثمانية حول جسدي (شمش) و(سين) وبينهما، خالقةً فيما بينها قوتا طرد وجذب باستمرار جعلت جسدي السيدين يتراقصان كورقتين بمهب الريح. لا يوجد وقت ولا تركيز ولا قوة لاستخدام أي سحر دفاعي، جسد السيدين ينهار، ومن سخرية القدر أن ما جعل (شمش) يباغت بهذا الهجوم هو انهماكه في تدمير (إريدو)، سحر كرات النار، وهكذا بدا الأمر وكأن مدينة (إريدو) كانت قُربانًا -غاليًا- قَدَّمه سيد الماء من أجل القضاء على سيدي الشمس والقمر.

(لن ينجح جسدانا في الصمود طويلًا. لابد من انقضاضة قوية وسريعة تجعله يتخلى عن سحره). قالها (شمش) بوضوح كفكرة ضعيفة خلقها عقله الذي يجاهد ليظل حيًا ويقاوم ألمه. ردّ عليه عقل (سين): (لم ينتهِ الأمر بعد أخي العزيز). ولكنه كان يعلم أن الموقف جدّ خطير، وأن وقت الهجوم وحده سيكون كافيًا لتدمير جسد أخيه. سينجح جسده في الصمود وقتًا أطول، ولكن جسد أخيه لن يتحمل. لذا، خالف نصيحة أخيه، وسارع بتجسيد القمر خلفه. اتسعت عينا (شمش) بذهول وعقله يرسل: (ماذا تفعل أيها المجنون؟) ردّ (سين) بدون أن ينطق، والقمر ينسلّ ليحيط بجسد (شمش): (أقوم بشفائك!)

زادت ابتسامة (إنكي) القاسية لقا فهم ما يراه. سيد القمر يتجاهل الدفاع عن نفسه ويسارع باستخدام سحره لشفاء أخيه، وهكذا صار سيد القمر هدفًا سهلاً له. هدف بلا حماية.

كان (سين) يجاهد لتحمل القوة التي كانت تتلاعب بجسده بفعل أقمار الماء الرهيبة. بينما انعزل جسد (شمش) عما يحدث، والقمر يحيطه كستار منع عنه أثر قوة الأقمار الجبار، بينما تحول جزء منه لطاقة فضية غطت أماكن إصابته التي تنضح نازًا، وبدأت تشفيها بالفعل. صاح (شمش) عقليًا بسخط: (كان بإمكانك استخدام القمر لحماية جسدينا. كلانا) ردّ (سين) بهدوء: (لم تكن هذه الحماية لتشفيك كما يحدث الآن). تألم (شمش): (لا تضحي بنفسك. هذه ليست حربي). قال (سين) مستسلمًا: (هذا خطئي. إنها ليست حربيك بالفعل). هنا. تغيّر صوت (شمش) ليصبح مخيفًا وهو ينهي كلامه: (ولكنها أصبحت حربي الآن!)

تهنيأ (إنكي) لانقضاة مباشرة على (سين). انقضاة جسدية كالسابقة. أراد اغتياله بسلاح مائي يخلقه في لحظة ويقطع به جسد سيد القمر. سيكون قتلاً سهلاً وسريعاً وكأنه يقتل أحد العامة، إذ أن سيد القمر بلا قمره. ولن يعجزه قتل سيد الشمس بعدها. أمسك بيديه سيفين جليديين بالفعل، وانقضّ على (سين) بأقصى سرعة، وقد قام بتوجيه حذّ السيفين للأمام.

انفجر جسد (شمش) وتحول لشمس صغيرة. (لا يا أخي. لا تفعلها. على الأقل ليس وجسدك لم ينهي عملية شفائه). تعاظمت الشمس وانقضت على جسد (إنكي) المنقض. (لا تفكر بعواطفك. ركّز في إنهاء المعركة منتصراً. بادر بهجوم ساحق على الفور ولا تتوانى. سيكون في أضعف حالاته بعد هجومي هذا إن لم يقضي عليه).

ارتطمت الشمس بجسد (إنكي). لم يتوقع هذا على الإطلاق. قوة

النار كعنصر أولي متجسّدًا. كان الاصطدام كونيًا. طار جسد (إنكي) للخلف وقد استحال كرة نارية مشتعلة. انقضت عليه كرة الشمس مرة ثانية، وثالثة، ورابعة. تقاذفت جسده وكأنه دمية لا حول لها ولا قوة. كان جسد (إنكي) لا ينفك يحاول التجسّد في كيانه المائي، ولكن لم تمهله هجمات (شمس) العنيدة. فكلما حاولت جزيئات الماء شفاء الجسد المحترق كانت كرة النار تعيد إشعاله مجددا. كان هذا ينهك (شمس)، يستنزف جسده ووجوده، كان (سين) يعلم هذا، يعلمه ويتألم له. واعترف أخيرا بمدى حماقته، حماقته في جرّ قدم أخيه لحربه الخاصة، وحماقته في عدم الاستعداد جيّدًا لحرب مثل هذه، فجبار الماء ليس بالخصم السهل أبدًا، اعترف لنفسه بهذا متعجّبًا كيف اكتفى بالانزواء بمدينته والاكتفاء بها إن كان بمثل هذه القوة. وارتأى أن أخاه كان على حق، كان لابد من انتظار حلفاء آخرين. ورغم امتنانه لوقوف أخيه بجانبه حتى النهاية -حرفيًا- ولكنه شعر بسخط هائل لدفعه أخاه لتقديم حياته على المحك من أجل معركة لا ناقة له فيها ولا جمل. معركة السيد الأصغر المدلل.

فور بدء نزال الشمس والماء الفردي، تفككت أقماع الماء وسقطت أرضًا بهدير عنيف، وكأن دفقة من شلال هائل انهمرت لوهلة من السماء، سارع (سين) -مستغلًا الفرصة- بتفعيل سحر القمر الأحمر. فاستحال قرص القمر لكرة حمراء قانية مخيفة، وانتظر بترقب نهاية سجال النار والماء الذي يدور أمامه، ليقوم بالهجوم الأخير والحاسم. لاحظ (سين) بطرف عينه قطرات الماء تأتي من كل حذب وصوب. موجة الماء التي كانت تتسرب بعد تفكك الأقماع المائية بدأت تتحد من جديد لتتسرب في شكل خيوط شفافة من ماء، اتجهت

نحو (إنكي) وكأنه مغناطيس جاذب، بدأت تمائل (إنكي) المائية المتناثرة بين أطلال (إريدو) تتفكك وتتجه نحو جسد سيدها وخالقها. كل ذرة ماء بالمنطقة كلها اكتسبت إرادة تابعة لسيد الماء وصارت تتجه نحوه. تجمعت سحب كثيفة بالسماء من اللاشيء، تكدست واهتزت ثم تشققت بألسنة من برق قبل أن تفرغ أثقالها نحو (إنكي) مباشرة. حتى الأرض ارتجت وينابيع ماء يغلي تندفع نحو جبار الماء، ماء باطن الأرض اندفع ليؤازر سيده.

كان المشهد خرافيًا. كرة النار الملتهبة -الشمس- تدور حول نفسها ولا تكف عن مطاردة الكيان المائي المحترق فتزيده احتراقًا، بينما يأتي الماء من كل مكان، من السماء والأرض والجو، لتعضد الكيان المائي وتزيد من سرعة شفاؤه. وأمام أعين (سين) الذاهلة بدا واضحًا أن الكيان المائي يتغلب على إصاباته النارية المستمرة، وبدأ يتخذ رويدًا رويدًا الشكل المائي. فلما اكتمل شفاؤه وصار كتلة من ماء تدور حول نفسها، إعصار مائي متجسد، قام بلطم الشمس بقوة ليعيدها للخلف للمرة الأولى منذ بدء النزال.

انفصل جسد (شمس) -الذي ما زال مشتعلًا بإصاباته- ليهوي أرضًا لا يقدر على الحراك، بينما ابتعدت الشمس -المنهكة- لتستقر خلف جسد سيدها المصاب بشدة، وضوؤها يكاد يخبو. كبح (سين) رغبته في الهجوم على خصمه الذي ترك هيئته المائية الأولية، واتجه نحو (شمس)، ولكن لطمه أخوه في عقله بقوة: (دعك مني. أنا هالك لا محالة. هذا الوغد قوي حقًا. بادر باستغلال لحظة ضعفه هذه بعد استهلاكه لقوته وهاجمه بكل قوتك. إن أردت إنقاذ حياتي تخلص من وجوده).

لاحظ (سين) بالفعل أن (إنكي) فقد ابتسامته الظافرة المستفزة
وهدوءه الظاهري، فأخذ نَفَسًا عميقًا، وحاول السيطرة على مشاعره
- خاصة الغضب- وترك فقط بداخله الرغبة في الفوز.
وبدأ نزال شخصي عنيف بين سيد القمر وجبار الماء.

مردوخ

بقلب مدينة (بابل) السماوية، وبقمة الزقورة الرئيسية حيث جلس (مردوخ) على كرسيه يراقب المعركة الدائرة بمدينة (إريدو)، معركة ثالوث قوى الطبيعة، الشمس والقمر والماء، لم يبدو متفاجئًا بسير الأحداث حتى الآن، بل بدا عليه شيء من الضجر وهو يتساءل عن السبب الذي جعل المعركة تطول حتى الآن، لماذا يبدو له (إنكي) متساهلاً حتى الآن، كان قد توقع أن يُجهز على خصميه في دقائق، كان رهانه -الذي نادراً ما يخطئ- بانتصار (إنكي) منذ البداية، يعلم أنه سينتصر مهما تغيرت أحداث النزال، حتى ولو أعيد مئة مرة، يكفيه قدرته اللانهائية على التجدد والشفاء والتي تجعل من هزيمته ضرباً من الخيال العبثي.

كان يرى ما يحدث عبر عيني كاهن المعرفة الجالس القرفصاء بجانبه، ساحر لديه القدرة على رؤية الأحداث ونقلها عبر المكان ثم إعادة بعثها لعقل مريدها، أحد كهنة النار العمانية، والذين لدى كل كاهن منهم قدرة سحرية مختلفة تجعلهم جيشاً لم يملك أحد مثله من قبل. جيش الغابر (النمرود)، والذي اغتيل في المعركة الأخيرة ضد سيدي الصواعق حفيدي (أنو). كثر وجهه عندما تذكر اغتيال ساعده الأيمن (النمرود)، ثم لان من جديد عندما تذكر قدرة أسياذ الصواعق على مواجهته بمعركة قمة الزقورة منذ زمن ليس ببعيد. كان يملك من الحصافة ما يجعله يفكر إن خسارة (النمرود) -رغم ما تحمله من خسارة يستحيل تعويضها- ولكنها جاءت بمكسب لم يكن يتوقعه، تمثّل في وجود فريق قوي متعاون قادر على أن

يكون ساعداً جديداً له، ربما أقوى من (النمرود) أيضاً. فريق أسيا د الصواعق، والذي يُعَوِّل عليه كثيراً في حربه القادمة ضد العوالم الأخرى، السماوية منها والأرضية. لهذا تركهم ليقوموا بحربهم الانتقامية من أجل استعادة ملكهم الذي سلبهم منه أسيا د الحديد، والذين اغتالوا جدهم (أنو) -سيد الصواعق الأول- في قصره، وأعلنوا أنفسهم أسيا داً لعالم (سومر) السماوي الجديد. لديهم كل الوقت للاستعداد والانتقام لجدهم ومملكتهم وكرامتهم، لتكن الحرب بين أسيا د الصواعق وأسياد الحديد، ولينتظر المنتصر ويكافئه بنيل شرف أن يكون فرداً بجيشه في حملاته الاستعمارية الكونية.

عاد لمعركة الثالوث، اختار (إنكي) منذ البداية، اعتبره أحد قائديه بالفعل في جيشه المستقبلي، يعلم يقيئاً أنه لن يعجزه زوج من الأسيا د مهما بلغت قوتهم، ربما أعجبه قليلاً قوة سيد الشمس، فوجئ بقدرته على التصدي لجبار الماء، بل وتمكّن بالفعل من تدمير مدينته، وهو خطأ لا يمكن اغتفاره لـ (إنكي) من جهة، ولكن عاجلاً أم آجلاً سينهزم الشقيقان، لأنهما شقيقان، فلا سبيل للعاطفة أن تتغلب على العقل المجرد من الإحساس، كعقل (إنكي) العملي، والذي بادر بغرس رمح جليدي بجسد أبيه لقا رآه عقبه في طريقه لتحقيق أحلامه الاستعمارية. هذا هو المحارب الذي لا يمكن مواجهته، في حين ستقف العاطفة بين الشقيقين عائقاً ضدهم كما حدث بالفعل عدة مرات، فبدلاً من التآزر لهزيمة (إنكي) كان تآزرهما من أجل الدفاع عن بعضهما البعض، وهذا خطأ قاتل سيودي بحياتهما بعد قليل.

سأل كاهن النار ليأخذ رأيه في (شمش):

- ما رأيك بسيد الشمس هذا؟ بما أنك ساحر مثله تتحكم بعنصر النار؟

أجابه الكاهن على الفور بصوت رنان:

- لست مثله. من المفترض امتلاكه لقوة جسدية -فيزيائية- لا سحرية فقط. ولكنه يبلي جيدًا حتى الآن. لقد تمكّن من إحراز نصر صغير بالرغم من وجود سيد الماء وهو ما يُخْتَسَب له. ولكنه يحتضر على كل حال. أعجبني استخدامه لنيران باردة. كراته النارية كانت كابوسا حقيقيا لمدينة سيد الماء. ولكن تفكيره المستمر في الدفاع عن شقيقه كانت نقطة ضعف جعلته لا يهاجم بكل تركيزه وقوته. بإمكانه أن يفعل أفضل من هذا. ولكن قُضِيَ الأمر.

غمغم (مردوخ) بصوته الخشن القوي وكأنه يتحدث مع نفسه:

- أحتاج (إنكي) كقائد دفاعي. ساحر لا غبار عليه بقدرته على الشفاء اللحظي اللامحدود. ولكن (شمش)، إنه مشروع لمحارب هجومي قوي سريع قادر على مباغته الخصم في لحظة. إن كانت قدرة (إنكي) على الشفاء أضعف قليلا، لو كانت كقدرة (سين) الشفائية البطيئة على سبيل المثال، لكان (إنكي) جثة متفحمة منذ بدء المعركة.

تنهد بحزن وأكمل:

- لقد هزمته عاطفته، ولكن ما زال لدينا بدائل أخرى. عالمنا السماوي يبدو مُبَشِّرًا حتى الآن.

عادت ذاكرته لمعركة قمة الزقورة، التي أظهر فيها سيدا الصواعق حفيدا (أنو) أنه بإمكان العاطفة -أحيائًا- أن تكون ذات فائدة، فقط لو تم استغلالها على الوجه الصحيح، فالعاطفة تقوّي القدرات بلا شك ولكن فقط إن كانت عاطفة إيجابية لا سلبية، وهذا نادر الحدوث. وما فعلته العاطفة بسيدي الشمس والقمر حتى الآن، وحتى بسيد الماء، لم تكن إلا عبثًا لا أكثر. ولكنه رأى نظرة بعيني (سين) الآن تعني أنه أخيرًا قد فهم كيف يمكن استخدام العاطفة بطريقة إيجابية، وبدأ يشعر أن النزال سينتقل لمرحلة أكثر إثارة وقوة.

هل سينتصر (سين)؟ لن يكون حزينًا وقتها -وإن استبعد هذا تمامًا-، سيخسر رهانه ولكنه سيكسب محاربًا لا يستهان به. لم يتعجل توقعاته وبدأ يسترخي بكرسي ملكه أكثر، وعلامات الاستمتاع تغزو ملامح وجهه، وهو يتمتم بصوته الخشن القوي:

- ليتصادم الماء والقمر!

معركة الثالث الجزء الرابع

أطلق (سين) طاقة قمره الدموي، فاهتز القمر للحظات قبل أن ينفصل عنه قمر آخر مماثل له حجمًا ولكن بلون أحمر دموي، تدرج ككرة كانت تتضخم مع اندفاعها للأمام نحو (إنكي) الذي كان ما زال يتعافى من صدامه مع طاقة الشمس النارية الجسدية، ثم ازدادت سرعة القمر الدموي لينقض كالسهم نحو جسد (إنكي). (ساعدني يا أخي)! ذهش (شمش) كما لم يحدث من قبل، إذ لم يسبق لأخيه (سين) أن طلب منه مساعدة من قبل قط، لم يشعر أن أخاه قد يفعلها أبدًا، كان يعلم أن أخاه الأصغر مصابًا دائمًا وأبدًا بعقدة اضطهاد تتنامى منذ فقدان (أداد)، والتي تضاعفت وتعاظمت بعودته حيًا، لذا فقد كان على يقين أن شخصية أخيه (سين) قد انسحقت بتأثير كبرياء سقيم، يجعله لن يعترف بضعفه ولو على فراش الموت، هذا تطوّر مؤثر سيجعله يضحي بحياته من أجل أن يستمتع أخوه بالنصر.

لهذا لم يتأخر وسارع في إجابة أخيه على الفور: (لقد فعلت بالفعل وأنهك قواه. استغل الفرصة ولا تكف عن هجماتك). ثم أكمل، وهو يتابع بعينه القمر الدموي الضخم يصطدم ب(إنكي)، الذي سارع بتكوين جدار جليدي واقٍ، ولكن اندفاع القمر سحقه وصدّم جسد سيده وألقاه على ظهره بجروح متعددة عميقة بشتى أنحاء جسده.

وبينما ينضح الماء من جسده لشفائه، سارع (شمش) بالقول عقليًا لأخيه: (قدرته على الشفاء. لا يمكن هزيمته حتى ولو اجتمع الأسياد جميعًا وهاجموه. لابد من شلّ قدرته هذه. حاول السيطرة عليها

وسأقوم بهجمة سريعة قاتلة تنهي وجوده الكريه بالعالم. استنزف قواه كما فعلت منذ قليل).

استجمع (سين) أفكاره بينما يقوم (إنكي) بشفاء جسده. ما يعرضه عليه أخوه هو انتحار. يطلب منه تكبيل (إنكي) ليقوم هو بهجوم يُنهي عليهما الاثنين معًا، يقدم له أخوه انتصارًا بمن مرير حياته. لام نفسه على تفكيره السيء بأخيه من قبل، وتمنى لو عاد الزمن به للخلف قليلًا. كان سيغير الكثير، ولكن فات الأوان، ولم يعد بالإمكان إلا إنهاء هذه المعركة منتصرًا وإلا ضاعت تضحية أخيه هدرًا.

حاول أن يستعيد بذاكرته المعركة من أولها، بحث عن نقطة ضعف ل(إنكي)، وجدها. نقطة ضعف خصمه والتي يملكها هو. الحجر. قوة الحجر لها اليد العليا على قوة الماء. هذا بديهي. لا يدري لماذا غابت عنه هذه النقطة ولم يستخدمها من البداية كاستراتيجية أساسية للفوز. نفخ بضيق، لا يهم الندم الآن، فما كان قد كان، ولتبدأ المعركة الحقيقية الآن.

أرسل الرسالة العقلية لأخيه فاستوعبها على الفور. وبدأت الهجمة المشتركة لهما أثناء تعافي سيد الماء. انطلقت طاقة من القمر، مائلتها طاقة من الشمس. اندمجت القوتان، لتظهر للوجود كرة نارية ضخمة، لم يكن سطوعها كسابقها، يبدو أن طاقة (شمس) قد ضعفت كثيرًا، ولكنها كانت تكفي لجعلها مؤذية لجسد (إنكي)، وهكذا قام الشقيقان بتوجيه كرة النار نحو (إنكي). الذي ابتسم للمرة الأولى منذ فترة طويلة، وهو يرى كرة نار تنقض عليه، فغمغم وهو يرميها برمح جليدي ضخم قادر على تدميرها في لحظة:

- كرة نارية فقط؟ هذا مهين!

انقضت كرة النار. هوى عليها الرمح الجليدي. انكسر الرمح على السطح الناري متحولاً لجزيئات متطايرة من الماء، وانطفأت النيران أمام أعين (إنكي) المذهولتين، النيران التي لم تكن إلا غطاءً -تمويهاً- لشيء آخر، كرة داخلية من حجر. صخرة ضخمة قمرية وجدها (إنكي) تهوي على جسده مباشرة بقوة غاشمة. كرة خلقها (سين) وغلفها (شمش) بنيرانه، فسقط (إنكي) في الفخ، ليفاجأ بالصخرة تهوي على جسده وتدكّه دكاً.

(هذا ما كنت أريده يا أخي). قالها (شمش) بلهجة متخاذلة فارتجف (سين) بوجل. أكمل (شمش): (كم كنت أحبك يا أخي). صاح (سين) بمزيج من الغضب والخوف والندم صيحة ارتجت لها السماوات والأرض. بينما تحامل (شمش) وقام، ثم انقض على (إنكي) وصيحة عقلية ساخطة تقول بكل العقول: (لتنهار الشمس وتفنى، ولكنه لن يكون فناءً بلا مقابل. سيكون ثقباً أسوداً عاتياً لا يبقى ولا يذر. الثقب الأسود).

كان جسد (إنكي) قد استحال بقعا من الماء متناثرة في الأرجاء، ولكنها سرعان ما بدأت تتحرك لتلتحم من جديد بسرعة لتعيد تكوين جسده، تحوّل (شمش) لشمس حقيقية، لم تكن ساطعة كما كانت ببدء النزال، ولكن كان سطوعها يقل بالتدريج كما لو كان عن قصد. وقبل أن يكتمل جسد (إنكي) انفجرت الشمس، كان انفجاراً صامتاً أشبه بقنبلة لونيّة ساطعة. ألف ألف لون تموّجت في حلقات حول أشلاء الشمس المنفجرة. تهاوى (سين) على قدميه متخاذلاً وهو

يتابع فناء أخيه مضحيًا من أجله. من أجل نصره. من أجل معركة لم يقتنع بدخولها من البداية، ولكنه حاربها حتى النهاية من أجله أخيه. حتى نهايته هو شخصيًا.

تداخلت الألوان وتمازجت. أقواس قزحية متراكبة. كرات ضخمة بيضاء فاقع لونها. خطوط من الأزرق والأحمر. نجوم صفراء. أحزمة خضراء طوّقت كل هذا المزيج. ما زال جسد (إنكي) يتعافى بأقصى سرعة، وقد أدرك وعيه بفزع الهول القادم. ثم انتهى كل شيء فجأة، تهاوت دوامات الألوان لتتقزم بسرعة حتى تجمعت في نقطة واحدة سوداء، ثم تعاظم السواد ليصير كرة صغيرة قبيحة تدور حول نفسها باستمرار، وتكبر ببطء، جاذبة كل ما حولها من طاقة، من مادة، من زمن.

احتذى (سين) بقمره الحامي، طوّقه القمر الجليدي. بينما بدأت كل الموجودات حول بقايا انفجار الشمس -الثقب الأسود- تهتز وتتمايل ثم تتجه -كُزها- نحو مركز الثقب الأكل للمادة. تطايرت طبقات التراب المغطية للأرض. أنقاض مباني (إريكو) الحجرية ارتفعت بلا حول ولا قوة، لتطير نحو مركز الثقب. توقف شفاء جسد (إنكي)، وقطرات الماء تحارب لتتشتت خارج الجسد بدلا من التجمع نحوه. تراقصت قطرات الماء بين قوتي جذب وطرده. قوة جذب سيدها جبار الماء نحو الجسد الذي لم يكمل شفاءه، وقوة طرده نحو الثقب الأسود الكوني الجبار. بدأ الثقب يصدر صوت زمجرة مخيف، ربما كان صوت احتكاك الأحجار والرمال والماء وهي تتزاحم ليتم ابتلاعها بقلب السواد، وبدأ الثقب يتسع فتضاعف قوة جذبته الرهيبة، حتى تغلبت على قوة جذب (إنكي) وبدأ جسده يتفكك

ببطء. حتى (سين) شعر بجدار قمره الجليدي يتفكك، فأيقن أنه سيصير ضحية نيران صديقة -نيران أخوية إن جاز التعبير- إن استمرت طاقة الثقب في التعاظم.

أصدر (إنكي) زئيرًا رهيبًا وهو يتحول لكيان صافي من الماء. لم يدر (سين) أن قدرته التخاطبية كانت قادرة على التقاط أفكار (إنكي) إلا الآن، أو ربما لأنها وصلت لحدٍّ غير مسبوق. فقد كان (إنكي) يزار ويهدر: (لن أموت اليوم). استعاد قدرته على جذب الماء لكيانه وهو يتحول لإعصار رهيب من جداول شديدة السمك تدور بمنتهى العنف حول نفسها فتتضخم. كان يتحدى الثقب الأسود. وبدأ بالفعل للحظات يجذب الماء من أفق حدث الثقب الأسود. اتجهت جزيئات الماء -أمام أعين (سين) غير المصدقة- اتجاهًا عكسيًا نحو جسد جبار الماء. قوة الماء الأولية تفوقت على قوة جذب بقايا قوة الشمس الأولية، ثم تعادلت الكفتان مرة أخرى عندما بلغ حجم الثقب الأسود حجم قصر (إنكي) العملاق. وبدأ الثقب نفسه يهتز، محاولًا جذب كيان الماء، الذي كان يهتز بدوره محاولًا اجتذاب الثقب نفسه نحوه في سابقة مستحيلة فيزيائيًا. بدأ ظلام كئيب يحلّ على المكان كله، إذ كان الثقب يجتذب الضوء فيما يجتذب من حوله، وخلال لحظات عمّ ظلام حالك المكان فلم يستطع (سين) أن يرى أصابعه إلا على ضوء فضي شحيح نجح في الهروب من قوة جذب الثقب الأسود، مؤقتًا.

انتهت مقاومة القمر، هكذا شعر -وأيقن- (سين). لم يعد قادرًا على تحمّل قوة جذب الثقب الخارق. الثقب الذي خلقه أخوه كمحاولة أخيرة لدحر خصمهما ستكون وسيلة موته هو، موتها الاثنين، ربما

الثلاثة! يا له من ثالثوث دموي حقًا!

في هذه اللحظة فقط تصرّف (سين) تصرفًا أخيرًا. حرّك قمره ليدور حول نفسه حركة عكسية. بدأ الظلام يتبدد والضوء يعود. تضاعل حجم العقب وصارت الموجودات تندفع من قلبه للخارج. حتى جسد (إنكي) بدأ يتخلص من كونه طاقة صافية ويعود للجسد الذي يحاول التعافي. لقد فعل (سين) - في غمرة لحظة يأسه- تعويذة الزمن المعكوس. الآن يعود الزمن قليلًا للخلف، ليس زمنًا بعيدًا، لأنه لو كان باستطاعته لعاد بالزمن البعيد، لعاد لطفولته، واحتضن أخاه (شمش) حضا لا ينتهي. عاد لنقطة ما قبل تحوّل (إنكي) لكيان الماء الصافي، وقبل تطوّر العقب للكارثة التي ستقتله هو شخصيًا. شعر بتعويذته تستنزفه كما لم يحدث من قبل، إنها تعويذة شبه محرمة ويعلم أنه لا يجب استخدامها، وإلا كان غضب العالم السفلي وسيّدته عاتيًا. إنه أشبه بمحاولة تغيير للقدر. ولكنه لم يعد يبالي، لا بالعالم السفلي ولا البشري ولا حتى السماوي. كل ما يهمه هو تدمير خصمه وإنهاء معركته بالانتصار، إذ أنه لم يعد لديه ما يخسره بالمعنى الحرفي.

طار بجسده بسرعة خرافية، طار عبر زمن متجمد. كان كل شيء ساكنًا حوله بينما تحرك هو كطائر خارق السرعة. كانت الأحجار -بقايا أطلال مباني (إريدو)- تحلق حوله وكأنها على سطح بحر هادئ. التقط أحدها، قبض على طرفه بقوة فجعله مُسنّنًا كطرف رمح. كُشّر وصارت ملامح وجهه الوسيمة شديدة القبح، وهو ينقض على جسد (إنكي) الذي يحاول التعافي، وصاح بكل ما يملك من قوة وضعف ويأس وأمل وسخط:

- من أجل أخي!

كانت طعنة قوية مباشرة، اخترقت الجسد المائي - نصف المائي الآن إذ كان بمنتصف محاولة التعافي - واستقرت بين جزيئاته. ترك الرمح مخترقا للجذع وانتظر. شعر بالألم القاصف يكاد يدمر رأسه ولكنه لم يتوقف عن تدوير القمر في الاتجاه العكسي، وهو يتمتم بضعف:

- فقط عدة ثواني أخرى. ظل متجمدا أيها الزمن لعواني أخرى لا غير. هذا كل ما يحتاجه الجسد المائي ليتحلل ويفنى في ظل توقف شفائه!

بدأ جسد (إنكي) يتفكك بالفعل. توقف الشفاء لفترة كافية، ساهمت - مع إصابة (شمش) المباشرة الأخيرة قبل انفجاره - في تفكيك الذرات بشكل لا نهائي. وهكذا. وبدون أن يفهم وغي جبار الماء ما يحدث، كان جسده قد صار لا شيء. مجرد ذرات تحولت من ماء لا شيء. ولم يعد هناك وجود لجبار الماء للأبد.

بدأت حركة القمر العكسية تقل، إن التعويذة تنتهي. سارع (سين) بالفرار من المكان قبل عودة الزمن وعودة التهام العقب الأسود لكل شيء حوله، بما فيه جسده هو شخصيًا. حلق بأسرع ما يملك ليطوي الصحراء ما بين (إريكو) و(إور)، المدينتان الغابرتان. ورغما عنه استطاع أن يرى الظلام يعود يسود خلفه، ويلقن الأفق بظلام شيطاني ملتهم. استطاع سماع أصوات انفجارات وسحق وطحن. ووصله الظلام حتى حدود مدينة (أور)، فشعر بالخوف للحظات وهو يحتمي بقمره الجليدي، وظن أن العقب سيلتهم العالم السماوي

بأكمله، ولكن فجأة انتهى كل شيء، وانتهت مرحلة الابتلاع، فبدأ
الظلام يتبدد، والضوء يعود وكأن شمسًا جديدة قد بزغت بالعالم.
عالم بلا (إنكي) جبار الماء، عالم بلا (شمش) سيد الشمس.

و رغما عنه، رغما عن انتصاره على أحد أعتى جبابرة العالم
الساوي، لم يتمالك نفسه وهو يسقط أرضا، يبكي بحرقة كطفل
صغير.

غزاة العوالم

تناهى لسمعه صوت تصفيق بطيء من فوقه، تعجب، مسح دموعه بخجل وهو يعتدل، ثم نظر فوقه، فزاد العجب.

رأى كائنًا أسمر البشرة، يحلق فوق حلقة قرمزية من جماجم، يطوي زوجًا من الأجنحة الرقطاء بالأبيض والأسود، وهو يهبط ببطء ليقف أمامه. ويبتسم ابتسامة عريضة تبدو ودية، رغم قسّات الوجه التي توحى بقوة البأس.

تحفز (سين) وهو يسأل:

- من أنت؟

أمال (مردوخ) رأسه وقال بخشونة:

- أنا (مردوخ). سيد أسياد العالم البابلي السماوي. أقوم بتجميع مقاتلين من الأسياد. من يصلحون فقط ليكونوا تابعين لي.

استعاد (سين) جأشه بعد خسارته لأخيه، وقال بسخريته المعتادة وقد بدأ يكتسب شيئًا من قوته:

- ومن قام بتنصيبك سيدا للأسياد؟ أليس الأمر مبتذلا بشدة؟ كلما شعر سيد سماوي بالملل سارع بتنصيب نفسه ملكا للعالم. هذا جنوني. تمام كما أراد سيد الماء قبل أن أحطم جسده منذ قليل، لقد ظن نفسه سيدا فوق كل الأسياد.

- وتماما كما أردت أنت!

- ولكني ناجح حتى الآن. اذهب لمدينة (إريدو) وسترى قوة

حجتي. مدينة صارت أنقاضًا. مدينة صارت بلا سيد.

اقترب منه (مردوخ) ببطء أكثر فشعر (سين) بالقلق خفي لم يدر له سبب، فلما صار ملاصقا له وبدا فارق الطول لصالح العملاق (مردوخ) قال بهدوء:

- لقد تابعت المعركة. معركة ثالوث قُوى طبيعة حقا كما يجب أن تكون. أغضبني فوزك بادئ ذي بدء. جعلتني أخسر رهائي. كان لابد من فوز سيد الماء، كان هو هدف تجنيدي ولكن لا بأس. أعجبني صمودكما في وجه جبار الماء بادئ ذي بدء، ولكن -يا للسماء- لقد كان الأمر أكثر من مجرد صمود، لقد كان نزالا سجالا. كم أعجبتني تضحية أخيك وتحوله لثقب أسود لا يبقى ولا يذر، ولكن ما أعجبني أكثر استغلالك لتضحيتك واستخدامك لتعويذة محرمة لا غبار عليها. لقد أظهرت لي قوة وبراعة وذكاء، فاجأتني حقًا وهذا ما لم أعتاد عليه. بل وأظهرت تحدي أيضا لملكة العالم السفلي. السيدة (إرشكجال) مروضة طيور (سجيل). أتظن أنها ستترك أمر تعويذتك المحرمة يمر بدون عقاب؟ خاصةً أنها ليست مرتها الأولى لعقابك. لقد أرسلت (أداد) من قبل، ألا تظن أنها قادرة على بعث (إنكي) من جديد لعقابك؟

صمت (سين)، تراجع للخلف قليلا وقد نفر من اقتراب (مردوخ) الجسدي والذي جعله يصاب بالقشعريرة، ولكنه فكر بعمق في كلامه. كان التفكير ميزة جديدة لم يكن يمتلكها من قبل، لم تكن جزءا طبيعيا بشخصيته، ولكنه اكتسبه منذ قليل بالطريقة الصعبة. وهكذا لم يجد أن كلام (مردوخ) يجافي الصواب، بل على النقيض فكر أنه

سيكون أكثر العقابات منطقية - وقسوة- ببعث (إنكي) من جديد. وستكون حينئذ تضحية أخيه (شمش) ضاعت هباءً. بل والأشد قسوة أنه لا يعتقد أنه سيكون قادرا على الصمود في وجهه مرة أخرى، خاصةً وأنه قد فقد أخاه.

قال ل(سين) بتسليم:

- وما الحل؟ أن أخضع لك؟

باعد (مردوخ) ما بين يديه وهو يقول بتعال:

- الخضوع لي ليس أمرا اختياريا. سواء أنت أو (إنكي) أو (شمش). سواء أسياد الحديد أم أسياد الصواعق. المرتزقة ووحوش الأسياذ الحيوانية. كلكم ستخضعون لي، هذا أمر بديهي تفرضه حقيقة أنني سيّد خُلِقَ من طينة تفوق طينتكم تطوّرا بمراحل. أنا طفرة لا تحدث إلا مرة كل عدة أجيال. الأمر يفوق الخضوع يا ابن القمر. الأمر هو تشريف لا تحلم بأن تطلبه. أن تحارب تحت إمرتي سيكون شيئا يزيدك شرفا. سترى كائنات لم تكن تعلم بوجودها. سيهون أمر العالم البابلي السماوي بعينيك وتصبو لغزو العوالم الأخرى التي لا حصر لها.

برقت عينا (سين) للحظات وهو يتخيل نفسه غازيا يحارب كائنات من عالم آخر، هذا يفوق أطماعه جموحا. لامست رغبات (مردوخ) الاستعمارية وترا قديما لدى (سين)، فطرب له طربا شديدا، ووجد نفسه يميل للانضمام لهذا السيد الذي يبدو أنه يعلم جيدا ما يقول. وعلى كل حال لم تعد هناك (أور) ولا (إريدو) ليحكمها، ولم تعد (لارسا)- مدينة أخيه (شمش)- مغربة الآن، بذكر عوالم أخرى

كاملة. هذا قدره، سيحكم ممالك بعدة عوالم لا مدينة صغيرة بعالمه السماوي فقط.

شعر (مردوخ) بميل (سين) لأهوائه، فأعطاه رصاصة الرحمة لجعله يتبعه بطيب خاطر، فقال له:

- لا يشرفني أن يكون سيدا ضعيفا ماكرا جبانا مثل (أداد)
- شقيقك القديم- تابعا لي. ولولا أنه لقي حتفه مجددا - بعد بعثه حيا- لكنت قدمت لك رأسه على طبق يمتلئ دما كهدية مجانية، ولكنه مات بالفعل. وبما أن الشقيق الأكبر قد لقي حتفه بالفعل - وبشكل مشرف-، أزعم أنني أملك الآن الشقيق الأكثر قوة وذكاء بين الثلاثة العظماء. الناجي الذي بقي حيًا بعد معركة العالوث الدموية.

أنهى كلامه بأن مَدَّ يَدًا قوية سمراء نحو (سين)، تأمل (سين) اليد مليًا، طافت بذاكرته عدة وجوه: (شمش) المبتسم، (أداد) العابس، (إنكي) الواصل، ثم جاء وجه مظلم لا يرى ملامحه، لا يعلم ملامحه، وجه تحوطه ملايين ملايين الطيور الجارحة، طيور (سجّيل) المصاحبة لملكة العالم السفلي (إرشكجال). كان للوجه الأخير الأثر الأقوى في حسم رأيه، أثر أقوى من وجه (شمش) حتى. فقام بمد أصابعه ليلتقطها (مردوخ) بقوة ويضغط عليها، مبتسما بجانب فمه، مغمغما:

- أهلا بسيد القمر في جيش (بابل) السماوي الأقوى في الكون!

أسياد الحديد

الفصل الأول

انعكست أشعة شمس الغروب القرمزية على دروع سَيِّدَي الحديد، سَيِّدَي مدينة (كيش) عاصمة المملكة السماوية الجديدة. الحاكم (زابابا) والمحارب (نينازو). كان كلاهما مرتديًا كامل لباسه الحربي ودروعه كعادته، وكأنهما لا يلبسان شيئًا غير رداء الحرب. خلع الحاكم (زابابا) خوذته لتبدو ملامح وجهه القاسية، وتلاعب الهواء بأطراف شعره الأكثر المجدول القصير نسبيًا. بينما احتفظ (نينازو) بخوذته والتي كان نادرا ما يخلعها. وكان يكتفي بالنظر للأفق المائل للظلام بصمت.

شاكسه (زابابا) قائلاً:

- أتنام مرتديًا خوذك؟

لم يبتسم (نينازو)، بدا مهمومًا بشدة واكتفى بأن خلع خوذته ووضعها بجانب خوذة (زابابا). كان (زابابا) يظن نفسه غارقًا في أفكاره، فلما رأى النظرة الثقيلة بعيني المقاتل (نينازو) أيقن أن عقله يضطرم بما يفوق التحمل. حاول أن يمزح مرة أخرى مع (نينازو) فقال له:

- أعتقد أن وجهك يحمل ملامح حاكم مشغول بمملكته أكثر من وجهي.

بالرغم من أن (زابابا) يمزح، لم تبتسم خلجة بوجهه، ولولا فحوى الكلام المازح لبدا شديد الجدية. لم يلتفت (نينازو) نحوه وهو يقول بشرود وكأنه يحدث نفسه:

- أتدري أن (موشوسو) كان يحمل وَغْيًا وذكريات خاصة به؟

غرق (زابابا) في بحر أفكاره. (موشوسو) الوحش، التنين، أحد الأسياد الوحشية، فكما هناك أسياد شبه بشرية - مثل سَيِّدَا الحديد- هناك أسياد وحشية مثل التنين (موشوسو). وحده المحارب المخضرم (نينازو) نجح في ترويضه وصار سيذا له، ونمت بينهما علاقة تطورت لتصبح كعلاقة الحليفين. كانا يتفاهمان بالتخاطر، ونجح اتحادهما الفريد من نوعه في حسم عدة معارك حاسمة من أجل (كيش). حتى كانت نهاية علاقتهما بمصرع التنين في معركة المطر والأسهم، عندما أغار على مدينة (كيش) حلف انتقامي بقيادة السيدان (أداد) و(آشور)، بغرض تحقيق العدالة -ظاهريًا- والانتقام لمقتل ابن (آشور)، وبِذء حرب السيطرة على كل مدن (سومر) السماوية كسبب فعلي. كانت حربا ضروسا انتهت بانتصار سَيِّدَي الحديد وقتلهم ل(أداد)، وفرار (آشور)، ولكنه لم يكن انتصارًا بلا ثمن، لقد فقدوا التنين، ويا له من فقد!

قال (زابابا):

- بالتأكيد له وعي. إنه كائن حي في النهاية مهما بلغت وحشيته.

أراد أن يضيف أنه حتى وحشًا مثله -مثل (نينازو)- له وعي، ولكنه أحجم عن هذا.

استرسل (نينازو):

- لا أعني وعيه كسيد وحشي. أتدري أن بداخله وغيين، وعي خاص بالوعاء الحيواني الوحشي الذي يمثله، وآخر يمثل وعيًا لسَيِّد

قديم قدم حرب الأسياد الدموية الأولى.

- وعاء جسدي يحمل وعيين منفصلين.

- صاراً ممتزجين.

- وكيف تحقّل وجودهما، أتحقّل وعيي الخاص بصعوبة.

- لقد كان يعاني، ربما لهذا كان غاضباً دائماً.

- هل هذا عقاب من نوع ما؟

- لا. من المفترض أنه ثواب.

صمت (زابابا) متعجباً ولكنه لم يسأل، فتطوّع (نينازو) واسترسل:

- لقد مات أحد الأسياد إبان حرب الأسياد، لم يكن موته رحيماً،

لقد رأى أهله يُقتلون وبيته يحترق عن بكرة أبيه أمام عينيه. لقد

مات متحسراً يفور بالغضب. مات مظلوماً. فلما انتقلت روحه للعالم

السفلي -كديدن جميع الأرواح- رقت لحاله ملكة العالم السفلي

-أمي- السيدة (إرشكجال)، وقامت بإجراء مقايضة من نوع خاص

ونادر. مقايضة من أجل تحقيق العدل بالعالم السماوي. كان العالم

السفلي قد تلقى لتوه روحاً طازجة لأحد الأسياد الوحشية، ضحية

أخرى لحرب الأسياد الدموية، التنين (موشوسو) الأصلي. أمسكت

الملكة الروحين، روح السيد المكلوم وروح السيد الوحشي، بعثت

كليهما بوعاء التنين الجبار حيّاً من جديد. وهكذا وجدت روح السيد

نفسها حية من جديد ولكن بجسد لا يمكن مضاهاة قوته. ويمكن أن

تطلق الخيال لعنانك وتخمن ما الذي فعله وعي السيد المكلوم أول

ما فعل باستخدامه الوعاء الحيواني نافث النيران.

تنهد (زابابا) وهو يقول:

- لا أود أن أكون محل أي من قتلته في حياته الأولى. ولكن لابد أن صراعًا من نوع ما حدث بين الروحين، الوعيين. صراع من نوع معقد.

- بالتأكيد. وقد ظل هذا يعذبه -يعذبهما- كثيرًا، إلى نجاح في التوصل لنوع ما من التوازن. السلام النفسي فيما بينهما.

سأله (زابابا) بحذر:

- ومن منهما كان المتخاطر معك والمحارب في صفك؟

زفر (نينازو) وهو يجيب بصدق:

- الاثنان. الاثنان معًا. وهذا سرّ تفرد (موشوسو).

اعتدل (زابابا) ليواجهه، بدأ الظلام يحلّ بالفعل ويصبغ القلعة المركزية لمدينة (كيش)، والتي كانا يجلسان على سور بأعلاها، حيث تتدلى ساقيهما من علوّ، ويمكنهما إلقاء نظرة بانورامية للمدينة كلها بمبانيها المتجمعة في مستطيل أبيض اللون، والتي تتخللها أنابيب الماء المتشعبة كجذور شجرة عتيقة تحت الأرض، والممتدة حتى الأسوار. كانت الأسوار تطل في الاتجاهات الأربعة كأضلاع مستطيل هائل، وتراصت على قممها قمم قاذفات أسهم. ثم بدت الصحراء شديدة الوعورة خارج الأسوار، توطرها من مسافة بعيدة الجبال الشاهقة من كل اتجاه ملتحمة بالسماء. موقع فريد لمدينة (كيش) يجعلها محاطة بالجبال كأسوار أخرى خارجية وهبتها الطبيعة لها.

سأل (زابابا) باهتمام:

- متى اكتشفت كل هذا؟ في أثناء مصرعه؟

عَبَّرَ وجهه تقلُّص مؤلم لوهلة مع ذكر مصرع التنين، ثم تخطاه ببسرة وهو يهز رأسه نفياً مجيباً:

- لا. بل قبلها. أثناء رحلتي للعالم السفلي. رحلتي العائلية لمقابلة أمي ملكة هذا العالم الكئيب. لقد تذكرت الأرواح الساكنة جنبات جسده رحلة سابقة عبر البرزخ ما بين العالمين. الرحلة ذات الاتجاهين والتي ندر أن تكون بغير اتجاه واحد.

انتهز (زابابا) الفرصة ليسأل بفضول:

- لَمْ نتحدث عن هذه الرحلة. كيف قابلتك الملكة؟ هل أعطتك وعدًا بمساندتنا كسيدين شرعيين للعالم السماوي؟

بدا شبح ابتسامة على شفتي (نينازو) الداكنتين وهو يقول:

- لقد حاولت قتلي!

رفع (زابابا) حاجبيه بدهشة ثم أعادهما لموضعهما ولم يعقّب، فاستكمل (نينازو):

- ولكنها أعطتني وعدًا بالتدخل إن صار مستقبل العالم على المحك.

- هذا مراوغ.

- لم أتوقع منها شيئاً بخلاف هذا، ولكنني أعتمد على تدخلها إن ضاقت الأمور.

سمع الاثنان صوتًا غير مألوف بقلب الليل الذي صار حالكًا الآن. صوت صرير مفصلات بوابة المدينة وهي ترخي جنزيرها العملاق من أجل السماح لزائر من خارج المدينة بالدخول. وضع (نينازو) خوذته بحركة غريزية، بينما اكتفى (زابابا) بالوقوف حاملاً خوذته بيميناه. لم ينطق أيّ منهما وهما يعودان أدراجهما ليهبطا الدرج الحجري للقلعة والمفضي للبهو المركزي. كان أحد الحراس يسارع بالدخول مهرولاً، فلما رآهما سارع بالانحناء، أشار له (زابابا) بالاعتدال والتحدث، فسارع بالقول:

- إنه أحد الأسياد أتى يطلب اللجوء الرسمي لمدينة (كيش)، ويعلن نفسه خادماً لأسياد الحديد.

دارت الظنون بعقليهما ولكن لم يستطع أي منهما أن يخمن اسماً بعينه، حتى كانت المفاجأة المذهلة عندما قال الحارس برهبة:

- السيد (آشور)!

الفصل الثاني (نينازو)

تلاطمت الذكريات بعقل (نينازو) كأمواج بحر تائر مظلّم. عاد بالزمن لأيام كان طفلاً. كان من الجيل الذي وُلِدَ عقب معركة الأسياد الدموية، لم يعلم له أب ولا أم. عرف فيما بعد أن أمه كانت ناجية من تلك الحرب الدامية، السيدة (إرشكجال) والتي امتلكت قوة تجعلها قادرة استدعاء جيش من طيور جارحة من عالم آخر وتستخدمها كجيش خاصة بها. أظهرت براعة مكنتها من الصمود في وجه كل من واجهها من أسياد، فلما انتقمت الطبيعة من الأسياد وما سفكوه من دماء، وخلقت الجحيم، عالم (إرالو)، عالم الأموات السفلي، استدعى الجحيم الناجية العتيدة لتكون له سيدة وحاكمة. وهكذا، نبذت السيدة ابنها -رضيقًا- ولّبت نداء الجحيم. فما كان من أبيه -السيد (نيرجال)- إلا أن حذا حذو امرأته وترك الطفل واستكمل حياته، قبل أن تستدعيه زوجته ليساعدها في حُكم العالم السفلي. تركه والداه للعالم وحده منبوذًا كخطيئة.

وجده بعض العامة من أهل مدينة (أشنونة) البسيطة، تهامست الألسن أنه ابن ملكة الجحيم السومري، ولكن لم تؤثر هذه الهمسات في القلوب الطيبة التي احتضنت الطفل وكأنه أحد أبنائهم. قاموا بتربيته وكأنه ابن لهم جميعًا. تشارك الأهالي -بل تسابقوا- في توفير مسكن ومأكل ومشرب وملبس، كانت قلوبهم على الفطرة البيضاء لم تلوثها رغبات سيطرة أو شعور بقوة مفرطة يؤدي للإحساس بالتفوق الطبقي عن الآخرين كما حدث مع الأسياد، نشأ

الفتى (نينازو) بين عقول سَوِيَّة علّمته كيف يحب الآخر بدون النظر لهويته، أخفوا هويته كثيرًا عن الأسياد الآخرين خوفًا من أي غدر قد يطوله صبيًا، فقد كان عصرا دمويًا تسبق فيه ضربة السيف الكلمة المنطوقة. نجحوا بالفعل في حمايته وإخفاء هويته حتى حين، حتى صار الفتى شابًا يافعًا فصار كتمان أمر أنه سيد جبار غير ممكن.

أظهر (نينازو) تباينًا عن أهل (أشنونة) بمجرد بلوغه، ليس مجرد مَيل لون بشرته للسمار، أو ملامح وجهه الحادة القاسية بعينييه الغائرتين ونظراته الحادة وأنفه الدقيق الطويل وشفته الرفيعة المضمومتان على الدوام، ولا حتى شعره الأكثر المجدول بخلاف سائر شعر أهل (أشنونة) الفاحم الناعم، كان الاختلاف جوهريًا وليس فقط في ملامح وجهه التي مالت للقبح مقارنةً بأهل (أشنونة). امتلك (نينازو) قوة بدنية خارقة، بالإضافة لطول فاق أطوال أقرانه بكثير. كان عملاقا بين جميع من تربوا معه. كان الفارق واضحًا للأعمى، ولكنه كان قد كبر بما يكفي للدفاع عن نفسه وعدم الاضطرار للتخفي. وقد حاول البعض التحرش به فكان مصيرهم سيئًا للغاية، إنه سيّد تجري دماء الحرب بعروقه منذ ولادته، دماء أمه ملكة الجحيم ودماء أبيه مساعدتها بالعالم السفلي.

تغلّبت نزعتة -الغريزية الموروثة- للقتال والحرب على الوداعة التي حاول العامة سكبها في شخصيته، ولكنها صقلتها وهذبتها بطريقة ما لن يدركها الفتى إلا بعد كامل نضوجه. تم الاعتراف للفتى بحقيقته، حقيقة أمه التي تسيطر على عالم سفلي مظلم يعج بأرواح الموتى، وأبيه الذي استدعته ليساعدها في تسيير أمور هذا الجحيم

السفلي. لم يتفاجأ كثيرًا، لم يعترف بأيّ منهما كوالدين له، لم يكن له آباء إلا من اهتموا به طفلًا وقاموا بحمايته وتربيته، أهل (أشنونة) جميعًا هم أهله وخاصته، ولن ينسى لهم جميل صنّعهم هذا أبدًا. ولكنهم فعلوا أقصى ما يمكن لهم أن يساعدوه به، وللسيد الصغير الآن طموحات تليق بقدراته الجسدية والعقلية، طموحات لن تنجح مدينة (أشنونة) المسالمة الوديدة في تحقيقها، طموحات تحتاج لمدينة حربية من الطراز الأول. وهكذا استقر اختياره على مدينة (كيش) المجاورة -عسكرية الهوى والتاريخ- لتكون هي مسقط رأسه الثاني والأخير. ولكنه لن يتجه إليها خالي الوفاض، سيذهب إليها سيّدًا ظافرًا لا سيّدًا نبذه أبواه فتربى متخفيا بين العامة.

تحكي عجائز (أشنونة) بليالي الشتاء -على أصوات طقطقة نيران الخشب الجالبة للدفع- عن وحوش من الأسياد عاثت الفساد بعالم (سومر) السماوي منذ الأزل. حكايات تبدو كآساطير، ولكن ما يجعلها ليست بالآساطير هي قصة الوحش (خومبابا)، والذي يقطن بغابات مدينة (الوركاء)، ويجعلها أشبه بمقبرة لكل من دخلها جاهلاً عن اتخاذ الوحش للغابات مسكنًا له. الوحش موجود بالفعل، ويكفي نظرة من خارج حدود غابات (الوركاء) للعظام المتناثرة حولها، جثث من ادعوا القدرة على غزو الغابات وقهر الوحش غير القابل للترويض. لهذا، لقا سمع (نينازو) بوجود وحش آخر، (موشوسو) التنين، صار هذا هدف حياته الأسمى حتى تحقيقه. ترويض الوحش، ودخول مدينة (كيش) ممتطيا متنه.

وهكذا، قضى (نينازو) السنين هائقا على ضفاف (الفرات)، حيث تتحد أغلب القصص المروية عن مشاهداته يحوم فوق ضفافه، لم

يكن يعلم حينها أن التنين يحنّ للبرزخ الذي يمر من خلال النهر بين العالمين -السماوي والسفلي- حيث عبرت روحه منذ زمن كسيّد اغتيل غدرا، لتعود في وعاء التنين الوحشي لتحقيق انتقامه. قضى (نينازو) ثلاث سنوات فقط يتحنّن لحظة رؤيته، يمسح النهر من أقصاه لأقصاه، ولم يكن يضيع يوما هدرا، كان يقوم بتجميع كل ما يمكن استخدامه كسلاح، ويهذب ويثذب ويعيد تكوينه ليخترع أسلحة مختلفة قادرة على الفتك بخصومه مهما بلغت قوتهم. كان يقوم بتقطيع الأغصان طيلة النهار، ثم يجمعها ويقضي الليل ينحتها بالأحجار المسننة ليشكلها كأسلحة. كان أمرا سهلا وممتعا بالنسبة له وكأنه خُلق من أجله. شعر داخله بأن الخشب لا يكفي كسلاح، حتى الحجر القاسي والصلب والذي نحتة بإصرار على مدار أيام لم يشبع رغبته الهجومية، لابد من وجود مواد أقوى من الخشب والحجر في الطبيعة، ولكنه لم يجد للأسف ما يحقق له هدفه، فاكتمى بتطويع قدرات ما لديه من مواد طبيعية حتى حين.

صارت لديه غرفة ضخمة -تفوق حجم أكبر بيوت (أشنونة)- كانت مخصصة فقط للأسلحة التي يقوم بابتكارها، كان يريد أن يكون لديه كل ما يمكن استخدامه لإخضاع التنين، وظلت فكرة قدرة الوحش على نفث النيران تؤرقه، فبهذه القدرة فقط سيستطيع إحراق جسده في لحظة لينتهي النزال قبل أن يبدأ. كان يزور أهله في (أشنونة) كلما اشتاق إليهم، يستقبلونه بالحب والود والشوق استقبال الأهل والأقارب. ويلتمسون إليه ألا يطيل الفراق، فقد أصبح ابنا لهم وجزءا من مدينتهم الأم، ولطالما حذروه من مغبة مطاردته لحلمه، للتنين، ومن خطورة تحقيقه لمراده، فإن وجد التنين فهو

هالك، وتوسلوا إليه أن يتجه لمدينة (كيش) على الفور، فإن كان لابد من الرحيل فليرحل رحيلاً مؤقتاً، لا رحيل ينتهي به جسداً متفحماً محترقاً لا عودة له. ولكنه كان عنيذاً، واثقاً من نفسه، ولم يتنازل عن الظفر بالتنين والعودة به لـ (كيش) ليدخلها دخولا لن ينساه التاريخ.

ذات ليلة، وأثناء نومه أسفل شجرة مورقة على ضفة (الفرات) الشرقية، أيقظه صوت أجيج نيران، سارع بالاستيقاظ، استل ما أراد من أسلحة وانطلق يعدو كالإعصار نحو مصدر الصوت، ولكنه كان قد خمد، ولم يترك إلا آثار لا يمكن تفسيرها خطأً. آثار أقدام مفلطحة ضخمة على الرمال.

لقد مرّ التنين من هنا.

ازدادت حماسة (نينازو)، لقد صار قوب قوسين أو أدنى من تحقيق حلمه. وصار يقضي الساعات يرسم على الرمال شتى الطرق لمهاجمة التنين والفرار من وجه نيرانه ومخالبه وضرباته المحتملة.

طال انتظاره لظهور التنين حتى بدأ اليأس يدب بروحه، فلما بدأ يشعر بأنه سيضيع عمره سدى من أجل هدف لن يتحقق، بوغت ذات يوم -وعلى ضوء شمس غارقة بأفق النهر صابغةً إياه بلون أحمر هادئ- بصدى خطوات دقيقة تسير من خلف غرفة معيشته ومخزن أسلحته في نفس الوقت. انتبه بكل حواسه، كان صوت الخطوات خافتاً ولكن لم تخطئه أذنا (نينازو) المرهفتين، وهكذا استل حجراً قصير مدبب الطرف كخنجر، متحفزاً لما سيراه قادماً يتسلل فوق الرمال خلف الشجرة المجاورة لغرفته.

ظهرت كطيف فاح عطره قبل ظهوره، دُهِش الفتى المحارب

لرؤياه لفتاة -سيدة ربما- تخطو فوق الرمال، رشيقة القَد والقوام،
لا تستر جسدها إلا بقطعة من قماش لم يره (نينازو) من قبل، قماش
أبيض ناصع يشفّ يكاد لا يخفي شيئاً أسفله، يمتد من فوق منبت
ثدييها لينسدل حتى فوق ركبتيها بقليل، فتظهر ساقان رفيعتان
بغير نحول. كانت تبتسم فزادت دهشة (نينازو)، بدت له ثلاثينية
العمر، أي أكبر منه بعقد على الأقل، وكانت ملامح وجهها هادئة
جميلة، وجه رفيع ملامحه شديدة الدقة وكأنها ملامح طفلة، عيان
واسعتان لوزيتان وأنف دقيق صغير يتربع فوق شفتان شهيتان
صغيرتان، وكان شعرها الناعم يطير بفعل الريح كشلال خلف رأسها،
حرًا غير مجدول كعادة أهل (سومر) السماوية بالكامل.

قال بما يفكر فيه:

- لست من هذه البلاد.

- مثلك تمامًا.

بتعجب وغير تصديق:

- أتعرفيني؟

- أتمنى هذا.

- من أنت؟

- لا تريد سماع الإجابة.

ضاق بها (نينازو) دَزعًا بعد أن ذهب عنه العجب، فقال لها بخشونة
وهو يوليها ظهره:

- هذا ليس بالمكان الملائم لسيدة رقيقة مثلك. خاصة وأن وحشا جبارا يحوم بالقرب.

ابتسمت ببساطة وهي تقترب منه أكثر قائلة:

- هذا سبب أدعى لابتعادك أيضًا، ولكني أراك معتكفًا هنا منذ سنين. التفت نحوها بحركة حادة صائحا:

- أتراقبيني؟

أجابت بغموض:

- ربما. قد تحتاج لمساعدة.

نخر (نينازو) ساخرا وهو يتجاهلها ويبدأ في شحذ أحد أسلحته:

- وممن ستأتي المساعدة؟ من ثوبك الشفاف أم من شعرك غير المجدول؟

- لست أحمقًا لتعتقد أن القوة تأتي من الجسد فقط.

- عظيم. أنتِ مفكرة عبقرية إذا. هنيئًا لي!

- دائم السخرية. تفرّ بها من خوفك الدفين. لهذا يبدو للجميع أنك صامد كجبل، بارد كعاصفة ثلجية. ولكنك في الحقيقة تتألم وتخاف وتقلق ككل الأسياء. ككل الكائنات الحية.

صمت (نينازو) وقد بدأ منحني سير الكلام لا يعجبه، فاكتفى بتجاهلها التام واستكمال عمله على أسلحته. فلو كان من سخر منه هكذا رجلا لكان مشقوقا لنصفين الآن، ولكنها سيدة لا حول لها ولا

قوة.

- أطاراد التنين؟

-

- هكذا تحدث الشائعات. ليس ب(أشنونة) فقط بل بسائر بلاد (سومر) السماوية. يتهامس الجميع عن السيد المنبوذ الذي يطارد شبعا على ضفاف (الفرات) منذ سنين. لقد بدأ البعض يعتقد أنه لا وجود لك، وأنت مجرد قصة مسلية ما قبل النوم.

- لا أطارد شبعا. التنين موجود. لقد رأيت آثار خطواته منذ ليالي.

- العقل يتخيل ما يريد أن يراه. ولكن، هل تريد أن تجد شبك هذا بالفعل؟ التنين (موشوسو) السيد الوحشي غير المروض؟ أخرجو على أن يتحقق ما تتمناه؟

ثم انحنى وقد اكتسبت لهجتها شيئا من الحدة أذهلت (نينازو) وهي تضيف ممسكة بجذع خشبي أشبه بسيف:

- وبماذا ستروضه؟ بهذه الأخشاب والأحجار؟

قرنت قولها بأن أمسكت الجذع بين قبضتيها وكسرتة بمنتهى اليأس كما لو كان مجرد ورقة. اتسع عينا (نينازو) بذهول مطبق هذه المرة، لا يمكن كسر جذع سميك مثل هذا بهذه السهولة، هذه السيدة ليست من عامة السماويين بلا شك إن لم تكن إحدى الأسياد. قام من جلسته لتتبعثر الرمال عن ساقيه، وهو يمسكها من ذراعها بقوة قائلا:

- هذا يريحني. لست مجرد امرأة ضعيفة. بإمكانني الآن أن أقدمك قريباً للثنين. قربانا في هيئة جمعة.

انتزعت ذراعها من بين برائنه بقوة، وأجفل (نينازو) لوهلة أمام نظرة طَلَّتْ من عينيها - وهو الذي لم تحرك آثار أقدام الاثنين شعرة برأسه- وانبرت تهتف به:

- ليست القوة حلاً لكل شيء. افهم هذا أيها المحارب. إن كان قَدْرُكَ أن تصبح مروض الاثنين فعليك فعلها كما يجب، وليس كما تريد. وإلا يُستَخْسَنُ عليك الفرار من هلاك محتوم سينال منك بمجرد نفخة واحدة من نيرانه المهلكة.

بدأت فكرة مجنونة تتلاعب بعقله - بقلبه- عن هوية هذه السيدة ولكنه لم يجرؤ على الإفصاح عنها، ووجد نفسه يسألها بفضول بدلاً من الاشتباك معها كما أراد:

- وكيف السبيل لترويضه إذا أيتها السيدة الحكيمة؟

أراد أن تخرج الكلمات ساخرة من لسانه -كعاداته- ولكنها خرجت محايدة بلا لهجة. أخرجت من خلف ظهرها سلاحاً ماضيًا، سيفاً معدنيًا عَكَسَ بقايا أشعة الشمس الذابلة، لم يدر أين كان مختبئاً إذ أنها لا ترتدي شيئاً تقريبا، ولكنه لم يهتم، إن كان هذا السلاح قد جاء من الخيال لا يبالي، فالأهم أن يكون حقيقة وقادرا على البطش.

خلب لبه لمعان السلاح، وشعر بغريزته أنه يختلف عن ما يقوم بصنعه لسنين، وخامره يقين أنه السلاح الذي كان يبحث عنه في أحلامه منذ أن صار سيِّداً بالغاً. مَدَّ ذراعه ليلتقط السيف فأسقطته

السيدة أرضا ليغوص بالرمال، زمجر بسخط ولكنه انحنى ليلتقطه ولم يعترض بكلمة، فابتسمت السيدة من جديد مغممة:

- ولد مطيع. هكذا يتم الترويض، بإظهار القوة لا استخدامها.

شعر بها تلقح لشيء. أمسك مقبض السيف، كان ثقيلا لكنه لم يعجزه، رفعه عاليًا وتمتم بانبهار:

- ما هذا؟

أجابته وهي تلمس نصله بسبابتها:

- سيف من حديد. معدن لا يوجد بعالمنا، ولكنه متوافر بغزارة بعالم البشر كالرمال بعالمنا السماوي. لمسة واحدة منه قادرة على اختراق جسد أقوى الأسياد وقتله، إن كنت قويًا في ضربتك بما يكفي.

- دائمًا تكون ضربتي قوية. الأقوى.

باغتته بضربة براحة يدها على وجهه كان لها صدى مهين. تطلع إليها بذهول، شل تفكيره من المفاجأة، كانت تبتسم وهي تقول له:

- أفق يا (نينازو). لا يمكن حسم كل شيء بالقوة. يمكنك استخدامها بحكمة لِقْزُض شخصيتك، ولكن الانتصار والإخضاع لا يكون بالقوة بل بالمهابة. استخدام القوة يجعلك ضعيفا، في حين أن التلويح باستخدامها يجعلك أكثر قوة بكثير.

وضع (نينازو) السيف جانبًا، لقد أصبح يعلم الآن من هي، تتمم وهو ينظر للأفق المظلم متحاشيا النظر إليها:

- أشكرك. لقد وهبتي السلاح الذي أحتهاجه.

- أتمنى ألا تحتاجه. وأتمنى أن تستفيد من كلماتي أكثر من سلاحي. لقد وضعتك على الطريق، وكل ما عليك أن تسلكه.

صمت (نينازو)، لم يبك من قبل ولكنه شعر بدموع الامتنان تودّ الفرار من مقلتيه، حبسها بإرادة فولاذية، ثم رفع رأسه فلم يجدها. لقد اختفت وكأن الأرض انشقت وابتلعته في لحظة. اعتقد لوهلة أنه كان يحلم، ولكن كان لثقل السيف الحديدي بمعصمه إحساساً حقيقياً ينافي الأحلام.

أيقن أنه سيقابل التنين، لم يعد لديه أدنى شك. وصار ينتظره انتظاراً مغلفاً باليقين الآن لا بالشك ككل السنين السابقة. لهذا لم يتعجب بعد هذا اليوم ببضعة أيام آخر بعد حلول الليل عندما رأى بعينه النيران تضطرم بقلب مياه النهر، لقد ظهر التنين، أظهر نفسه، وحانت لحظة المواجهة التي ينتظرها منذ سنين. منذ ميلاده كأحد الأسياء.

التقط سيفه الحديدي الأرضي، فكر قليلاً متذكراً كلمات السيدة ذات الرداء الأبيض، ابتسم ووضع السيف أرضاً. وقف بثبات مولياً وجهه شطر النيران اللاهبة والتي أضاءت ظلام الليل. وتحرك ببطء وثقة نحوه. لقد حانت اللحظة، وأن أوان ترويض الوحش.

تنفّس بعمق وحاول تقليل عدد أنفاسه، سيحتاجها بشدة بعد قليل. انقشعت النيران وإن ظلت جذوتها تشتعل فوق سطح الماء في ظاهرة منافية للطبيعة. أظهر ضياء انعكاس النيران عن سطح الماء الجسد الرابض فوق سطح الماء. بدا ككيان هائل جاثم فوق الماء،

لمعت عيناه كجذوتين ناريتين قادرتين على تنويم خصمهما وشل حركته، ولكن ليس خصم كـ(نينازو) الذي كان ينتظر هذه اللحظة بلهفة.

اقترب أكثر. كانت قدماه تغوصان بالرمال بلا صوت. أحنى التنين عنقه ليقترّب بوجهه ذو المفلطح من الرجل الذي لا يهابه. كان (موشوسو) يضم جناحيه، ورغم هذا كان حجم جسده مهيباً. ربما أضخم مما اعتقده (نينازو) حتى. فتح فكاه عن آخرهما، اشتعلت أعماق حلقه بضوء ناري إيذانا بنيران جديدة قادمة. فكّر (نينازو) أن هذا الفم قادر على التقام جسده وابتلاعه بمنتهى اليُسْر. سيستوعب حجم جسده بيسْر. وعلى النقيض زاده هذا اطمئناناً. فإن كان التنين يمثل هذه القوة فلماذا يهاجمه بأقوى أسلحته -النيران- بدلاً من الاكتفاء بمحاولة التهامه. تذكر قول السيدة ذات الرداء الأبيض. (الانتصار والإخضاع لا يكون بالقوة بل بالمهابة). التنين لن يستخدم النيران لإحراقه، إنه يُخضعه لا أكثر، أو ربما يحاول دفعه للفرار.

بغثة انطلق (نينازو) يركض بكل ما أوتي من قوة. يركض بسرعة وكأن حياته تعتمد على سرعة ساقيه. سابق الريح. فوجئ التنين بأن خصمه -أيقن أنه خصم الآن وليس مجرد سماوي عابر- يعدو باتجاهه لا الاتجاه المضاد. يهاجمه لا يفرّ من وجهه. أغجب التنين بشجاعة هذا السماوي، ولكنه أشفق عليه كثيراً، فقد كانت شجاعة شخص هالك.

لامست قدما (نينازو) الماء عندما تراجع التنين برأسه، والتمعت عيناه، ثم هوى برأسه والنيران تنبعث من فمه ومنخريه. كان

(نينازو) يعتمد على هذه اللحظة. يعلم أنه بمجرد أن يأخذ عقل التنين القرار ويرسله لرأسه سيكون قرارا لا رجعة فيه، ولن يصير بمقدوره تعديل اتجاهه، وهكذا، وقبل أن تندلع النيران الرهيبة بأقل من الثانية، كان (نينازو) يغير اتجاه ركضه بزاوية صعبة جسديا، فيتجه فجأة جهة اليمين، ويثب بمنتهى المرونة ليبتعد أكثر، فأخطأته النيران المباشرة بأقل من مترين، وناله لفح جانبي منه، ولكنه تدحرج على الخط الفاصل بين الرمال والماء ليبتعد أكثر، وقد غمر الماء جسده جزئيا ومنحه بعض الحماية من الشرارات الشاردة. ظلت النيران تندلع لثلاثة ثواني أخرى، كانت هي كل ما يعوّل عليه (نينازو) خطته، فوثب كشیطان فوق سطح الماء الضحل، غرقت قدماه بالماء حتى بدأ مستوى البلل يصل لركبتيه، بدأت النيران تتراجع وتخمد، فكان (نينازو) قد اقترب من جسد التنين للحد الذي لا يعطيه الوقت الكافي لإطلاق لهب ناري آخر. أدرك التنين هذا فثار بشدة. لم يَرَ خصمًا يقابل هجومه بهجوم من قبل، خصما يستغل ضالة حجمه -مقارنةً بحجم التنين الرهيب- ليختبئ من نيرانه تحت أنفه حرفيًا. لوى جناحه الأيمن ولطم به جسد (نينازو)، أراد إبعاده جسديا ليعاجله بنفثة نارية تُجهز عليه. كان (نينازو) في أكثر حالات عقله وجسده تركيزا وتضافرا وسرعة. قفز لأعلى ثم دار حول نفسه كإعصار من لحم ليتجاوز الجناح الذي يضربه، ثم انقلب ليصبح رأسه للأسفل وقدماه للأعلى. ثم مالت قدماه للأسفل مجددا ليبدأ جسده رحلة الاعتدال، وأثناء دورانه كمروحة عمودية مدّ قدمه اليمنى لتلمس طرف الجناح الذي يهوي عليه، مُستَغِلًا إياه كنقطة ارتكاز، وبينما يندفع الجناح للأمام -عبثًا- بدون أن ينال من

جسد خصمه الصغير، كان الجسد الصغير ل(نينازو) يندفع في اتجاه مخالف تمامًا لكل التوقعات المنطقية، استغل قوة الدفع التي منحته له ضغطة قدمه على طرف الجناح ليثب -مغيّرًا اتجاه وثبته- نحو رأس التنين مباشرةً.

حدث كل شيء في أجزاء من اللحظات. كان جسد (نينازو) يتحرك في عدة اتجاهات متعاكسة بسرعة ومرونة. لينتهي به الأمر وقد أحاط رأس التنين بذراعه اليمنى، ويده اليسرى تُخرج خنجرًا حجريًا من طيات ثيابه، ويضرب به رأس التنين بقوة أدارته للحظات. قام التنين -وهو في حالة هياج كامل- بإدارة رأسه ليقذف بجسد (نينازو) بعيدًا نحو الشاطئ الرملي، فارتطم بالأرض ليتدحرج بخفة ممتصا الصدمة، ثم اعتدل بهدوء ليكتفي بالوقوف صامتًا يحدق بالتنين الساخط.

أطلق التنين هديرًا رهيبًا، هديرًا دفعت قوة موجاته الصوتية سطح النهر أمامه لأن ينشق مبرزًا قاعه الرملي للحظات، وشعر (نينازو) بجسده يحاول الاندفاع لخلف، وثيابه وشعره تتطاير بعنف ليتلاعب بها الريح. ولكنه كان هديرًا بلا نار. هديرًا ساخطًا لا منتقمًا. صاح التنين بعقله بصوت قاسي عنيف أجوف ذي صدى كتردد الأجراس:

- لماذا تنتظرني منذ سنين؟

قال (نينازو) بهدوء رغم سرعة أنفاسه:

- أريد إجراء حديث ودي لا أكثر.

- وهل تسمي ما حدث الآن حديثًا ودّيًا؟

- أنت من بادر بنفت النيران. لا تريدني أن أقف متفرجا بينما أشوى حيًا.

- لم أكن سأحرقك. لست بوحش.

- أعلم أنك لست بوحش ولكن.. لابد أن تعلم أنني وحش.

هدر التنين بعقله قائلاً:

- لست إلا مجرد مؤدي حركات بارع. هذا الحجر غير قادر على خدشي.

- لدي ما هو قادر على تجاوز طبقات رأسك المخينة والنفاد لخلايا مخك وقتلك في لحظة، ولكني لا أودّ قتلك. ليس حتى تسمع ما لدي.

- أنت متبجح كثيرًا لتتحدث هكذا أمام سيد وحشي. لا تختبر قدرتي على التسامح.

- أهكذا تشكر من تراجع عن قتلك واكتفى بإعطائك ضربة على رأسك؟

- لقد كانت ضربة موجعة أيها الفتى. موجعة لكبريائي أكثر من رأسي.

تذكر (نينازو) السيدة ذات الرداء الأبيض وشعر بامتنان لا حد له. وشعر أنه نجح في تخطي الاختبار الذي وضعت له، أعطته السلاح القادر على جعله متفوقا على خصمه ولكنه لم يستخدمه، القوة في

عدم استخدام القوة، لقد قالت شيئاً مثل هذا.

- إذا تملك معدن الحديد الأرضي ولم تستخدمه ضدي. لا تبالغ عندما قلت إنه ينبغي علي أن أشكرك، لو كان هذا الخنجر من حديد لكنث - الآن - بين أروقة عالم الأموات السفلي، مجدداً!

لم يفهم (نينازو) حينها لماذا أضاف التنين (موشوسو) لفظة (مجدداً) في نهاية كلماته، ولكنه لم يعطي هذا الأمر أهمية الآن. قال ل(موشوسو) من فوره الكلمات التي يتجهز لقولها منذ سنين:

- أنا سيّد منبوذ. تركني والداي بالعالم السماوي وذهبا لإدارة الجحيم السفلي. يبدو لي أنه كان تكليفاً أكثر منه تشريفاً، ولكن ما يهمني في هذا الموضوع أنني أصبحت سيّداً منبوذاً تربى بين يدي العامة البسطاء. أهلي الحقيقيون هم أهل (أشنونة).

- أنت ابن السيدة (إرشكجال)؟ هذا يفسر كل شيء!

شعر (نينازو) بالدهشة وأراد أن يسأله عن مغزى كلامه، ولكن أكمل التنين بعقله:

- لا أعتقد أن النشأة بين العامة تعدّ نقطة ضعف. هذا أفضل بكثير من أن يربيك سيّداً لا قلب له. يوجد دفء بين يدي العامة يفوق الدفء النابع عن الأسياذ جميعاً.

- وقد اكتفيت من هذا الدفء، نهلت منه حتى الملل. أريد قَدري. أريد طريقي الذي تم رسمه لي من قبل أن أولد.

- القتل والاستعمار والحرق؟

- السيادة!

- لا أتفق معك أيها السيد المنبوذ. لن أكون أداة بيد سيّد من أجل الدماء.

- لن تكون أداة. سنكون أصدقاء. حلفاء. إخوة إن جاز الأمر. لن أدفعك لسفك دم أيّ كائن حيّ إلا برضاك. وسيكون له سبب ومبرر.

- لن تستطيع أن تدفعني لفعل أيّ شيء على كل حال.

- سيكون إخضاعًا من الجانبين، فكما أخضعت قواك لتصير رهن رغباتي، ستخض عقلي حتى لا يتمادى ويصل حدّ التوحش والدماء.

صمت التنين. بدا وكأنه يفكر. ضمّ جناحيه وهو يسير على قدميه ليخرج من سطح الماء. اقترب بوجهه من (نينازو) حتى انعكست نيران عينيه على ملامح وجه (نينازو). ثم أرسل لعقله:

- أعجبني هذا. لقد مللت من الوحدة على كلّ حال وآن أوان اتخاذ صديق جديد.

- شقيق.

صاح التنين في عقله وهو يدفعه بجناحه بلأظف:

- لا تضيع الوقت. هيا امتطّ متني وحاول ألا تسقط. وأخبرني لأين وجهتنا الآن؟

ابتسم (نينازو) - في سابقة نادرة - ثم وثب ثلاث وثبات رشيقة ليعتلي متنه، وتشبّث أصابعه بالحراشف الخشنة، وهو يميل ليهمس بأذنه المنتصبّة الطويلة:

- مدينة (كيش).

وهكذا. كان دخول (كيش) الأسطوري الذي يتذكره أهلها جميعًا، ويؤرخون بهذا اليوم بدء عظمة (كيش). يوم ظهور المحارب الأسطوري (نينازو) مروّض التنين. قابله الحاكم (زابابا) باحتفاء، وأعطاه منصبًا شرفيًا كقائد للجيش، بصلاحيات كصلاحياته هو نفسه الحاكم. نقل ل(زابابا) سِرّ الحديد فعلمه الأخير كيفية الانتقال لعالم البشر - كأحد الالسياد- بحثًا عن الحديد لجلبه لعالمهما السماوي، وبدء تصنيع أسلحة جعلتهما أسياد الحديد. وهكذا لم يعد أحد يذكر (نينازو) كسَيِّد منبوذ، بل صار أعظم محاربي العالم السماوي وسَيِّد الحديد ومروض التنين. وفخر مدينة (أشنونة) الذي كان يتغنى به أهلها ليلاً ونهارًا. قبل أن يمحيهم جميعًا (أشور) بأسهمه الجبارة، ويفنيهم عن بكرة أبيهم ويجعل مدينة (أشنونة) مجرد أطلال تمتزج فيها الأحجار المتراكمة بدماء أهلها. أثرًا بعد عين.

الفصل الثالث

حاول (زابابا) اللحاق بـ(نينازو) الذي هبّ مندفعًا خارج البهو كعاصفة. تغلب خوفه مما قد يحدث بين (نينازو) و(أشور) على دهشته من عودة (أشور) للمدينة التي كان يهاجمها بأسهمه الجبارة منذ عدة أيام مع حليفه الراحل (أداد). كان (نينازو) يقفز لينهب درجات السلم الحجرية نهبًا، يكاد (زابابا) يسمع صوت أنفاسه الثقيلة من الخلف. هبط الاثنان الطابق الذي يفصل البهو الرئيسي عن مدخل القلعة، كان (نينازو) يسير بخطوات أشبه بالعذو بين صفين من الحراس، و(زابابا) يجاريه في سرعته بدون أن ينطق. حتى وصل الاثنان للبوابة الرئيسية للمدينة، حيث كان (أشور) يقف عاقدا ذراعيه العضليتين ببرود.

وصل (نينازو) لـ(أشور) وتوقف أمامه، رمقه (أشور) بنظرة باردة، كان (أشور) أضخم من (نينازو) بما يجعل الأخير يضطر ليلوي عنقه للأعلى ليحرق بعينه. مَدَّ (نينازو) ذراعه لتقبض أصابعه القوية على عنق (أشور)، أمسك (أشور) بذراع (نينازو) بخشونة ثم أزاحها عن عنقه بشيء من اليأس. كانت عضلات ذراع (أشور) -مكمن قوته كقاذف أسهم أسطوري- تتفجر بعضلات تجعلها أشبه بذراع ثور، ولكنه لم يهاجم (نينازو) بعدها، لم ينبس ببنت شفة حتى وهو يعيد عقد ساعديه القويين على صدره.

وقف (زابابا) بجانب (نينازو)، حدّق بوجه (أشور) لفترة طويلة، تبادل الثلاثة النظرات قبل أن يبدأ (زابابا) ويسأل (أشور):

- أتتوقع أن نتقبّل استسلامك بعد فشلك في الانتصار علينا؟ بعد

ما كبدتنا إياه من خسائر سواء بمدينة (أشنونة) أو مدينة (كيش) أو بفقدان التنين (موشوسو)؟ بعد أن فررت كالجبان تضم ذيل خيبتك بين فخذيك.

- لا أملك ذيلًا في الواقع.

استلّ (نينازو) سيفه بحركة سريعة، سيفه الحديدي البتار مشقوق الطرف، ثم وضع طرفه ليمس عنق (أشور) الممتلئ بالعضلات، وهو يغمغم بنبرة مخيفة:

- ما الذي يمنعني عن نحر عنقك الآن؟ لديّ عدة أسباب تجعلني أبادر بفعلها.

- وأنا أيضا لديّ عدة أسباب تجعلك لا تفعلها. أولاً - وهو الأهم - أنك ستحتاج لذراع أكثر قوة لتنجح في دفع الشيء بداخل عضلاتي بما يكفي لاختراقي حتى الموت.

- ليس بالأمر الصعب.

أمسك (أشور) جزءًا من لباسه الحربي المغطي لجذعه، ثم رفعه ببطء ليكشف عن قطع من الكتان ملتفة حول جانب الجذع، وقال بسخرية:

- لم تنجح في فعلها من قبل بنفس السيف. تسببت - فقط - في جرح سيضيف ندبة جديدة في سجلّ ندباتي الشرفي. صدقني تحتاج لأكثر من هذه الذراع.

أزاح (زابابا) سيف (نينازو) - ببطء - ناظرًا في عينيه نظرة تفيد بأن يتمهل، ثم قال ل(أشور) يسأله ليحتمه على الاستكمال:

- وثانيًا؟

- ثانيًا تحتاجون لي ولجيوشي. الحرب على الأبواب. وأينما وُجِدَت حرب يجب أن يكون سيد الحرب. (أشور).
- نحن دائمًا في حالة حرب.

- الأمر يختلف هذه المرة. ألا تسمع ما يقال من بعض ممن أتوا من مدينة (بابل)؟ أم أنك لا تتابع أمور مملكتك يا سيد مدن (سومر) السماوية؟ أقصد (بابل) السماوية الآن.

- أفض علينا من معرفتك!

- أملك من العيون بمدينة (أشور) ما يفوق عيونك. لا أعتقد أنك تملك عيونًا من الأساس، وهذا سبب أهم لتقبل تعاووني معك. بالإضافة لقوة (أشور) العسكرية ووفرة خيراتها الاقتصادية، والتي تجعلها - في المُجَمَل - تفوق كل مدنك السماوية أيها الحاكم.

- ما زلت في انتظار فيض المعرفة الهائل ليتدفق من بين شفتيك.

- لا ألومك. لا تعتقد أنني سأكون مفيدًا لك. على النقيض، مجرد كوني على الحياد لك يُعَدُّ انتصارًا، فما بالك بتحوُّلي لحليف لك.

اكتسبت لهجة (زابابا) شيئًا من الخشونة وهو يقول:

- انته مما جئت لتقوله سريعًا وكفَّ عن العثرة، وإلا أطلقت عليك حامل السيف الحديدي ولنختبر سويًا قوة ذراعه!

حدق (أشور) بوجه (زابابا) قليلًا بسخرية، ثم عاد لينظر لوجه (زابابا) وهو يقول:

- حسنا. لقد جرت معركة عنيفة فوق قمة زقورة (بابل). معركة ظهر فيها السيد الطافر (مردوخ) -سيد (بابل)- وهو يدافع عن نفسه أمام أسياد الصواعق.

ردّد (زابابا) بدهشة:

- أسياد الصواعق؟ لقد انتهى وجودهم من عالمنا بإزاحة كبيرهم (أنو).

- هذا ما تظنه. لقد اغتلت جدهم (أنو) -أهنتك على هذا- وتكفل مرتزقتك -سيدة العقارب والراعي المحتال- بإعدام ابنه (إنليل). ولكن نجح حفيداهما (نينورتا) و(إينانا) في العودة لمدينتهم (الوركاء)، وهما يقيمان الاستعدادات لاستعادة ملكهم المفقود.

- تم إعدام (إنليل)؟ وبالنسبة لابنه (نينورتا)، ألم يفز للأرض؟

- أنت لا تعلم شيئًا مما يدور بين جدران مملكتك إذًا. لقد قام زوج المرتزقة التابع لكما -الراعي المحتال وملكة العقارب- بإعدام (إنليل) -ابن (أنو)- أمام شعبه، ثم قاما بتنصيب أنفسهما أسيادًا لمدينته -التي أصبحت مدينتهما- بعد فرار (نينورتا) ابن (إنليل)، هذا من جهة. ثم عاد الحفيد (نينورتا) -من جهة أخرى- ليظهر مجدداً ب(بابل). عاد آخر أسياد الصواعق محاربًا، ويملك هالات إلهية هو وشقيقته (إينانا).

ردد (نينازو) هذه المرة بدهشة، وقد بدأ تركيزه يتجه نحو أسياد الصواعق مع هذا الكمّ من المعلومات الجديدة:

- هالات إلهية؟ وهل لها وجود بعالمنا؟ لا تماطل من أجل كسب

وَدَنَا.

- لا أحتاج لكسب وِدْكُمْ في الواقع. كل ما أحتاجه هو دفاع مشترك بيننا. حلف يضمن أنه إن هاجمني أحد أسياد الصواعق بهالاته الإلهية ستكونان لي عضوًا. وهذا يعني - بالتأكيد- أنني سأشارككم -بنفسي وجيوشي- أية حرب قادمة ضدهم. وهذا يشمل أي حروب أخرى بالتأكيد.

ثم أضاف بسخرية:

- عادل بما يكفي للجميع. أليس كذلك؟

التفت (نينازو) ل(زابابا) وقال له:

- أنه معه الاتفاق كما تريد. سأنتظرك بأعلى القلعة. لقد سئمت من وجوده. رائحة الجبناء تخنقني.

ثم التفت نحو (أشور) الساخر وقال له ببرود:

- عندما ننتهي من أمر أسياد الصواعق هؤلاء، سأقتلك بذراعي. ولا تقلق فهي قادرة على فصل رأسك عن عنقك.

اختفت ابتسامة (أشور) لوهلة لتبرز تقطبية لمعت معها بعينييه نظرة تفوح كزها وشرا، ثم استعاد بسرعة نظرتة وهيئته الساخرة وكأن شيئًا لم يكن. فغادر (نينازو) المكان بسرعة بعد أن أغمد سيفه بجرابه، متجهًا نحو القلعة المركزية.

غمغم (أشور) هازئًا:

- لماذا يأخذ الأمور بشكل شخصي هكذا؟ لم أقم إلا بإبادة كل أهله

والتسبب في مصرع حيوانه الأليف!

قال (زابابا) بهدوء يحمل برودة لا حدود لها:

- انظر فوقك، ألقِ نظرة على الأسوار وعلى قمة القلعة الرئيسية. هل ترى راجمات الأسهم الحديدية هذه؟ التي تفوق ضخامتها ضخامة التنين (موشوسو) نفسه. جميل. تحدث عن إبادتك لمدينة (أشنونة) مجددا، أو انعت التنين الراحل بالحيوان الأليف مرة أخرى، وأقسم لك أنني سأقذفك بسهم حديدي تفوق ضخامته حجم جسدك كله. لن أستخدم ذراعي. أتمنى أن يكون هذا مفهوماً.

أمال (أشور) رأسه بحركة تمثيلية وهو يرفع يده مدافعاً:

- مفهوم.

- والآن أريد أن أفهم شيئاً. بافتراض صدق ما جاءت به عيونك - وهو جدٌ خطير- لماذا كنت تتلصص على (بابل) بمثل هذه الأهمية؟

لمعت عينا (أشور) بإعجاب وهو يقول:

- سؤال ممتاز أيها الحاكم. تملك عقلاً يفوق عقل ذلك المحارب الذي لا يكف عن التلويح بسيفه. لهذا أنت الحاكم.

- لماذا تعرثر كثيرًا؟

- سأجيبك. لا داعٍ لاستفزازك. لا أخفيك قولاً أنني كنت قد كُففت عمل عيوني للبحث عن قاتل ابني ووريث عرشي.

- هل تم اغتياله بالفعل؟ كنت أظنها كذبة منك تبرر بها حروبك الاستعمارية والتي بدأت بحربك أنت و(أداد) على مدينتنا.

- لقد اغتيل بالفعل يا سيدي. وتمكّنت - بعد شكوك- من إثبات التهمة على الجاني الحقيقي.

- لابد أنك قد أثبت التهمة حديثًا. وبالتحديد بعد نهاية معركتك ضدنا.

- هذا صحيح. وإلا لم أكن أعترف الآن بالهجوم على الشخص الخطأ.

- ومن هو الشخص الصحيح؟ القاتل؟

- (مردوخ). سيد (بابل) الطافر.

- إن كان طاferًا حقًا فلا سبيل لك لتحقيق انتقامك.

لم يردّ (أشور)، اتسعت عينا (زابابا) بفهم أخيرًا وهو يقول بانفعال:

- يا للسماء! هذا هو سبب لجوئك لنا الحقيقي. تريدنا في حربك ضد (مردوخ).

- لن أنكر هذا. ففي النهاية هو أحد الأسياد الذين لا يعترفون بسيادتك. وهذا يعني ضرورة إخضاعه بالقوة.

شعر (زابابا) بكتفيه تزن أطنانًا. أولًا هناك أسياد الصواعق وهالاتهم الإلهية، ثم هناك السيد الطافر المختبئ خلف أسوار مدينته السحرية. تبادر لذهنه أحد الأسياد فسارع بالقول:

- (شمش). سيد الشمس وأخيه سيد القمر (سين). إنهما حلفاء لنا. سيشاركونا هذه الحرب. لقد أجرينا حديثًا وديًا لحدّ ما وانتهى بإيجابية.

- هذا إن استطاعا النجاة من برائن جبار الماء (إنكي).

- ماذا تعني؟

- تحتاج لتقوية مصادر معلوماتك أيها الحاكم. لقد أفنى جبار الماء مدينة (أور) -مدينة السيد (سين)- عن بكرة أبيها في أثناء إجرائكم لذلك الحديث الوثي الإيجابي، والذي أفضى لاعترافهما بكما كأسياد شرعية لمملكة (بابل) السماوية.

- ستكون حربًا عاتية.

- ستصلني الأخبار وسأوافيك بها على وجه السرعة.

فكر (زابابا) -أسفًا- أنه سيستفيد من (أشور) حقًا. يمتلك سيد الحرب بالفعل جيوشا وموارد اقتصادية لا تنتهي. والأكثر أهمية هو امتلاكه لشبكة من العيون شديدة القوة، يحتاجها بقوة لإدارة المملكة. وفكر أن (أشور) تُعدّ مملكة قائمة بذاتها ك(بابل) تمامًا.

سأل (زابابا) بتردد:

-أهناك شيء آخر؟

أجاب (أشور) مخفيًا شماتته:

- سأوافيك بكل جديد.

أشار له (زابابا) بالانصراف، قائلاً:

- أنتظر زيارة منك كلما مرت عدة أيام، أو كلما جدّ جديد.

انحنى (أشور) قائلاً بلهجة تفوح سخرية:

- أمر سيدي!

كظم (زابابا) غيظه وهو يغادر بوابة القلعة، عائدا ل(نينازو). يحتاج لتصفية ذهنه وإعادة التفكير في الأمور الجديدة الخطيرة. بينما اتسعت ابتسامة (أشور) وهو يغادر مدينة (كيش)، وفور عبوره البوابة بدأ الجسر ينخفض ببطء ليعطيه ممرا آمنا فوق بركة الحمم السوداء. قال (أشور) هازئا:

- لا أحتاج لأدواتكم البدائية هذه.

انتصب جناحاه في حركة سريعة، ثم خفق كل منهما ليرتقي فوق مستوى الأسوار نفسها، ثم غادر (كيش) محلقا بأقصى سرعة. يفكر أنه كان حكيما - خبيثا - حقا، أعطى ل(زابابا) ما أراد أن يعطيه، ما سيفيده - هو - في تحقيق انتقامه لاغتيال ابنه، وأغفل أمورا أخرى سيهقه أن تظل مجهولة لأسياد الحديد ولو مؤقتا. أمور مثل مصرع سيدي الشمس والماء، واختفاء سيد القمر بعد معركة ضارية أفنت مدينة (إريدو) مدينة جبار الماء. وأمور أخرى مثل مصرع أحد المرتزقة - الراعي المحتال - بمدينة (نيبور) - معقل سيد الصواعق الراحل (إنليل) - على يد (إنليل) نفسه قبل أن يموت هو الآخر. فلم يتبقى لحكم مدينة (نيبور) إلا آخر المرتزقة - وأكثرهم قوة - ملكة العقارب، والتي حوّلت مدينة (نيبور) وما حولها من صحاري لمدن متصلة تعجّ بالعقارب فوق وتحت الأرض، منطقة لا تخضع لسلطان أي من الاسياد، ولا يجرو أي سماوي على الاقتراب منها. وكانت (نيبور) هذه تقع جنوبا من مدينة (كيش) لتفصلها عن مدينة أسياذ الصواعق (الوركاء) بأقصى الجنوب، مما يعني أنها ستكون عقبة

- أمر سيدي!

كظم (زابابا) غيظه وهو يغادر بوابة القلعة، عائدا ل(نينازو). يحتاج لتصفية ذهنه وإعادة التفكير في الأمور الجديدة الخطيرة. بينما اتسعت ابتسامة (أشور) وهو يغادر مدينة (كيش)، وفور عبوره البوابة بدأ الجسر ينخفض ببطء ليعطيه ممرا آمنا فوق بركة الحمم السوداء. قال (أشور) هازئا:

- لا أحتاج لأدواتكم البدائية هذه.

انتصب جناحاه في حركة سريعة، ثم خفق كل منهما ليرتقي فوق مستوى الأسوار نفسها، ثم غادر (كيش) محلقا بأقصى سرعة. يفكر أنه كان حكيما - خبيثا - حقا، أعطى ل(زابابا) ما أراد أن يعطيه، ما سيفيده - هو - في تحقيق انتقامه لاغتيال ابنه، وأغفل أمورا أخرى سيهقه أن تظل مجهولة لأسياد الحديد ولو مؤقتا. أمور مثل مصرع سيدي الشمس والماء، واختفاء سيد القمر بعد معركة ضارية أفنت مدينة (إريدو) مدينة جبار الماء. وأمور أخرى مثل مصرع أحد المرتزقة - الراعي المحتال - بمدينة (نيبور) - معقل سيد الصواعق الراحل (إنليل) - على يد (إنليل) نفسه قبل أن يموت هو الآخر. فلم يتبقى لحكم مدينة (نيبور) إلا آخر المرتزقة - وأكثرهم قوة - ملكة العقارب، والتي حوّلت مدينة (نيبور) وما حولها من صحاري لمدن متصلة تعجّ بالعقارب فوق وتحت الأرض، منطقة لا تخضع لسلطان أي من الاسياد، ولا يجرو أي سماوي على الاقتراب منها. وكانت (نيبور) هذه تقع جنوبا من مدينة (كيش) لتفصلها عن مدينة أسيااد الصواعق (الوركاء) بأقصى الجنوب، مما يعني أنها ستكون عقبة

رهية في طريق أسياذ الصوااق إن أرادوا الاأجاه شمالاً والهاوم
على (كيش). وهذا يعنى أنه - فعلياً- لا يواأ خطر منهم.

اأسعأ ابأسامة (أشور) وهو يهز رأسه قائلاً لنفسه:

- من لا يملك عيوئاً يسأأق الحياة أعمى أأأ الأهر.

الفصل الرابع

لم يجد (زابابا) أي أثر ل(نينازو) بالقلعة كلها.

لم يجده بأعلى القلعة حيث كانا يجلسان منذ قليل يتسامران. لم يجده بالبهو الرئيسي. بحث عنه بجناحي القلعة فلم يعثر عليه. سأل أحد حراس مدخل القلعة فأوضح له أن (نينازو) عاد بعد لقاء (أشور) لينحرف جانبًا ولم يدخل القلعة من الأساس. استنتج (زابابا) أين ذهب (نينازو)، ورأى أنه المكان المتوقع ليذهب إليه الآن، سواء بعد حديثهما السابق وما أثاره من ذكريات مظلمة، أو لقاء (أشور) وما تفوه به من سخافات - وإن كان وجوده يكفي سخافة - فبادر بالسير حتى سور القلعة الشرقي، ثم انحرف ليعبر الحديقة التي تفصل جدار القلعة الشرقي عن الجزء الداخلي من السور المقابل. كانت مساحة الحديقة تكفي لسير عربيتين حربيتين متجاورتين، وكانت تتكون من شريط حجري واسع بالمنتصف يُستخدَم للتمشية، وعلى طرفيه تتراص الأرض الخضراء والتي ترتفع الأزهار الملونة لتسورها من جهة السور الخارجي للمدينة.

لمح الزقورة الصغيرة فأيقن أن (نينازو) يقف خلفها مما جعلها تخفي وجوده. كانت زقورة - تجسدي بسيط لزقورة - مستطيلة القاعدة ثم تدور طوابقها الملتفة لتضيق تدريجيا وتصير مجرد مثلث عند القمة. تعدى ارتفاعها حجم التنين (موشوسو) بقليل، بينما رقدت رفات التنين المحترقة تحت الأرض - أسفل الزقورة الصغيرة - منذ يوم مصرعه. هنا يرقد رفات التنين. وهذه الزقورة تمثل شاهد قبره وضريحه الحجري. تمامًا كما أراد (نينازو).

أخذ (زابابا) خطوتين جهة اليمين فلمح (نينازو) كما توقع. يجلس القرفصاء واضعًا سيفه بجانبه. ويهمس لنفسه -يهمس لتنينه- مغمض العينين مطرق الرأس. حذا حذوه، ولكنه لم يهمس. فقط اكتفى بالتفكير في ما دار بينه وبين (أشور) من حديث.

(هل تتق به؟)

انتبه (زابابا) من غفلته، كان قد سرح كثيرًا في أمور (سومر) السماوية الجديدة، فنظر نحو (نينازو) يحاول فهم ما وراء السؤال، ثم أجاب بتلقائية:

- لا بالطبع. لقد كان على وشك تدمير مدينتنا وقتلنا شخصيًا منذ بضعة أيام.

- لا أصدق حرفًا مما قاله. وأكاد أجزم أنه أخفى أكثر مما قال.

- ربما. ولكن ما ينقصنا بالفعل هو القدرة على الوصول لكل أجزاء المملكة. ليس بالمقبول أن أكون حاكمًا لكل مدن (بابل) السماوية ولا أعرف ماذا يجري بين أسوار هذه المدن.

- يستخدم أسياذ الصواعق العزافات. هذا ما أخبرني به زوج مرتزقة (نيبور) عندما كنت أستقطبهما لحربهم ضد (إنليل) سيد الصواعق الراحل.

- هل قتلاه بالفعل بعد انتصارهما عليه؟

- يقول (أشور) إنهما أعدماه أمام شعبه.

- سواء صدقناه أم لم نفعل، (أشور) لا يستخدم السحر. يستخدم

عيونًا حقيقية من عامة السماويين. أعتقد أنها طريقة أفضل بكثير من السحر.

- نحتاج لمعرفة ما يدور بخبايا مدن الأسياذ حولنا.

تنهد (زابابا) قائلاً:

- سأولى هذا الأمر أهمية مطلقة منذ الآن.

ثم أضاف بشيء من الغضب:

- على الأقل حتى نتيقن إن كان ما يسكبه (أشور) بأذاننا حقيقة أم ما يريدنا أن نصدقه.

- لن يكذب. ولكنه سيخفي ما تقتضي منفعتة الشخصية إخفاؤه.

- وهذا أسوأ من الكذب!

صمت الاثنان طويلاً. عاد (نينازو) للهمس لشبح تنينه. وعاد (زابابا) يفكر بأمر أسياد الصواعق وهالاتهم الإلهية، ثم أمر (مردوخ) السيد الطافر. أمامهم عدد من التحديات سيكون اجتيازه شديد الصعوبة. تحديات من كل اتجاه، وليس بأقلها خطراً حليف متلون مثل (أشور).

تناهى لسمعه حفيف خطوات خفيفة كالريح. وشم العبق الخلاب قبل أن يبحث عن مصدره. انتبه (نينازو) بدوره. كان صوت الخطوات يأتي بوضوح من خلف الزقورة الصغيرة - ضريح التنين - لذا لم ينجح أيهما في رؤية صاحب الخطوات، دق ناقوس خطر بعقل (زابابا)؛ إذ أنه ليس بالمسموح لأحد مهما كان أن يخترق

هذه الحديقة، خاصةً إن كان يدرك أن الحاكم موجود هنا. سيمنعه الحراس -إن وُجد- لهذا مَدَّ أصابعه لمقبض سيفه في جرابه ببطء. بينما كان ردَّ فعل (نينازو) مخالفًا تمامًا. لقد أيقظت الرائحة العطرية البديعة جزءًا خاملاً من مستنقع ذكرياته. جزءًا محببًا. ودقَّ قلبه لعلمه أنه سيراها قبل أن تظهر بموانٍ. وهذا ما كان بالفعل.

ظهرت تنسلَّ كعبيرٍ شجي، تعجَّب (زابابا) لرؤياها، سيدة أربعينية -لم تخلو ملامح وجهها من مسحة جمال- متشحة بالسواد، بينما عرفها (نينازو) رغم تقدمها في العمر وارتدائها الأسود بدلًا من الأبيض. إنها سيدة ضفة (الفرات) الحكيمة. ذات الرداء الأبيض سابقًا، وصاحبة الرداء الأسود حاليًا. من وهبته سرَّ الحديد وجعلته أول أسياد الحديد. أمه، سيدة العالم السفلي. (إرشكجال). لم يعد لديه أدنى شك الآن.

ردَّد (زابابا) بقلق لم يدرك له سببًا:

- سيدتي. كيف جئت لهذا؟

أشار له (نينازو) قائلًا دون أن يحوّل نظره عنها:

- إنها (إرشكجال).

- أمك؟!

قام (نينازو). توقفت بجانب الضريح. سألها مباشرة:

- لم يمرَّ الكثير من الزمن. لماذا تبدين أكبر عمراً بكثير؟ ولماذا

تتشحين بالسواد؟

وهبته ابتسامتها المشرقة وهي تجيب:

- لست إلا فكرة. ووعيك يشكّلها بحسب حالتك النفسية. ولا تبدو بخير يا بني.

أراد أن يخبرها كم هي جميلة ورقيقة كفكرة متجسدة، بينما كانت قاسية ومخيفة عندما زارها متجسدة بلحمها ودمها بعالمها السفلي الفقيض. خشي الإجابة التي تفسر هذا التناقض. ربما - بالتأكيد- تتصرف معه كما يريد عندما تكون فكرة. وهكذا يريد أي ابن أن تكون أمه معه. رقيقة ومحبة وجميلة وشديدة الاهتمام. بينما تكون هي كما هي بدون تدخّل منه بعالمها السفلي. أحبطه هذا ولكنه لم يريد أن يضيع وقتاً في وجودها، فقد كان ظهورها السابق نقطة تحوّل فارقة في حياته كلها، ولا بد أن هذا ما سيتكرر الآن.

خلافًا لما توقع، وجهت حديثها بادئ ذي بدء ل(زابابا) قائلة:

- أيها الحاكم. باعتبارك الحاكم الشرعي ل(بابل) السماوية. أريد أن أبلغك أن سيد القمر قد ارتكب جريمة لا تُغتفر بحقّ عالمنا. لقد استخدم تعويذة سحر محرمة. تعويذة كان يكفي تفعيلها لهدم كل الحواجز - حواجز الدهر- بين عالمنا وعالم البشر، لولا أنها قد تهدمت بالفعل.

لم يتوقف (زابابا) ليفكر أو يفاجأ، أراد الاستفادة من وجود ملكة الجحيم البابلي قدر المستطاع، فهي فرصة لا تتكرر بالعمر مرتين -إلا لو كنت (نينازو) ابنها- لهذا بادر بالسؤال:

- ومن المسؤول عن تدمير هذه الحواجز يا سيدتي؟

- ساحر رحل عن عالمنا يدعى (النمرود)، هو الذراع اليمنى للسيد الطافر-سيد (بابل)- المسمى (مردوخ).

- هذا لا ينبئ بأي خير.

اتجهت (إرشكجال) بعينيها نحو (نينازو)، وقالت:

- لقد كنت صريحة معك. وأنا سيدة تفي بوعودي بقدر وفائي بالتزاماتي. استقرار عالمنا صار في وضع خطير. تطلعات (مردوخ) لا حد لطمعها. لا بد من مواجهته. إنه يتطلع لما هو خارج الحدود، طموحه يتخطى عالمنا.

غمغم (زابابا):

- هذا مخيف.

أدرك أن قوله هذا مهين له شخصيًا، بوصفه سيد أسيا (بابل) السماوية، فَنَدِمَ على رد فعله واكتفى بالصمت. وحاول أن يبدو أكثر كملك يتحدث مع ملكة، لا أقل.

سألها (نينازو):

- هل نهاجمه؟

تطلع نحوه (زابابا) باستنكار ولكنه لم يعلق، ودار بعينه لينتظر الرد من (إرشكجال). التي قالت:

- الحرب آتية فلا تتعجلها. ستكون حربًا كونية. حرب ستمتد أذرعها لعدة عوالم أخرى.

صمت (زابابا). كان هذا أكبر من قدرته على التحمل. لقد اتسع

نطاق التحدّيات أمامه ليبلغ حدًا لم يتخيله بأسوأ كوابيسه جموحًا.
أضافت:

- فقط انتظروا. أنتم أسياد الحديد. انتزعتم الحق بأيديكم من
أسياد الصواعق وهذا حقّ. الغلبة للأقوى. والشرعية مع المنتصر.
هذه قاعدة عالمنا الأزلية. ولكن...

صمتت. أطرقت أرضًا. دق قلب (نينازو) كما لم يحدث من قبل.
يشعر بأن هناك شيئًا استثنائيًا على وشك الحدوث. أكملت بخفوت
أكّد له أنه يراها بالفعل كما يريد لا كما هي على حقيقتها، مع تذكّره
لطريقتها الوحشية في الحديث معه بعالمها السفلي والتي كادت
تنتهي بمقتله:

- لديّ الحق في إجراء استثنائي واحد كردّ فعل لتعويذة (سين)
المحرمة، كحالة لإعادة التوازن بين العالمين السماويّ والسفليّ. كما
وعدتك من قبل، لن أستطيع التدخل لصالحك إلا لو حصل اختراق
للاستقرار، وهذا ما حدث بالفعل. ولكن ليس الأمر بالبساطة التي
يبدو عليها. لسّثّ أمرة ناهية كما تعتقد. لا بد من موافقة مجلس
الاستشاريين بالكامل، وعلى رأسهم (نمتار) -سيد الموت وقابض
الأرواح- وكذلك زوجي (نيرجال). ولهذا كان الأمر صعبًا ولكنني
نجحت بالفعل في إقناعهم بعد عناء.

استحثها (نينازو) على الاستكمال، وقلبه يكاد يثب خارج صدره:

- ما هو قرارك الاستثنائي يا أمي؟

- ما رأيته يضرب في صالح تَفْؤُقي أسياد الحديد. لا أتحدث هنا عنك

كَوْلَدِي، بل عنك كمساعد الحاكم الشرعي لعالم (بابل) السماوي. قرار ينتهي بالمصلحة العليا وهي الحفاظ على استقرار العالمين.

ثم اختفت فجأة لتتحول لطائر أسود ضخم، شعر (نينازو) بالفزع مع تذكره لطيور (سجيل) الأسطورية التي تتحكم بهم أمه في جحيمها، فتراجع للخلف رغماً عنه واختل توازنه ليسقط أرضاً. تعجب (زابابا) مما حدث، ف(نينازو) لم يفعل رد فعل مثل هذا من قبل قَط. طار الطائر الأسود ليختفي بين السحب في لحظة، بينما ارتجت الأرض بين قدمي (زابابا). فتراجع بدوره وهو ينظر ل(نينازو) بعدم فهم لا حدود له، مغمغماً:

- ما الذي يحدث؟ لا أفهم أي شيء!

اعتدل (نينازو) وقد ذهب عنه الرُوع وحلت محله سعادة طاغية، بدت متجلية في ابتسامة عريضة لم يراها (زابابا) على وجهه من قبل. اهتزت الأرض أكثر وارتقت الزقورة الصغيرة -الضريح- لتنفصل عن الأرض. ثم -وأمام أعين (زابابا) المذهولة- انفجرت قشرة الأرض، ليبرز من أسفلها التنين (موشوسو) يهدر بانفعال، مبعوثاً حياً معافى.

أسياد الصواعق

عودة نينشوبور

تأوهت (نينشوبور) وهي تحرك عنقها، فتحت عينيها ببطء فكانت الصورة مشوشة بالكامل، كزّت على عينيها قليلاً فبدأت ترى شيئاً فشيئاً، وتدرجياً بدأت صورة لوجه فتاة يظهر محققاً بوجهها مباشرةً. فلما اتضح وجه الفتاة عرفت أنها على الفور. كانت سيدتها (إينانا).

اعتدلت الوصيفة (نينشوبور) بحركة سريعة حادة مع رؤياها لوجه سيدتها، ألقتها الحركة وجعلت الدنيا تدور أمام عينيها، ووثبت عصارة معدتها لحلقها فكادت تتقيأ، ثم عادت لتفرد ظهرها مجدداً على فراشها، محاولةً أن تتمالك نفسها، وألم رهيب يكاد يمزق عنقها وكفها اليمنى.

(لا تتحركي. ستؤلمك إصاباتك).

قالت (إينانا) وهي تمسّد على شعر وصيفتها الفاحم المجدول في صفائر قصيرة. فهزت (نينشوبور) رأسها بإذعان وهي تغلق عينيها، وتكشيرة ألم ترتسم على محياها الرقيق. كانت صفائر (نينشوبور) في حالة فوضى، متناثرة حول وجهها كأذرع أخطبوط. قامت (إينانا) بتجميعها في ضفيرتين على جانبي وجهها الدقيق جميل المحيا رغم ضعفه، ثم التقطت قطعتي حلي ذهبيتين -ملكيتين- من بين جدائل شعرها المجدولة بعناية، وقامت باستخدامهما كمشبكين لتربط الضفيرتين، وابتسمت برضا مع التحول الذي حدث بهذه اللفة البسيطة لوجه وصيفتها الفاتنة. السيدة الجميلة كما يُطلق عليها.

قال الحكيم (ماندانو)، والذي كان واقفًا خلف (إينانا):

- فتاة شجاعة. لقد فعلت من أجلك ما لا يفعله الرجال. ما لا يفعله
الأسياء.

ظلت (إينانا) تداعب وجنة وصيفتها الرقيقة بسبابتها، وابتسامة
عريضة ترتسم على وجهها تلقائيًا، وهي تقول:

- أعلم. لقد نجحت في إنقاذ حياتي. لقد عبرت الحاجز ما بين
العالمين من أجلي. رؤيت وحشًا ضاريًا من أجلي. وقفت بوجه
(مردوخ) وساحره (النمرود) بدون أن تتردد لحظة. أحيانًا يتفوق
الحب على القوة.

- فقط إن كان صادقًا يا سيدتي.

التفتت له مبتسمة، مضيفة:

- هذا لا يبخسك حقك أيها الحكيم. لقد قمت بتوجيهها خير
توجيه. وأعلم يقينًا أنه لولا وجودك لما تمكنت (نينشوبور) من فعل
أي شيء. ولما ظلت حية أتحدث معك الآن.

انحنى الحكيم باحترام شديد وهو يقول:

- أقصى ما نريد هو أن تتواجد بيننا يا سيدتي.

أعادت (إينانا) النظر لوجه وصيفتها الملائكي وقد انزلت بمنحدر
النوم مرة أخرى، ثم قالت:

- لقد نجحت في هذا. لم أحظى يومًا بجيش أقوى منكما، أنتما
الاثنتين.

(وكأنني لم أخض حروبًا بالأرض جعلتهم ينصبونني إلهًا، ثم حربًا
أشدّ ضراوة ضد ذلك السيّد الخارق (مردوخ) الذي كان يحتجزك،
فقط من أجلك شقيقتي الحبيبة).

التفتت نحوه بجسدها وكيانها، واقفًا كجبل يرتدي شال من
القطن الذهبي امتد من كتفيه لأسفل ركبتيه، وتزيّن بعدة تجعيدات
متدرجة بيضاء كالعلج. لم ينجح الشال في إخفاء عضلات صدره
العريض وكتفيه العاريتين المقوستين، بينما تدلى قماش أبيض من
الكتان من أسفل عمامته لينحدر على منكبيه، ويختلط بجداول شعره
الفضي المجدول شديد الطول. انطلقت تعدو نحوه ليلتقطها ويضمها
لصدره القوي. فتختفي عباؤها الوردية بين ذراعيه، وهو يهمس
بأذنها:

- عودا حميدا شقيقتي.

أعادت وجهها للخلف، واستدارت لتلقي نظرة سريعة على وجه
(نينشوبور) وهي تقول:

- ستكون العودة حميدة بالفعل عندما تستعيد وصيقتي الشجاعة
كامل صحتها.

أزاح (نينورتا) شقيقته (إينانا) عنه برفق، بدون أن يترك يدها، وهو
يقول بتعجب:

- أحقًا غادرت هذه الفتاة الرقيقة برزخ ما بين العالمين؟

أضاف الحكيم بفخر وكأنه هو من قام بهذه المغامرة المميّنة:

- بل ورأت بعينها التعبان الحارس.

غمغم (نينورتا) بعدم تصديق:

- يا للسماء! أنا - سليل أسياذ الصواعق - لم أره من قبل! ما يقصوه عنه يجعل الاقتراب منه مرادفا للموت.

قالت (إينانا) بفخر يفوق فخر الحكيم:

- لقد رؤِضَتْ أحد الأسياد الوحشية فقط من أجلي.

تنهد (نينورتا) ولم يعقب. أمر ولاء هذه الفتاة لسيدتها يستحق أن تتم دراسته وكتابة الكتب عنه. يستحق تخليده كأسطورة.

تغيرت مشاعر (إينانا) في لحظة، أمسكت (إينانا) يده بشيء من القوة، نظرت بعينه مباشرة وقد احتشدت فيها الدموع من قبل حتى أن تسأله:

- هل أنت بخير يا أخي؟ أعني ...

تلعنمت وهي تكمل:

- أعني تلك الفتاة.. المحاربة الجميلة.. مفسرة الأحلام.. لقد فقدتها..

أسكتها (نينورتا) بابتسامة عريضة لم تنجح في إخفاء مرارته، لقد عشق بشرية محاربة عتيذة أثناء فترة فراره للأرض، وانتهى الأمر بذبح عنقها على يد (مردوخ) بمعركة قمة الزقورة ب(بابل) السماوية. قال مُهَوَّنًا:

- لا عليك يا شقيقتي. لقد تعديت الصدمة. لا يوجد وقت لمثل

هذه الرفاهية الآن، لدينا مغتصبون لابد من الإعداد لاستعادة عرشنا
المسلوب من بين برائتهم.

ثم ألقى نظرة سريعة على (نينشوبور) وهو يقول:

- لا تقلقي عليها. قليل من الإصابات المؤلمة لا أكثر. لقد تخطت ما
هو أكثر خطورة بمراحل. لنتركها للحكيم ونتفرغ للحرب القادمة.

وافقته بإيماءة من رأسها، وأيده الحكيم بقوله:

- هذه عين الحكمة. لقد نضجت شخصيتك كثيرًا يا سيدي،
واكتسبت قطرات من حكمة كان ليفخر بها والدك.

مرّ طيف ابتسامة حزينة على وجهه مع تذكّره لأبيه، وغمغم ببرود
شديد مُلَمِّحًا لقتله المرتزقة:

- سيلقى زوج المرتزقة عقابهم. أقسم على هذا.

أضاف الحكيم همسًا:

- لم تكتسب الحكمة فقط. هناك أيضًا شيء من القسوة.

قال (نينورتا) بتسليم وهو يأخذ (إينانا) من ذراعها ليخرجها من
الغرفة التي فاحت برائحة المرض وذكريات الراحلين:

- قد تولّد حكيماً. ولكن يستحيل أن تولد قاسياً. إنها شيء تكتسبه
بالألم والفقدان المتكرر عبر السنين.

لم ينبس الحكيم بكلمة وهو يومئ موافقا سيد الصواعق رأيه.
واتجه نحو فراش الجميلة (نينشوبور) ليجلس عند قدميها، تاركًا
عصاه مستندة على الجدار المواجه، ثم شرد عبر مشهد المدينة عبر

النافذة الضخمة المشرعة، حيث اختلطت وامتزجت البيوت البيضاء والحدائق الخضراء بتناغم، خلف ضفاف (الفرات) الساحر.

سألها (نينورتا) مشاكساً:

- نتحدث بالشرفة؟

قالت بغيظ طفولي:

- لا أجيد التفكير بتركيز إلا بالجلوس بشرفتي وتأمل تفاصيل مدينتي.

- لك هذا أيتها الأميرة. سليلة أسiad الصواعق.

اتجه الاثنان نحو الشرفة بصمت، و(إينانا) تحاول هضم اللقب الذي نعتها به شقيقها منذ قليل. جلست على كرسيها الوثير، بينما استند (نينورتا) بظهره لحاجز الشرفة، مولياً المدينة ظهره ومحددًا في وجه شقيقته.

قالت بشرود:

- للمرة الأولى أستوعب هذا. نحن آخر سلالة أسiad الصواعق.

- سنعيش طويلاً. لا تحملي همًا.

- لا أمزح.

- وأنا لا يعني أن ينتهي نسلنا، ما يعني أن نحكم المملكة حتى آخر يوم في عمرنا بشرف وكرامة. أن نتذكرنا الألسن بالخير. أن يسطر التاريخ سيرتنا كأبطال. الفرد يفنى والسيرة تخلد.

- يا للسماء! كَفَّ عن هذه الحكمة المكتسبة ودعني أقول ما أفكر به.

- لك ما تريد.

وقفت. استندت لحاجز الشرفة بيديها، ركزت بصرها على بقايا قصر جدها (أنو) الذي صار ركامًا بعد أن كان مقرَّ سيد أسياذ العالم السماوي. كان انعكاس ضوء الشمس على سطح (الفرات) قد خلق طبقة رقيقة متألفة من الضياء، كانت تتموج مع الريح، كتموِّج أفكار (إينانا) بين جنبات عقلها. ثم قالت مسترسلة:

- لم يعد هناك نسل مستمرٍّ للأسياذ. سواء أسياذ الشمس أم القمر أم الماء أم العواصف أو أيَّ سيِّد لأيِّ عنصر طبيعة. سواء الأسياذ الذين اغتصبوا الحكم منا ويتميزون بقوة بدنية خارقة ويتسلحون بالحديد، المرتزقة من الأسياذ، الأسياذ الوحشية، وحتى السحرة والأنوار والحكماء. كل هذا على حافة الانقراض. لا يوجد نسل مستمرٍّ لأيٍّ من هؤلاء. أعتقد أنني لم أرَ تعاقبًا لثلاثة أجيال من الأسياذ إلا بعائلتنا - أسياذ الصواعق - فيما عدا هذا لا يوجد إلا جيل أو اثنين بالكثير. ولا أدري عائلة ذات جيلين خلاف أسياذ الماء، الأب (أبسو) والابن (إنكي). عدا هذا لا أرى سوى جيل واحد، ظهر فجأة وسيفنى لينتهي أمره وذكره.

انتبه (نينورتا) لما تقوله شقيقته. لم يصدق وأن فكر بالأمر من هذه الجهة. في كلامها منطق غريب ولكنه مخيف. ما تقوله يعني ببساطة أن عصر الأسياذ بكل طوائفه سينقرض قريبًا.

غمغم مضيقا عينيه:

- لا يبدو أن أحدًا أدرك هذا. بل على النقيض يحاولون على الدوام تسريع هذا الانقراض. بدءًا بالحرب الدموية الأولى التي أفنت أغلبهم، ثم الحرب الحالية والتي ستكون طعنة الرحمة والخلاص لجسد مترنح يحتضر. يبدو أننا نشهد آخر مرحلة في تاريخ فصيلنا.

- سيسود العامة من جديد.

- ستصير نسخة أخرى من أرض البشر.

- ربما سيكون هذا أفضل.

- وكأنك لا ترين أن البشر يكافحون - بدورهم - في إفناء فصيلهم بحروب لا تنتهي في كل عالمهم ولأتفه الأسباب.

- قوتهم محدودة، ليست كقوتنا. بإمكان أحد الأسياد أن يفني العالم في لحظة بصر. سواء عالما أو عالم البشر.

تنهد (نينورتا) قائلاً:

- لا يمكنني مناقشتك في هذه النقطة. ولكن...

اقترب منها ليسأل بقلق:

- هناك مغزى من ما تقولين. لا يبدو مجرد ردّ فعل لصدمة ما بعد الخروج من الأشر.

- هذا صحيح يا أخي.

ثم قالت بحروف هامسة وكأنها تخشى لفظ الاسم:

- (مردوخ)!

- السيد الطافر. ما به؟

- لقد أيقن هذا مبكرا، لهذا يحاول الإسراع باستخدام من تبقى من الأسياذ قبل أن يصبح ذكرى. ولهذا يوجه أطماعه بشكل أساسي لعوالم أخرى. لقد فهم حقيقة أن عالمنا ينتهي، وأنه ليس له مستقبل، وأن المستقبل كله في عوالم أخرى أكثر ثراءً من عالمنا الذي يجاهد لإفناء نفسه. باختصار، امتلك من البصيرة ما جعله يدرك أن السفينة تغرق، فيسارع بحمل أثمن ما بها ليسارع بالفرار واغتصاب سفينة أخرى قوية سليمة لا تشوبها شائبة.

- يبدو أنك أصبحت تعرفين الكثير عن خطته وتطلعاته.

- لا تنس. لقد كان اختراق ساحره (النمرود) لعقلي - أثناء احتجازهما لي - ثنائي الاتجاه، حتى ولو لم يدرك الساحر الراحل هذا. - ولكن (مردوخ) لن يعيش طويلاً بدوره.

- بالتأكيد سيموت يوماً ما. ولكن الأمر نسيبي، فربما يعيش آماداً طويلة قبل رحيله تجعله خالداً بالنسبة لنا كأسياد غير طافرة.

- هذا مخيف.

- أريك فقط حدود أفكار وقدرات خصمك.

ردد (نينورتا) بتعجب وكأنه لم ينجح في استيعاب الكلمة:

- خصمي؟

(مردوخ) خصمه؟ وماذا عن أسياد الحديد، مغتصبي (كيش)، أليسو خصومه الأصليين؟ أليست حربه النهائية هي استخلاص

العرش المسلوب منهم وإفنائهم؟ وماذا عن انتقامه الشخصي من المرتزقة الذي اغتالوا والده (إنليل)؟ ألا يُعَدُّوا خصوما بدورهم؟ بل على النقيض ستكون حربه ضدهم لها دافع قوي يجعله قد يضحي بروحه من أجل الفتك بهم. بإضافة (مردوخ) يبدو أن القائمة قد صارت أضخم -وأكثر خطورة- مما ينبغي. وجد الفتى (نينورتا) نفسه يشترق حقًا لأبيه وجده كبار أسياد الصواعق. وشعر بالإرث الذي تسلقه منهما يحني ظهره. ولكنه -وبالرغم مما يحمله من هموم- شعر بالفخر للتغير الذي حاق بشخصية شقيقته (إينانا). نضج تفكيرها وصار بالإمكان الاعتماد عليها كسيدة للصواعق لا غبار عليها. صقلت التجربة السيئة السابقة لها -كأسيرة بين جدران معبد (مردوخ) وبعقل (النمرود)- لتجعلها أكثر نضجًا بكثير، لم تعد تلك الفتاة الصغيرة التي تنتقل بين العالمين -السمائي والأرضي- لتعبث وتلعب بلا هدف، بل صارت سيدة قوية ذات بأس، بعقل راجح، وجيوش من هاليتين إلهيتين جبارتين ل(سرجون) و(جلجامش)، بالإضافة لجيش آخر يتمثل في ولاء وصيفتها ووحشها المهلك السيد الوحشي (خومبابا).

قاطعت أفكاره نحنة مهذبة من الحكيم، التفت سيدا الصواعق الاثنان نحوه، فلوح برسالة مطوية بين أصابعه وهو يقول:

- رسالة قد تغيّر بعض الموازين. رسالة من أقصى شمال المملكة. من سيد مدينة (أشور)!

الرسالة

كان الحكيم (ماندائو) يدق بعصاه الأرض، وهو يدلف لغرفته الخاصة التي تعجّ بالزُّم، وحواشي رداءه حالك السواد تتطاير خلفه. توقف عند الباب ليسمح ل (نينورتا) و (إينانا) بالدخول خلفه، ليجلس كل منهما على مقعد حجري غير مريح، فتخرج الحكيم وهو يقول بِثَرْد:

- بإمكانني إحضار الزُّم للشرفة الملكية لتستطيعا الجلوس على نحو أكثر راحة.

هزت (إينانا) رأسها نفياً، بينما قال له (نينورتا) على الفور:

- هات ما عندك.

رفع الحكيم الرقيم الحجري الذي كان يُطبق عليه بأصابعه. بدأ يقرأ بِرَوِيَّة:

- من السيد (أشور)، سيّد مدينة (أشور) السماوية الحرة، لديّ من المعلومات ما يفيدكم بشأن الانتقام من مرتزقة أسياذ الحديد. أريد منكم الأمان من بطش أسياذ الحديد وسأكون لكم خير حليف، ولا أمانع أن أشارككم حربكم ضد هؤلاء المرتزقة وتحقيق انتقامكم لأبيكم. بانتظار الردّ مع الرسول الأشوري.

صمت الحكيم، سألت (إينانا) بتوتر:

- من هذا ال (أشور)؟

صمت (نينورتا)، بينما أجاب الحكيم:

- بأقصى شمال مدن (بابل) السماوية، توجد مدينة شاسعة الأطراف ثرية بشكل لا يوصف. جيوشها جبارة ومنظمة، ويقال إن سيدها يُلقَّب بسيد الحرب، السيد (أشور) والذي يعشق الحرب عشقه لإطلاق أسهمه الجبارة القادرة على تدمير مُدُنًا كاملة. لقد اتحد مع السيد (أداد) -المبعوث حيًا بواسطة ملكة الجحيم- من أجل تحقيق انتقامه من كل المدن السماوية، والتي يتهمها جميعها بالتواطؤ في اغتيال ابنه ووريث عرشه.

رددت (إينانا) بتعجب:

- سيد الحرب؟! ألم يكن هذا لقبك يا أخي؟

أجابها بمرارة:

- يبدو أن أحدًا قد انتزعه مني بعد فراري لأرض البشر.

قالت مواسية:

- كان كَرًّا لا قَرًّا. ثم أنك عدت منها لتنجح في تحريري من سجنِي.

غمغم (نينورتا) متجاهلاً ما أثارته، إذ أن موضوع الألقاب كان آخر ما يشغل باله الآن. فعاد لموضوع (أشور):

- هذا جنوني. ما يفعله (أشور) هو حرب استعمارية لا يوجد لها أدنى سبب شريف.

سألت (إينانا) بقلق:

- وهل نجح في احتلال أية مدن حتى الآن؟

- في الواقع لقد فشل سيد الحرب فشلًا ذريعًا. أخبرتنا العزافات

أنه هاجم مدينة (كيش) -معقل أسياذ الحديء- كبداية؁ ولكنه هُزم هو وفرَ بعد مقتل حليفه السيد (أءاء). أسياذ الحديء لا يمزحون حقًا بشأن الحفاظ على مءينتهم وعرشهم. وللأسف فقد أوضحت العزافات أن لءيهم سياء وحشيا؁ تئين وحشي مروؤص.

ارتجفت نبرات (إينانا) رغبًا عنها وهي تسترجع لحظة وقوف التئين أمام شرفتها؁ وعلى متنه سيءا الحديء؁ بعد اغتيالهما للءء (أنو) وتدمير قصره الملاصق لقصرها هذا. وقالت:

- لا يءتاج الأمر للءرافات. لقد رأيتـه بنفسـي. إنه الءعيم متءسءا. لم يعجب هذا (نينورتا) فقال:

- ءعنا من التئين الآن؁ ستكون لنا ءولة ضءه هو ومروضه؁ ولكن لنهتم الآن ب(أشور). ما الءي تقوله الرؤم لءيك عن (أشور)؟ سأله الءكيم:

- (أشور) السيد أم المءينة؟

- كلاهما.

- بءصوص المءينة لا يوءء الكثير. إنها مءينة قءيمة قدم العالم السماوي نفسه. يقال إنها ثاني مءينة تم تشييدـها بعد (إريءو) على الفور. لءيها تاريخ يمتزء فيه الاءتمام بالزراعة والصيء مع الاءتمام بتنظيم الءيوش والتقنيات الحربية؁ ولءيهم تاريخ حربـي يعء بالغارات على المناطق المحيطة مما يجعلهم كابوسًا مقيمًا لكل من حولهم.

قال (نينورتا) متفكرا:

- تبدو بالفعل وكأنها مملكة مستقلة عن (بابل). وكأنها منفصلة عنها. لهذا وصفها (أشور) في رسالتها ب(الحرّة).

- في الواقع هي منفصلة عن (بابل) بالفعل. لم يعلن (أشور) ولاءه لأسياد الصواعق من قبل، ولم يهتم أحد-سواء جدك أو والدك- بالضغط عليه من أجل هذا. وكان هناك اتفاقا غير معلن بين الطرفين لعدم التدخل في شأن الآخر، (بابل) و(أشور) كلّ كيان منفصل. لا يُغيّر أحدهما على الآخر ولا يطالبه بولائه، ويتم تبادل بعض الخيرات كتجارة لا أكثر بين المملكتين.

تمتت (إينانا):

- هذا عَبَث!

قال (نينورتا):

- أتفق معك. ولكن السيد هذا لديه قدرات تمكّنه من التوغّل بمدننا بمنتهى السهولة. انظري لِمَا فعله، لقد أرسل رسولا برسالة من أقصى الشمال لأقصى الجنوب، متخطيًا مدن (كيش) و(بابل) وحتى (نيبور) معقل المرتزقة.

- وهل تأمن سيّدًا بمثل هذه القدرة على الاختراق الداخلي لمدننا؟

قال الحكيم بلهجة حاسمة:

- هذا هو السؤال الصحيح سيدتي.

قال (نينورتا) لم توحى باقتناعه بما يلفظه:

- نحتاج لكل عين وكل ذراع وكل قدم.

اعترضت (إينانا):

- جسد واحد مُخلص أفضل من مئة جسد يتظاهرون بالتماسك والولاء ليسارعون بالفرار والخيانة مع أول اختبار حقيقي. ولديك وصيفتي وما فعلته من أجلي خير مثال.

مظ (نينورتا) شفتيه ولم يعترض، بينما ابتسم الحكيم بإعجاب قائلاً مُثنيًا على منطق (إينانا):

- سيدة الصواعق أصبحت منبعًا للحكمة.

تبادل الجميع النظرات، قال (نينورتا) بعد حين:

- أعتقد أن ما بين السطور ليس بخفي. إن رَفَضْنَا أن نكون حلفاءً له فسنصبح أعداءه. ولدينا - بالفعل - عدد من الأعداء كبير حقًا، ولم أكن أتخيل أن هذا العدد سيكون قابلاً للزيادة حتى ساعة مضت.

دق الحكيم بعصاه الأرض بتوثر بدون أن ينطق، كان مأزقًا حقيقيًا، وخاصةً أن سيد الحرب الماكر يتعجلهم في الرد.

سألت (إينانا) بأسلوب يبدو منه وكأنها لا تنتظر ردًا:

- ماذا يريد أن يخبرنا به بخصوص ما حدث بمدينة أبيننا (نيبور)؟ نعلم أن المرتزقة اغتالوا أبانا (إنليل). ما الذي يعتقد أنه سيفيدنا به؟

غمغم الحكيم:

- ما دام عرض المساعدة فبالتأكيد لديه معلومة ثمينة.

- وإن استطعنا معرفة هذه المعلومة بإمكاننا تجاهله. أليس كذلك؟
- ليس الأمر بهذه البساطة. ولكن ما يمكنني تأكيده أننا لو نجحنا في استعادة (نيبور) ودحر المرتزقة، فلن نكون بحاجة لأسراره وتحالفه، ولن نقيم وزنًا حتى لعداوته حينها.

تدخل (نينورتا) ليسأل:

- وما المعضلة في استعادة (نيبور)؟ إن كان الأمر سهلًا لَمَا قَدَّم (أشور) المساعدة.

تنحني الحكيم، نظر له سَيِّدا الصواعق، فقال باختصار:

- يبدو أنني لم أظلفكما على آخر أخبار (نيبور) و(ماراد).

قال له (نينورتا) بغیظ:

- توقيت مناسب للاعتراف بهذا. ما الذي يحدث ب(نيبور) إذا بخلاف مصرع أبينا (إنليل)؟

قال الحكيم وعلامات الاهتمام بادية على تجاعيد وجهه التي تضاعف عددها في هذه اللحظة:

- أتت العزافات بأخبار تفيد أنه بموت السيد (إنليل) حدث تغيير جذري بالمدينتين. سواء (نيبور) أو (ماراد). بل حتى المنطقة كلها. لقد قامت ملكة العقارب ببناء مملكة منعزلة خاصة بها. مملكة من العقارب. انتشرت عقاربها الضخمة لتبني القلاع والحصون فوق وتحت الأرض. لا ينجح كائن حي من الاقتراب من محيط مملكتها الخاصة إلا وقضت عليه العقارب الفتاكة.

قال (نينورتا) بسخط، متذكّرًا هزيمته من زوجي المرتزقة وعقاربهما في معركة (ماراد)، قبل فراره من وجههما ولجوءه لأبيه:

- أتذكر جيش العقارب هذا. كما أتذكر المرتزق الراعي المحتال والذي كاد يقتلني شخصيًا في معركة (ماراد). لديّ ثأر شخصي معهما، سواء الراعي أو العقارب.

قالت (إينانا) بغم:

- لم نوّرث إلا ثأر خلف الآخر.

- سنوفي كل ما علينا تجاه أسياد الصواعق من ديون. أولاً المرتزقة، ثانيًا أسياد الحديد.

قال الحكيم:

- هذه بداية جيدة. ترتيب الأولويات. لا داعي لنفكر في خطوة بعيدة حتى لا نتعثر بخطوة قريبة سهلة. لننظر تحت أقدامنا قبل التحديق لبعيد.

قالت (إينانا) بتصميم:

- إذا هدفنا الآن هو أرض العقارب.

وافقها (نينورتا) بقوله:

- نعم. لنبدأ بدحر المرتزقة وتخليص (نيبور) و(ماراد) من جيوش عقاربها الكريهة. ومن هناك يمكننا بدء الخطوة التالية والزحف شمالاً نحو (كيش).

دقّ الحكيم بعصاه عدة مرات وهو يقول:

- لدينا رسول ينتظر الرد. ماذا سنفعل بشأن (أشور)؟ هذه هي الخطوة الحالية، قبل خطوة أرض العقارب وملكاتها.

ترددت (إينانا) قبل أن تقول:

- أخشى أن علينا مهادنته. حتى ولو كَذِبًا.

اعترض (نينورتا) قائلاً بانفعال:

- لن أجعل رحلتي لاستعادة العرش تبدأ بالكذب.

قالت بمرارة:

- لقد كان والدنا شريكًا. رجل ذو كلمة. انظر مصيره الآن. لابد من التعلم من أخطائه. لا ضير من القليل من المكر. لا أحد يستطيع محاسبة المنتصر على طريقة فوزه، يرسلون له بالتهاني فقط. ودائمًا وأبدًا البقاء للأقوى، حتى ولو استعانت قوته ببعض المكر الناعم.

- سنماطله إذًا؟

- شيء مثل هذا.

ثم التفتت نحو الحكيم أمرة:

- أعطه ردًا عائقًا. لا ترفضه كحليف ولكن اجعل موافقتك مبهمة بشكل أو بآخر. نحتاج لمعرفة تلك المعلومة التي يدعي أننا بحاجة لها، فإن صدق حدسي فلديه بالفعل شيئًا سيجعل كفة الحرب تميل لنا في معركتنا ضد المرتزقة.

هز الحكيم رأسه وهو يقول:

- لك هذا يا سيدتي.

اعتدل الحكيم، فقال له (نينورتا) بحزم:

- أريدك أن تجمع كل ما قالتة الرُّقم عن المرتزقة. عن الراعي المحتال. عن ملكة العقارب. عن نقاط قوة وضعف هذه العقارب. أريد دراسة كاملة عن هذا الجيش قبل الهجوم. لا أريد ثغرة تسمح لهم بهزيمتي مجددا. فستكون هذه نهاية أسياذ الصواعق.

انحنى الحكيم معلنا امتثاله، بينما قالت (إينانا) مبتسمة:

- لدينا نقطة تفوق قد تحسم هذه المعركة. سلاح يجهلون -ولا يتوقعون- أن نمتلكه.

نظر نحوها كلاهما، فقالت بفخر طفولي عابث وهي ترفع قبضتين تألفت كل منهما بفيض فضي من هالة إلهية:

- أنا!

استعدادات الحرب

((يتطلع أسياذ الصواعق -أصحاب عرش مملكة (بابل) السماوية
نوي الشرعية- لمزيد من التعاون مع (أشور) مدينةً وسَيِّدًا. نقبلك
حليقًا، ونتمنى إثبات حسن النية بسرعة إفادتنا بما لديك من أسرار
بخصوص مرتزقة الأسياذ، مغتصبي (نيبور) و(ماراد). وبناءً على
قيمة -وصدق- ما سيأتينا من طرفك من معلومات سيتم تقييم
جديتك في التعاون، والذي سيتربث عليه الكثير من التقدير
ل(أشور) في عالم (بابل) الجديد الموشك على الظهور، تحت لواء
أسياذ الصواعق)).

السيد (نينورتا)

السيدة (إينانا)

((يؤلمني تلميحكم للشك في صدق تعاوني، ولكني أعني جيداً
المخاطر والتحديات التي تحيط بكم، وتجعلكم حريصين على عدم
الانخراط في الثقة في أي حليف غامض. لهذا سأقدم لكم هدية
ثمينة ستجعلكم تقبلوني حليقًا قريبًا، بل وصديق عزيز أيضًا. كل
ما لديكم من معلومات بخصوص مدينتي (نيبور) و(ماراد) أنهما
صارا في قبضة زوج المرتزقة، الراعي المحتال وملكة العقارب، كلها
معلومات منقوصة. ما تجهلوه جميعًا -ويُعَدُّ سرًّا لم يتسرب خارج
حدود أرض العقارب- هو أن الراعي المحتال قد لقي مصرعه. ربما
يُتلج صدوركم جميعًا أن والدكم -الجبار- أبى أن يرحل إلا ومعه
روح الراعي المحتال، لجحيم (إرالو) السفلي. كل ما عليكم هو أن
تأخذوا حذركم من ملكة العقارب، فقد نجحت بسحر الكينونة

-الذي سلبته من مشعوذ مدينة (ماراد)- من امتصاص قوة
الصواعق من أبيكم. وهذا يعني أنكم لن تواجهوا ملكة عقارب فقط،
بل ملكة عقارب وسيدة صواعق في آن واحد)).

السيد(أشور)

(أشور) الحرة

- هذه كارثة.

- لا تبالغ يا شقيقي.

- لا أبالغ. لدينا الآن سيدة صواعق حقيقية.

- أنت سيد الصواعق الحقيقي، والأخير.

- لديها قوة سحر المشعوذ أيضًا. الكينونة. كما تملك جيشًا من
الوحوش، العقارب.

- لديك أنا، عقلي وهالاتي الإلهية. ووصيفتي ووحشها (خومبابا).

- ربما تسرعنا بقرار الهجوم عليها.

- لا يمكننا التحرك شمالًا بدون المرور على مدينة (نيبور) -أرض
العقارب الآن- ولعلك على علم أن جميع أعدائنا بالشمال. في الواقع
فإن جميع من بالشمال أعداء لنا! لا بد من سحق ملكة العقارب سواء
أحببنا هذا أم لا، وسواء أكان لنا ثأر عندها أم لا. إنها مجرد عثرة
بطريقنا لاسترداد عرشنا.

كان الشقيقان يجلسان على رمال ضفة (الفرات) الشرقية، يتابعان
-بدون شغف- الحركة الدووب التي يقوم بها مجموعة ضخمة

من العقال، في مقر قصر (أنو) القديم. وأشعة ما قبل الزوال تلسع الوجوه بحرارتها. بأمرٍ من (نينورتا) بدأ العمل لترميم قصر الجد (أنو) وإعادة بهائه، ليكون قصرًا له هو، آخر أسياد الصواعق، بعد فقدانه لمدينته (ماراد) -على يد المرتزقة- وكل ما يملك بها.

قال (نينورتا) وقد بدأ يهدأ ويفكر أكثر:

- كنت أُمّني نفسي أن نتخلص من عقبة استرجاع (نيبور) بدون الكشف عن كل قوانا. كنت أتمنى أن أستخلصها بدون اللجوء إليك بشكل أساسي. وددت لو تكوني سلاحى المجهول الذى سأستخدمه فى حرب أكثر أهمية، كالحرب ضد أسياد الحديد على سبيل المثال.

ربتت على كتفه لتطمئنه قائلة:

- عليك بذل جهدك، وأنا من جهتي لن أقوم بكشف كل أسلحتي مرة واحدة. سأستخدمها سلاحًا تلو الآخر بمنتهى الحكمة.

- أصبحت تملكين كثيرًا منها الآن؟

- الأسلحة؟

- والحكمة!

أطلقت ضحكة قصيرة، ولكنها لم تكن ضحكة نابعة من القلب. كانت ظلال الحرب المرتسمة عليهما تعقلهما. الخوف من الهزيمة يحيل لياليهما لكوابيس مقيمة. يعلمان أن عليهما كسب عدة معارك، لا يمكنهما تصنيف أيها أشد خطرًا، ولكنهما على يقين أن معركة (كيش) -مدينة أسياد الحديد- هي المعركة الفاصلة والأكثر أهمية. ومن هنا اكتسبت معركة استعادة (نيبور) أهميتها، كونها الخطوة

المؤهلة لما بعدها من معركة. بالإضافة لشيء في صدر كلا منهما، ففي (نيبور) تم إعدام أبيهما، لذا وجب أن تكون (نيبور) مقبرة للقاتل. مقبرة لملكة العقارب والصحاري وعقاربها، بأي ثمن.

سألته:

- وضعت خطة الحرب؟

- وراجعتها مع الحكيم مرارًا. وتم تفنيد مواضع قوتها وضعفها.

ثم التفت نحوها ليسألها بإصرار:

- ما زلتِ على موقفك؟ لا تريدين أن تخبريني بخطتك؟

- كلما عرفت أقل، كلما كان أفضل لك.

- اللعنة. لست عدوك. لا أفهم منطقك.

- لا أريدك أن تركز لوجودي. اعتبر أنني ما زلت أسيرة، وأن

انتصارك يعتمد عليك بشكل كلي.

- لا يروقني هذا.

- سننتصر. لا يخامرك أدنى شك.

ثم أضافت ساخرة:

- ولكن حاول ألا تجعلني أستنفد كل ما بجراحي من حيل. حينها لن

يروق الأمر كلانا.

(هل تراجعان خطوات المعركة على ضفاف النهر؟!)

كانت (نينشوبور)، الجميلة الشجاعة، اعتدلت (إينانا) على الفور

مع سماعها لصوتها، وابتهجت لرؤياها تسير - حافية - برداء أبيض رقيق تحاول الريح منافستها وجذب أطرافه عن جسدها الرشيق. احتضنتها طويلاً، ثم تطلعت لوجهها مغممة:

- شكراً للسماء. تبدين بأفضل حال.

- وكيف لي ألا أكون بخير وأميرتي تجالسنى أثناء مرضي يومياً؟
(ملكته لو سمحت)

اتسعت ابتسامة (نينشوبور) مع مقاطعة (نينورتا) الذكية، لم يتبقى من نسل (أنو) و(إنليل) إلا (نينورتا) و(إينانا)، وهذا يعني أنهما الآن ملك وملكة. آخر الملوك.

ردت بكياسة مبتسمة ل(نينورتا):

- هذا يطربني أكثر مما تتخيل يا سيدي. فإنه يجعلني أترقى لوصيفة ملكة لا وصيفة أميرة.

- تستحقين أكثر من هذا!!

- أشكرك يا سيدي.

مالت (إينانا) نحوها قائلة بخبث:

- لا أعتقد أن أموراً مثل الحرب وسفك الدم والصواعق التي تشق الفضاء والعقارب الضخمة المتوحشة - قد تخيفك بعد الآن؛ فأنت عنصر شديد الأهمية بالمعركة القادمة.

- سأتابعك حتى لو بقلب إعصار.

قال (نينورتا) ساخزًا:

- للأسف، تبدو لي كنبوءة.

تذكر مفسرة الأحلام -حبيبته البشرية- التي ماتت بين يديه
بمعركة قمة الزقورة، فعبس. تذكر أن لديه ثأرًا لا يقل أهمية عن ثأر
أبيه، ثأر آخر لدى (مردوخ) الذي ذبح حبيبته بيديه. لاحظت (إينانا)
تحوله وفهمته بلحظة، فوكزته بكتفه عابئة وهي تقول:

- أتمنى ألا يؤثر عليك عشقك لمفسرة أحلامك بالسلب، فيدفعك
لعدم استعدادها في المعركة القادمة.

أضأت عينا (نينشوبور) وهي تقول:

- (نانشي). يا لها من محاربة. يا لها من فتاة. أفقدتها كثيرًا منذ
لقائنا ب(بابل) قبل أن ... هل تحولت حقًا لهالة إلهية بعد رحيلها؟
هل أصبحت شخصية أسطورية مثل (سرجون) و(جلجامش) اللذان
تملكين هالتهما الإلهية يا أميرتي؟ مليكتي أقصد.

أجابت (إينانا) وعيناها تراقب تجهّم ملامح وجه شقيقها أكثر:

- إنها بالفعل شخصية استثنائية. وستكون سببًا مؤثرًا في تحقيق
النصر لنا. لا يخامرني أدنى شك في هذا، وأكاد أتلف لرؤيتك
تستدعيها يا شقيقي كهالة إلهية لا يشق لها غبار.

اكتسبت ملامح وجه (نينورتا) قناعًا قاسيًا، وهو يرتقي ليطير
بجسده فوق مستوى رأسيهما، شهقت (نينشوبور) من المفاجأة، قال
(نينورتا) وكأنه يدلو بدلوه الأخير في هذا الموضوع:

- لقد كان (أشور) مفيدا حقا لنا. ولا أعتقد أنه سيكذب بشأن أمر يمكننا التحقق منه بمجرد بدء المعركة ضد ملكة العقارب. وفي كل حال لا ضير من التهويل من شأن الخصم ومهاجمته على هذا الأساس، فهذا أفضل بكثير من التهوين أو من التفاجؤ بقدرات لم نكن نتخيل وجودها لديه. سنتحرك للزحف نحو (نيبور) غداً بعد الشروق مباشرة. لتحرص كلاكما على نيل قسط وافر من النوم. نحتاج لكل ذرة تركيز. سأذهب لتفقد الجيش، ورفع روحهم المعنوية لأقصى حد.

غمغمت (إينانا):

- يحتاجون لها بشدة. لا يعلمون - وإن علموا لن ينجحوا في تخيل - ماذا سيواجهون غداً.

غادر (نينورتا) كعاصفة، فتابعته (إينانا) بقلب يتمزق، شعرت (نينشوبور) بها، فسألتها ودموعها تترقرق بمقلتيها:

- أكان يحبها لهذه الدرجة؟

أجابت (إينانا):

- لقد عشقا بعضهما البعض لدرجة أن الموت لم ينجح في تفريقهما!

إينانا

فجأة، وجدت (إينانا) نفسها تسقط من حالق.

عانقتها السحب للحظات قبل أن تفلتها، وتقلب جسدها بفعل سرعة السقوط الحز. أين جناحها؟ أين قطيع أسودها الحامي؟ أين قواها؟ لماذا تشعر وكأنها ليست إلا أحد العامة السماويين، بل عامة البشر، تسقط من علّو وكأن قدم عملاقة خفية ركلتها باحتقار، لثنيّظها من نعيم السماوات لجحيم الأرض.

رأت الأرض تقترب منها بسرعة مخيفة، سيتحطم جسدها الرقيق بمجرد ارتطامه العنيف بالأرض. وثبت لذهنها صورة أبيها (إنليل) دوّنًا عن كل من قابلتهم بحياتها من أشخاص، دوّنًا عن كل من يحبها ويريد -ويستطيع- إنقاذها. فقط تجلّت لها صورته، وهو جالس بغرفة عزفه الخاصة، يلتقط بأنامله أوتار كيثارته، ويعزف لحنًا ملائكيًا لم تسمعه من قبل. انفصلت عن واقعها -أو خيالها- وهي تعود بذاكرتها لطفولتها. الابنة المدللة لسيد الصواعق. تجري وتلعب بين حدائق (الوركاء) الخلاصة، تخب فوق العتبات وتتسلق جذوع الأشجار. تهرب من زحام البيوت لتلجأ لضفاف (الفرات)، تلقي بجسدها بالماء العذب لتستمتع بإحساس الماء على جسدها. ودائمًا تجده يقف ينظر نحوها، كحارس، كأب، كأخ، ينتظر أن تظهر رغبتها في شيء في نظرة عين، فيقرأها ويسارع بتنفيذها لها وكأنه حلم يتحقق.

كانت صغيرة عندما شبت شرارة حرب الأسياد الدموية الأولى. أخذها (إنليل) لقصر (أنو) وأغلق عليها المتاريس، وترك قطيع

الأسود الذهبية يحرسها بحياته. جلست تبكي وتبكي، مَرَّ يوم كامل وهي تعلم أن أباهـا (إنليل) وجَدَّها (أنو) - بل وحتى شقيقها (نينورتا)- جميعهم مستنفرون للحرب. حاولت منع خيالها الخصب من رسم صورة لمستقبل بلا (إنليل). كانت لتتقبل خسارة أي شخص باستثنائه، فهو يمثل لها الحياة كلها. وهكذا، وبعد مرور يومين شعرت بهما دهورا، تم إزالة المتاريس وفُتِح الباب، لتجد (إنليل) يهرع نحوها فاردا ذراعيه. يمتلئ جسده بالسحجات والدماء الصفراء المتجمدة، ولكنه حي يُزَرِّق وبأفضل حال. وخلفه كان (نينورتا) يقف وقد ضاعفت الحرب من عمره، وجعلته ينظر نحوها كالمذهول الذي يجهلها.

صار (نينورتا) أكثر انعزالاً عن اللعب معها، تجاوز -بأثر الحرب الدموية- مرحلة الطفولة سريعاً وصار محارباً، وحرص على تلقّي النصائح من الجد العملاق (أنو)، بطل معركة الأسياد وسيدهم جميعاً. بينما لم تهتم هي إلا بأبيها، وبالجلوس بين قدميه تتسمع لعزفه الذي كان يجعل دموعها تتساقط مدراراً على وجنتيها، ولم يكن يغفل عنها أن عين أبيها تطرف بالدموع أيضاً. وتساءلت في نفسها تساؤلاً مشروغاً، هل يمكن لهذا العازف الحساس أن يبطش ويقتل ويصعق ويبطش بأقوى الأسياد، بنفس اليد التي تجري أناملها برقة على الأوتار؟

تطوّر فضولها ليتخطى حدود العالم، بدأت تخطف زيارات قصيرة متكررة لعالم البشر. أعجبت بحيواناته التي لا توجد بعالمها. ببعض المواد التي لم تراها من قبل. ببساطة البشر وتخلفهم، ضعفهم وقوتهم، تفرقهم واتحادهم. بدأت تميل لجنس البشر وتراهم فصيلاً

مغلوبًا على أمره يستحق مَد يد المساعدة له. علّمها أبوها كيف تعبر
برزخ ما بين العالمين منذ نعومة أظافرها، موهبتها التي استمتعت
بها كثيرًا. انتقل اهتمامها بالبشر لمستوى متقدم فصارت تبحث
-بَنَّهُم- عن تاريخهم، ومن هنا بدأت علاقتها بالحكيم (ماندانو)
وزُقِّمَ التي لا تنتهي. الحكيم الذي تتذكره عجوزًا منذ طفولتها،
وكأنه لم يكن شابًا من قبل قَط. قَصَّ عليها أحسن القصص عن
تاريخ البشر. الأرض ما قبل فيضان (نوح). حضارات وأسياد (أكد)
(سومر) من البشر. ثم بدأ يتجه في قصصه لمرويات الأولين،
ومن هنا بدأ شغفها بالهالات الإلهية، وخامرها يقين -خلقته المعرفة
العميقة- أنها ليست بخيال، ومن هنا بدأت ترسم قدرها بيدها، لتصير
صاحبة هالتين إلهيتين بالفعل: (جلجامش) و(سرجون).

ذات ليلة كان قمرها بدرًا، وهبها (إنليل) وصيفتها، الجميلة
-كالبدر- (نينشوبور). قال لها إنها جاريتها فرفضت (إينانا) -ذات
العشرين ربيعًا حينها- هذا الوصف، وقالت بإصرار إنها شقيقتها
التي لم يهبها القدر إياها. كانت (نينشوبور) طفلة حينها فتعجبت
(إينانا)، ولكن سرعان ما تآلفت الأميرة الصغيرة ووصيفتها الجميلة،
فصارت علاقتهما كالشقيقتين كما أرادت (إينانا)، بل وأكثر. لقد كانت
(نينشوبور) أختها بما هو أكثر من الدَّم. بالروح.

كانت إقامة (إينانا) الرسمية بقصرها بمدينة (الوركاء)، بجانب
جدها (أنو)، ولكن كانت تقضي أغلب أيامها بمدينة (إنليل) -مدينة
(نيبور)- ما بين قصر أبيها والمكتبة العظيمة. وجزءًا لا يستهان به
من وقتها كان بأرض البشر، (سومر) الأرضية، تطارد عظماءهم، في
محاولة لاقتناص أية هالة إلهية محتملة.

شعرت بالانتصار مع رؤيتها لهالة (جلجامش) والنجاح في اقتناصها، زُفّت الخبر بحبور للحكيم ولأبيها وهي تتباهى بقبضتها الفضية. ثم تطوّر الأمر باقتناصها لهالة (سرجون) الأكدي، وصار (إنليل) يخبرها بدون مواراة أنها صارت سلاحًا مهمًا في عائلة أسياد الصواعق، بما امتكته من هالة لسيّدِي حرب لا يُستهان بهما.

ثم آلت حياتهم للسقوط، بمجرد إعلان (أنو) النبوة. كان قد اعتزل العالم السماوي طويلًا، تاركًا مقاليدَه بين يدي (إنليل)، والذي كان يديره كما يجب، بمزيج فريد من القوة والحكمة. ولكن خرج (أنو) من عزلته ليعلن لجميع أسياد العالم السماوي أنه قد بلغت رسالته من ربّ واحدٍ أحد. وأنه مكلف بتبليغ رسالة التوحيد للسمّاويين جميعًا. قوبل بالاستهجان من جميع الأسياد، وباستثناء أسياد الصواعق الذي دانو بديانته التوحيدية، كان موقف باقي الأسياد شبه عدائي، وانتهى الأمر باغتيال سيد الصواعق الأعظم بقلب قصره، على يدي أسياد الحديد. ثم تطورت الحرب لتنتهي بفرار (نينورتا) لعالم البشر فرارًا من قوة زوج المترزقة ملكة العقارب وراعيها المحتال، ثم تلاه أسرها على يد (مردوخ) وساحره (النمرود) الطامعين في ما تملكه من هالات إلهية. ثم كانت الصفحة السوداء الأخيرة بإعدام (إنليل) على يد مرتزقة الأسياد، بمدينة (نيبور).

شعرت بالمرارة تندفع عبر حلقها وتمنعها من ازدراد لعبائها، كادت تختنق فسعلت بشدة، وانتبهت لنفسها تهت من فراشها، مستيقظة من كابوس سقوط مظلّم طويل، بدا أشبه بشريط مصغّر لحياتها.

دوى نفير الحرب. لقد حانت الساعة المنتظرة. لحظة تسديد دَين

من قتلوا أبيها. انقبض قلبها. كلها ثقة في قوة شقيقها وقوتها وقوة جيوشهم. ولكن ظلّ دائماً ذلك الجزء بداخلها، جزء الطفلة الصغيرة التي تجلس عند قدمي والدها العازف، ظلّ يطلّ على واقعها بقوة تزلزلها وتعيدها طفلة تائهة تبحث عن أبيها، قبل أن يعود لمكمنه بغياهب الذكريات المظلمة، ليسمح لصاحبه أن تستعيد جأشها وحياتها كملكة وسليلة لأسياد الصواعق.

معركة عش العقرب الجزء الأول

مدينة (نيبور).

لاحت الأسوار على مرمى البصر، يجعلها السراب تتموج وكأنها قُذت من ماء. رفع (نينورتا) ذراعه اليمنى وقد ضم قبضته بقوة، فتوقف الجيش بإشارة من القواد الثلاثة التابعين لـ (نينورتا). لكزت (إينانا) بطن الأسد المجنح الذي تمتطي متنه - برفق - ليتوقف بدوره، وهي تنظر نحو (نينورتا) بتساؤل، فما زالت (نيبور) بعيدة. فتوقف قطيع الأسود الذهبية المجنحة الحامي لها، ليكتفي بالترقب. بينما اقتربت (نينشوبور) - وهي على متن أسد آخر - لتلتصق بسيدتها وقد بلغ القلق منها مبلغه.

قال (نينورتا) بصوت تعقد أن يسمعه الجميع:

- هذه حدود أرض العقارب. أعني أرضها السفلية تحت التراب. إن تَقَدَّمنا صِرْنَا فريسة للعقارب الرابضة بالأسفل، والمتربصة لمرونا فوقها.

سألت (نينشوبور):

- كيف سنغزو المدينة إذا ونحن عاجزون عن الاقتراب من أسوارها؟

ارتقى بجسده قليلاً ليعلو فوق الرؤوس مغمغماً:

- نحتاج لتطهير عالم العقارب السفلي أولاً.

ضم قبضتيه ثم باعد بينهما، تكوّنت بين قبضتيه كرة من صواعق

تدور حول نفسها، حرك أصابع يديه مؤجّها الصاعقة لتندفع نحو وسط الأرض المنبسطة أمامه، فيدوي انفجار هائل، يمزق قشرة الأرض، ويترك حفرة كبيرة عميقة، وتغطي المنطقة سحابة من التراب الأصفر لثواني، قبل أن تنقشع العاصفة الترابية، لتسفر عن حفرة عظيمة بالأرض. ومع رؤيتهم لما برز من خلال هذه الفتحة بقشرة الأرض شهقت (نينشوبور) بفزع:

- يا للسماء!

تطلّع الجنود بخوف للكماشات السوداء التي تراضت كأطراف رماح غادرة تنظر للسماء، بالحفرة التي خلفتها قنبلة (نينورتا)، جيش من العقارب الضخمة كان يجثم بالأسفل منتظرا مرور الأقدام فوقه ليجتذبها لعالمه السفلي.

صاح (نينورتا) بالجيش:

- أفسحوا الطريق للمجانيق.

تباعد نصف الجيش كسطح بحر منشق، لتظهر خمسة من المجانيق الضخمة كانت بمؤخرة الجيش، كتل ضخمة من الخشب بدت كجيويت عملاقة تتحرك على عجلات كبيرة مرنة. توقف دفع الجنود ذوي الأجساد الضخمة المسؤولين عن دفعها طيلة الصحراء من (الوركاء) ل(نيبور)، وبدؤوا يحملون أجولة ضخمة معبئة كانت معلقة بجانب كل منجنيق، ويضعونها بطرف ذراع المنجنيق، حيث اتسع وتقفّر ليفكّن ملؤه بالذخيرة، التي من المعتاد أن تكون حجارة، ولكنها كانت مجرد أجولة قماشية ممتلئة بسائل يبدو ثقيلًا من تقلص عضلات الجنود وملامح وجوههم أثناء رفعها على أعتاقهم.

تم وضع الذخيرة -الأجولة المليئة- بأطراف أذرع المجانيق. رفع (نينورتا) يديه، ثم خفضهما مرة واحدة، ليضرب كل جندي الحبل الذي يربط الذراع الهائلة بأسفل المنجنيق، خمس ضربات حرّرت خمسة أذرع، فَعَلًا صوت صرير المفاصل المعدنية للذراع الخشبية، وهي تتحرك لترتفع ببطء بادئ ذي بدء بفضل قوة من الجاذبية، ثم علا الصرير حتى صار مزعجًا، لتتضاعف سرعة ارتفاع الأذرع، ثم تكاد تسارع الريح وهي تنقبض لتلقي بحمولتها بعيدًا باتجاه الأرض المنبسطة.

شقت الأجولة الفراغ مصدرة هسيس غريب، ارتفعت لعنان السماء بسرعة، ثم توقف ارتفاعها وكأنها تجمدت بين السحب لوهلة، قبل أن تهوي بسرعة للأسفل نحو الحفرة التي صنعها (نينورتا). أطلق (نينورتا) عدة صواعق متتالية فَجَّرَتْ الأجولة، وأفرغت محتوياتها السائلة السوداء اللزجة فوق أجساد العقارب الرابضة بانفجار أسود مكتوم. ثم أتبعها بعدة صواعق أخرى استهدفت السائل نفسه الذي تنثر على أجساد العقارب.

إنه قارَ في الغالب. إذ أنه بمجرد أن لامست الصواعق سطحه انبعثت الشرارات وتضاعفت بسرعة شيطانية. لَتَشَبَّ النيران بأجساد العقارب في لحظة. وبينما تحاول العقارب التملّص كانت النيران تزداد لتغطي كل أجساد العقارب بطبقة هائلة من النيران الملتهبة. ارتفع أجيج النيران ممتزجا بأصوات تمزق أجساد العقارب، فاحت رائحة الشواء المقزز في لحظات. لم يكن هناك طريق للعقارب للهرب، فقد سرت النار بينهم بسبب تكدسهم فشملتهم جميعًا، وبدأت

العقارب - والنار تتصاعد من أطرافها- تفرّ من الحفرة لتستقر فوق الأرض؛ محاولة النجاة بحياتها من هذا الجحيم تحت أرضي.

سألت (نينشوبور) وملامح وجهها تتلوى من بشاعة ما ترى:

- ألا تصيح وهي تحترق؟ ألا تشعر بالألم؟

أجابتها (إينانا) بشرود وهي تسترجع ما علّمها الحكيم عن العقارب:

- إنها لا تُصدر أصواتًا. تتواصل بالذبذبات تحت الصوتية وتقرأ بواسطتها زحف الكائنات فوق سطح الأرض وكأنها تراها. عيون غير مرئية.

صاح (نينورتا) بقوة:

- الرّماة. الآن.

برز من قلب نصفي الجيش صفان من الرماة، اقتربا حتى امتزجا وصارا وحدة واحدة. تسلّح كل منهم بسهم مشدود في قوسه، وبكنائته استقر عدد آخر كبير من الأسهم. وكان القارّ أسود اللون يكلل طرف كل سهم. اقتربوا بسرعة من فلول العقارب المحترقة التي تحاول الفرار من النار، وأمطروها بسيول من الأسهم، استهدفت كلها عيونهم ورؤوسهم، فأصبحت الرؤوس جذوات من نار مستعرة. فسقط جميع من حاول الهرب صريعًا. وهكذا انتهى أمر عقارب ما تحت الأرض: إما جثث محترقة بالأسفل، أو جثث مفقوءة الأعين تبرز أنسجة أدمغتها -المشتعلة- خارج رأسها بالأعلى.

صَفَّقَتْ (نينشوبور) بجذل كالأطفال، وهي تقول بانفعال:

- لقد كان هذا سهلاً. يا لك من عبقرى يا سيد (نينورتا). أنت حقا سيد صواعق جبار. وأنا التي كنت أتساءل عن جدوى جزّ آلات الحرب العملاقة هذه عبر الصحاري الشاسعة.

لم يبدو الرضا على وجه (إينانا)، بل بدت مقطبة بشدة وهي تكتفي بالنظر للأسوار، والتي تذكّرها بماضي تحنّ إليه كان أجمل فترة بعمرها.

أشار (نينورتا) لجيشه بالتقدّم. يسبقهم هو محلقا فوق الجثث. وهو يقول مطمئنا:

- إنها عقارب عملاقة. وهذا جيد، فلهومها ستكون وقودا جيدا للنار - وليمة دسمة- فتخمد سريعا. ويمكننا السير فوق جثث العقارب المتفحمة بأمان.

حاول الجنود تحسس أماكن سير أقدامهم في البداية فوق الجثث السوداء التي امتزج سواد لون أجسادها الطبيعي بسواد القارّ بسواد تفحّم أجسادها. سارت الأقدام بشيء من الثقة الآن فوق الجثث السوداء، كانت أقدامهم تغوص قليلا في أنسجة العقارب الصريعة، ظلّت بعض الأذرع تتراقص -رقصة محتضرة شديدة البطء- بين تكتلات الفحم، ولكنها كانت ثابتة بما يكفي لكي لا تزل قدم أحد. وبينما سار جناح الجيش -الميمنة والميسرة- فوق أرض الصحراء المحيطة بالحفرة بسرعة ويشر، تدفّق جنود قلب الجيش ليكوّنوا جسرا بشريا متحرّكا -بحذر- فوق الجثث المحترقة، وجذوات تخبو تفرّ بين ذراع مهشّم أو رأس مشقوقة.

وصارت بوابة (نيبور) تُحدّق نحوهم الآن بتحدّ.

انقبض قلب (إينانا) مرة أخرى بدون أن تدري لهذا سببًا. انفصلت (نينشوبور) عن الحرب الجارية وهي تتواثب بنظراتها بين الأسوار الضخمة التي تعج جدرانها بالنقوش زاهية الألوان، والأبراج السامقة. وغمغمت بانبهار لم يتناسب مع الموقف العصيب:

- هذه هي أسوار (نيبور) إذًا!

أضافت (إينانا) بقلق:

- الخالية!

لوت وصيفتها عنقها لتسألها:

- ما الذي تعنيه يا مليكتي؟

تدخّل (نينورتا) ليجيب بحذر، وهو يرمق الأسوار والأبراج التي بدت مهجورة، لا أسوار مدينة تتأهب للحرب:

- لا يوجد جندي واحد على الأسوار. لا يُشعِرني هذا بالراحة.

كان هذا عندنا انهمر المطر!

زخات من أمطار سوداء ثخينة القوام، كانت تنبعث من خلف الأسوار لتتجاوزها، ثم تسقط مباشرةً على جيش (نينورتا). نالت الأمطار السامة من عدد من الجنود المذهولين، فكانت تذيب الدروع وتخترق الأجساد وتمسّها فتحرقها. تصاعدت الصيحات من الحلق قبل حتى أن يسارع (نينورتا) بإطلاق شبكة من الصواعق في شكل قوس، كانت وظيفته الأولى هو حماية جسده وجسد (إينانا) و(نينشوبور) من أمطار العقارب السامة، قبل أن يقوم بتوسيع نطاق

الشبكة الكهربائية لتحيط بالجيش كله من الأمام. ولكن بعد أن نالت من عدد لا بأس به من الجنود، الذين تساقطت أجسادهم صرعى من شدة الألم، بأطراف ووجوه ذائبة وكأن سائلًا كاويًا تغلغل بأنسجتهم ومزقها حرقًا.

ثم برزت فوق البوابة الرئيسية ل(نيبور)، مكفنة بردائها الأبيض الذي يغطي كامل جسدها فلا يُظهر إلا أصابع يديها. كانت تقف -أو تُحلق- فوق ظهر عقرب هائل الضخامة، وكأنه قصر هائل أسود اللون. قصر حي متحرك تندفع منه أطراف عملاقة لا تكف عن التحرك، وكان ذيله يرتقي من خلف جسدها ليكاد يلامس السحب، بينما تراقصت الكماشتان الأماميتان فوق الأسوار وهما تنغلقان ثم تنفتحان مصدرتين صوت ارتطام وكأن جبلين من الحجارة يتصادمان. شهقت (نينشوبور) برعب. ضمت (إينانا) قبضتها بتحفز وهي تهمس دون وعي:

- أين كانت تخفي وحشًا يمثل هذه الضخامة؟!

ركّز (نينورتا) كل حواسه على الكماشتين الهائلتين، وعلى الذيل المتأهب لنفث سمومه. ولكنه لم ينبس ببنت شفة.

تراجع الجنود بشيء من الخوف في البداية، ثم بدأ الذعر يلوح بالعيون لما ارتقى فوق العقرب العملاق سرب من العقارب الضخمة، والتي كانت تتركز على قطع من غمام أبيض كالثلج، تناقض بشدة مع لون جسدها حالك السواد. ومع ظهورها حول سيدتها توقف سيل الأمطار السوداء، إذ كانت هي مصدرها من خلف الأسوار.

غمغمت (إينانا) وهي تتراجع غريزيا للخلف خطوة:

- إنها تطوِّع الغمام. إنها سيدة صواعق حقًا لا كذب.

أنزل (نينورتا) ذراعيه ليختفي قوس الصواعق الحامي وهو يقول
بعزم:

- وأنتِ أيضًا يا شقيقتي، لا تنسِ هذا!

ثم استجمع طاقة السماء بجسده فتألق، قبل أن يوجِّهها لذراعيه،
ويُظْلِقُها من أصابعه مُظْلِقًا زمجرة خافتة. هوى لسان من البرق نحو
جسد العقرب العملاق وسيدته، ومزيج من سطوع وهدير عنيفين
يصاحبانه، يؤذي البصر والسمع، ولكن قابلته (إيشارا) -ملكة
العقارب- بلسان برق مماثل، أطلقتته بفرد ذراعيها للأمام، فتلاطم
البرق والبرق، لينجم عن تلاقيهما انفجار مرَّوع يعمي الأبصار،
فوق البوابة الرئيسية فدَمَّرَها في لحظة واحدة، لتتحول لقطع من
الحجارة منفصلة ظلت تنهاوى متساقطة بلا اتساق، وغشاوة من
التراب تخفي المشهد لقليل من الوقت. وخلال لحظات أدرك طرفا
الصراع أنه لن يكون صراعا عاديا أو حتى عاتيا، سيكون صراع لن
ينتهي إلا بتدمير المدينة نفسها عن آخرها كأثر جانبي فقط لا أكثر.

قبل أن ينقشع التراب، كانت العقارب ممتطية الغمام تنقسم
لنصفين، اتجه قسم يمينًا والآخر يسارًا، ليواجه كل قسم منهما جانبا
من جيش (نينورتا). وسمع الجميع صوت ملكة العقارب (إيشارا)
القاسي يصيح من خلف أكفانها البيضاء:

- إنها نهاية جيل قديم من سلالة أسياذ الصواعق اليوم.

وانقض العقرب العملاق بسرعة مخيفة، تتطاير أرجله لتَهْز الأرض

هَذَا وهي تدفع بالجسد للأمام نحو (نينورتا) و(إينانا) و(نينشوبور)، وسيدته تضحك بجنون عابث وهي تخلق سيلاً مهلكاً من الصواعق من بين يديها باتجاههم. شَتَّتْ اندفاعاً عقربها ركام أحجار البوابة المتداعية يميناً ويساراً، وكان من ضخامته أن رأسه كانت تفوق ارتفاع الأسوار العالية المحيطة به. صاح (نينورتا) بشقيقته ووصيفتها:

- اتجها يساراً. قوما بحماية الميسرة.

واندفع هو نحو اليمين بسرعة البرق، ويسراه تُظَلِّق الصواعق بلا توقُّف نحو صواعق (إيشارا) لتشتتها للسماء. في نفس اللحظة كانت العقارب الطائرة يميناً ويساراً ترتقي أكثر للأعلى، لتتهدأ لإطلاق موجة جديدة من موجات سَمِّها الأسود من أطراف أذناها الخلفية المنتصبّة. في نفس اللحظة التي كان (نينورتا) يصيح بقوة:

- المجانيق!

سارع الجنود الضخام بإعادة تلقيم المجانيق الخمسة بأكياس القارّ المتفجّر. توقفت (إيشارا) عن إطلاق صواعقها مع تفرُّق خصومها لجانبى جيشهم. قام (نينورتا) بخلق ستار رأسي من الصواعق عمل كمصدّ لسيول السموم المتطايرة نحو ميمنة جيشه، في حين تراجع جنود الميسرة مع صيحة (إينانا):

- تراجعوا واحتموا بدروعكم.

سارع الجنود بالانخفاض والتقوقع ووضع دروعهم أمام أجسادهم، كانت حركة تصلح للدفع عن سيل واحد فقط من أمطار السموم،

إذ كانت المادة السوداء تذيب الدرع، وتبعث منه الأبخرة، وسارع الجميع بإلقاء دروعهم مع ارتفاع درجة حرارتها لحد لا يمكن معه لمسه. حد الاحتراق. وبينما تتجهز العقارب للموجة الثانية، والتي ستكون كافية لإفناء أغلب جنود الميسرة بعد حرمانهم من دروعهم، أطلقت (إينانا) قطع أسودها نحو العقارب، وهي تهتف بهم مكشرة:

- لا تذروا منهم وحشًا واحدًا. من أجل (إينانا)!

أطلقت الأسود زئيرًا واحدًا مؤحدًا، وهي تفرد أجنحتها، وتنقض -كطيور مفترسة من ذهب- على الوحوش التي تعتلي الغمام. وخلفهم (إينانا) و(نينشوبور) تتابعان بقلق المذبحة التي تدور فوق مستوى الأسوار، وتسترق (إينانا) النظر عدة مرات نحو (نينورتا) وهو يصدّ بستاره سموم العقارب الموجهة نحو الميمنة، ثم يردّ بالسنة من البرق كانت تمزق العقارب وتشتت غيومهم. ثم أجفلت مع هسيس الأجولة التي تحمل حمولتها المتفجرة، القادمة من الخلف، والتي حلقت بقلب جيشهم الخالي الآن، لتندفع مباشرة نحو العقرب العملاق وسيدته، مسببة موجة من التضاضط والتخلخل حول مسار اندفاعها الصاروخي للأمام.

كان ردّ فعل (إيشارا) شديد السرعة، أمرت عقربها فبادر بإطلاق شحنة من سمومه من طرف ذئبه المرتفع فوق رأسه، ثم طاردت هذه السموم بصاعقة محدودة -محافظة على المسافة بينهما- مبتسمة بشراسة، فتقابلت الشحنتان المتفجرتان، لتشعلهما صاعقة (إيشارا) التي زادت سرعتها فجأة لتصطدم بالشحنتين، شحنة المجانيق وشحنة السموم. كان (نينورتا) يلتفت ليهنّ بإطلاق صاعقته التي

ستفجر الأجولة بالقرب من جسد العملاق وسيدته، ليفاجأ بالانفجار يحدث مبكرًا، بالبقعة التي بوسط ميمنته وميسرته، بينه وبين (إينانا)، ليخلق كرة نارية ضخمة أضاءت المكان كله وانعكس لهيبها على الوجوه، لتتسع ابتسامة (إيشارا) وهي تهمس لنفسها:

- ملكة الصحاري. هذه هي أنا!

ثم مزقت الأرض الصحراوية أسفل كرة النار بحركة من أصابعها، فلم تجد النيران سبيلا سوى أن تنظم بالحفرة، لتعيد (إيشارا) تحريك أصابعها فتهيل التراب على الحفرة فتتطفئ النيران ببطء. ثم أكملت مسيرتها على متن عقربها نحو المجانيق، وصلت في لحظات قبل أن يحالف الوقت الجنود الضخام لإعادة تسليح المجانيق بالقار، ضربت الكماشتان المجانيق ببعضها البعض وكأنها دمي من ورق، وتفجرت الأجولة لتسارع (إيشارا) بإشعالها بصاعقة سريعة، فتشب النيران بين المجانيق والأجساد بدون تمييز، وتتصاعد أبخرة احتراق العمالقة الخشبية لتختلط مع أبخرة شواء لحم الجنود.

على الجانب الأيسر - جانب (إينانا) و(نينشوبور) - أعملت الأسود أنيابها ومخالبها بأجساد العقارب، نجحت بعض العقارب في إطلاق سمومها وإحراق أجساد بعض الأسود، ولكن كانت الأسود سريعة ورشيقة وفتاكة بما يكفي للقضاء على أغلب العقارب، وتمزيقها لأجزاء، وقذف هذه الأشلاء من حلق لتفترش الرمال الصفراء بالأسفل. وبينما كانت الأسود تُجهز على آخر زوج من العقارب المهاجمة للميسرة، كان (نينورتا) - بالميمنة - يخلق صاعقة رهيبة من داخل الغمام نفسه الذي ترتقي فوقه العقارب، ثم انطلق سيل

من البرق بين الغمام ليسري بأجساد العقارب، عَبَرَ الغمام من عقرب
لآخر متجاوز، ليفجرها تفجيرًا ساطعًا في آن واحد، لتتناثر الأجساد
المُفَرَّقة والسوائل السوداء التي كانت بداخلها، لينتهي بذلك الجيش
المهاجم للميمنة في لحظة.

صفقت (إشارا) بيديها ساخرة، وهي تقول بجذل:

- هذا جيد. تفوقتم على جيش من العقارب. لم أتوقع شيئًا خلاف
هذا. ولكن.. ماذا عن مواجهة (إشارا)؟ ملكة العقارب والصحاري
وصاحبة كينونة المشعوز وسيدة الصواعق؟ وماذا عن مواجهة
عقربها الجبار (جيرتابلايلو) - الرجل العقرب-الذي لا يبقى ولا يذر؟
لقد بدأت المعركة الآن يا أسياد الصواعق!

قالتها وهي تطير لتتخلى عن ظهر العقرب العملاق، بالتزامن مع
تشقق ظهره العلوي المواجه للسماء ثم انفجاره، لينبتق منه -أمام
الأعين المذهولة- نصف علوي لجسد ذكر عملاق مفتول العضلات،
أسمر البشرة كربه ملامح الوجه القاسية ذات العينين الصفراوتين
والشعر الأكثر القصير، مدجج بدروع سوداء، وكان من الضخامة
لدرجة أنه انحنى بجذعه قليلًا ليستند على الأسوار، قبل أن يطلق
زمجرة رهيبة بَدَّدَتْ السحب التي كانت تظلل سماء المعركة، السحب
التي كانت فوق مستوى رأسه بقليل، وهو يرفع يمناه التي تحمل
زُمَحًا يفوق طوله ارتفاع الأسوار، يلمع نصله تحت ضوء الشمس
فيجعل الجنود يضطرون لإغلاق أعينهم. ثم تفرَّق زوج العقرب
الجبار وسيدته، فانقضت (إشارا) على (نينورتا) بينما انطلق العقرب
الجبار يركض نحو السيدتين، (إينانا) و(نينشوبور).

إيشارا

كانت طفلة عندما بدأت تلاحظ أن العقارب تحبها!

وُلِدَت - قبل حرب الأسياك الدموية- لوالدين من عامة عالم (سومر) السماوي، جزء من مجتمع من المرتزقة كان يعيش بالصحاري وبقمم الجبال وسفح المرتفعات، يحفظ تفاصيل الصحاري عن ظهر قلب، ويبحث عن أية قافلة أو ركب؛ ليهاجمه ويستولي على ما لديه. كان مجتمعًا تكافليًا؛ فقد كان يتم توزيع ما يستولي عليه الفرد على المجتمع كله. ورغم كونها حياة قاسية لا تتميز بأدنى درجات الاستقرار، خطيرة تجعلهم يغيروا أماكنهم باستمرار، ولكنها كانت كافية لتجعلهم يحيون حياة كريمة. ألقوا رمال الصحاري وصارت لهم وطنًا مهما تغير المكان، فقد اعتادوا عليها أرضًا وعلى السماء سقًا. وكرهوا -خافوا- حياة المدن، فالكائن الحي عدو ما يجهله. تمكن تجفّعهم وتعاونهم من جعلهم يعيشون حياة أفضل بكثير من تفرقهم بصحاري ما بين المدن. تطوّر الأمر ليصير منهم أشخاص تميّزوا بالمهارة في السرقة والبراعة في القتال، كان هؤلاء المهرة بضعة أشخاص لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، ولكن بلغ ذكرهم مسامع الأسياك، فصاروا يستقطبونهم بالغزير من المال، ويجعلونهم يقومون بأعمال سرية خاصة يصعب على السماوي العادي أداؤها. أعمال سرقة ونهب واغتيالات وتحريق للدور والمباني. استخدم الأسياك بعضًا من المرتزقة -سرًا- من أجل تنفيذ مهام سوداء شخصية، لا يودّوا أن يعرف العالم أية صلة بينها وبينهم، وكانوا يتنصلون من المرتزق إن تم الإمساك به، ورغم

كونه حدثًا نادرًا إذ كان المرتزقة بارعين حقًا، ولكن تساوت براعتهم مع قدرتهم على حفظ أسرار من أرسلوهم من الأسياد. كان جميع الأسياد يعلمون أنهم يستخدمون المرتزقة خفيةً ضد بعضهم البعض، ظل سراً لا يخفى على أحد ولكن لا يجرؤ أيهم على التلّظ به.

عودتها حياتها كمرتزقة ألا تخاف عقارب الصحراء، بل كانت تعاملها ككائن أليف وَصَّغَتْهُ الطبيعة بنفس البيئة التي تعيش بها. ولكن لم يَخَفْ على الطفلة (إيشارا) أن العقارب لم تؤذيها يوماً، لم تنل منها بكماشاتها أو سموم ذيلها كما فعلت مع جميع المرتزقة، والذين يحمل جميعهم توقيعات للعقارب على جلودهم. لم تحاول العقارب -ولو لمرة واحدة- أن تؤذيها. وحدها كانت تلاحظ اصطاف العقارب حولها كلما سارت بمكان مغلق أو سفلي، وكأنها تعلن لها عن ولائها. أخبرت أهلها بما يحدث فسخروا منها، ولكن انتشرت الهمسات عن الطفلة التي تحبها العقارب، فجذب الحديث ساحراً من مدينة (بابل)، فغادر المدينة ليتجه صوب الصحراء بحثاً عنها بين المرتزقة متسلحاً بالأمل، فلما وجدها أيقن أن الفتاة على حق. طلب من أهلها ثمناً للتخلي عنها، أرادها كوعاء لسحره باستخدام وتطوير قدراتها، رفض أهلها، ولكنهم رضخوا بسرور مع مضاعفته لثمنها أضعافاً. كان يرى أن استثماره فيها مضمون الربح. كرهته أكثر من كرهها لأهلها، ورفضت أن تكون سلعة تباع، رفضت ترك حياتها ومجتمعها والحياة بالمدينة، كانت روحاً شاردة متمردة لا تقبل الحياة بين الأسوار، حتى وإن كانت أسوار (بابل).

أخذها عنوة، كان يجذبها جذباً ليضعها كغنيمة حرب ثمينة -مقيدة- على ظهر جواده، التف حولها حشد من المرتزقة يودعونها

بأعينهم، الأعين التي حمل بعضها نظرة حسد وكأنَّ خروجها للمدينة يُعَدُّ نصرًا إن كان على يد ساحر. انتاب الطفلة الجنون بغتةً، وصارت تتلوى في قيودها ولا تكف عن الصياح. ضحك الساحر بجذل؛ فالروح العائرة تعني قوة أكبر كمصدر للسحر. لكنه لم يدر أن صياحها لم يكن اعتراضاً أو ألقاً، بل كانت صيحات استنجادية بجيشها، بأولادها، بعبيدها. بالعقارب.

تراجع الجميع بفزع أمام أفواج العقارب مختلفة الأحجام والألوان، والتي أتت من كل فجٍّ عميق استجابةً آنيةً لرسالة ملكتهم العقلية التخاطيرية. استهدفت كل الأفواج جسد الساحر. حاول استخدام سحره ضدها ولكن غلبت الكثرة السحر، برزت العقارب من أسفل قدميه لتغرس سمومها بساقيه، وثبت العقارب لتتسلق جسده، لم ينجح في التخلص منها، صار كتلة من جسد يتلوى بفزع والزواحف الضارية تغطي جسده بشكل كامل. صاح بمزيج من الرعب والألم والذهول والأطراف المسننة للكماشات والأذنان تنغرس بكل أنحاء جسده، تم بتر أذنيه وأصابعه وأطرافه نفسها، أفرغت العقارب محجري عينيه، خلقت الفتحات بجمجمته لتتخرق خلايا مخه. وبدأت تخلق اتصالاً بين أحشائه وبين العالم بنخرها للقنوات بداخل بطنه، وهرعت لتمرح بداخله. حتى لسانه الجاحظ تم تمزيقه. انتهى به الأمر ساقطاً على وجهه المنتفخ -كسائر جسده- بفعل السم المستشري بدمه، وجسده المهترئ لا يزال يتقلص ببقايا روحه التي لم تغادر جسده بشكل كامل بعد. لقد تمزيق جسده حيًا.

ثم تسابقت العقارب لتفك وئاق ملكتها، الطفلة التي وقفت بين العامة - وخلفها جثة الساحر التي دنستها العقارب - تأمرهم بالسجود

لها، فعلوها خوفاً من عقاربها، ليتم تنصيبها ملكة للمرتزقة جميعاً لا لعقاربها فقط. وكانت أول أوامرها الملكية هي إعدام والديها، وتوزيع ثمنها الضخم -الذي قبضوه من الساحر الراحل- على جميع المرتزقة. لتبدأ حقبة ملكها اللافتة منذ الصغر.

سُبِت وصارت هي الأمرة الناهية لجميع المرتزقة، كانت هي الوحيدة التي يخوّل لها مقابلة الأسياد، وتلقّي الأوامر منهم -كانت تسميها أعمال- وإعطائه لِقَن تراه قادراً على أدائها، أو تتدخل هي بعقاربها إن رأت صعوبة المهمة. كانت ترى نفسها أحد الأسياد، رأت نفسها نِذاً لهم وإن كرهت حياتهم النظامية وأحبت حياة الصحراء وتغيير الوطن باستمرار. في حين كرهت السحرة أكثر وكانت تنكّل بهم كلما سنحت لها أدنى فرصة؛ إذ رأت فيهم جميعاً ذلك الساحر الماكر الذي أراد شراءها واستخدامها كتميمة سحر لا أكثر، وجاهرت أنها لا تعترف بجدوى وجود فصيل السحرة بالأصل. أحبها المرتزقة وعاشوا معها عهداً جديداً صارت خلاله العروات تتدفق بين أيديهم. صاروا جميعاً أغنياء، وتسبقوا لتقديم فروض الولاء والطاعة للفتاة التي كانت تدير مجتمعهم بحكمة وعقل راجح كعقل حكيم بالغ ناضج، وكذلك بقوة وقسوة لا تسمح لأحد بمخالفة ما تراه دستوراً لمجتمعهم.

لم يكن مجتمعهم هو الوحيد بعالم (سومر) السماوي المُكوّن من المرتزقة جِوَالِي الصحاري وناهبي القوافل، ولكنه كان أقوى المجتمعات وأكثرهم مهابةً وتنظيماً، وبدأ -تحت حكم (إيشارا) وعقاربها- يسحب البساط من تحت باقي المجتمعات. وفُضّل الأسياد التعامل معها مباشرةً وتجاهلوا باقي المرتزقة، فكانت النتيجة هي

هجرات أغلب أطياف باقي المرتزقة وإعلان رغبتهم في الانضمام لمجتمع مرتزقة (إيشارا)، وتدرجيا ذاب جميع المرتزقة من كل أطراف البلاد ليصبحوا كيانًا واحدًا تحت لواء حكمها. ولكن ظلّ هناك عدد بسيط من المرتزقة لم يتبعوها، ولم تكن هي ثلّقي لهم بالآ، فقد كانت ترى أنهم هم الخاسرون، بمحاولة سلب ونهب المدن بقدراتهم الفردية فقط، والتي كانت لا تصيب دائمًا، بينما لم تفشل (إيشارا) في مهمة قَط. وأحدهم كان (أمورو)، الراعي المحتال وسيد الرمال.

كان يملك قدرات تقارب قدرات الأسياد، ولكنه كان فردًا شت ليجد نفسه مرتزقًا بالقفار لا طفلًا يتعلم بمدارس المدن. استغل قدراته في التنقل بين الصحاري ونهب كل من يجده بطريقه، وكان له اسمًا ذائع الصيت لحدّ ما؛ فقد كان بعض الأسياد - قليل منهم - يعتمدون عليه في أداء بعض المهام القذرة، ولكنه لم يرقى حتى ليصير منافسًا ل(إيشارا) ونفوذها بالمملكة السماوية سواء بين الأسياد أو المرتزقة.

لم تكن ملكة العقارب غافلة عنه، وتابعت بإعجاب قدراته في الكرّ والفرّ والقتال، كان لديه قطيع مذهل من الغزلان المجنحة المفترسة يستخدمه كجيش له، بالإضافة لحفظه للطرق بين الرمال ومتاهاتها، وقدرته على تسيير الرمال واستخدامها كأسلحة هجوم ووسائل تحقّي في نفس الوقت. كانت تُصنّفه ملكًا لكل ما هو فوق الرمال، وترى أنه يكملها كونها ملكة ما تحت الرمال حيث يعيش جيشها. كانت قد بدأت تطوّر قدرات عقاربها ليقوموا ببناء المدن والقلاع والمجتمعات الكاملة تحت الصحاري، وكانت ترى ببصيرتها أنها بحاجة لهذا الراعي المحتال (أمورو) ولكنها لن تهرع إليه، ستدعه

يأتي إليها بنفسه مرغماً. كانت ثقتها في القدر لا حدود لها، فحقق لها
القدر ما أرادته وما استحقته، فالقدر لا يكافئ إلا واثقا طموحا.

كان طموح (أمورو) -الراعي المحتال- لا يقف عند حد، وكذلك
ثقته بنفسه. هجم وحده على قافلة تابعة لأحد الأسياد كانت تعج
بالأموال. لم يعلم -ولم يتخيل- أن تكون تحت حراسة ساحر أريب.
طارده الساحر، حاول (أمورو) مراوغته بين الرمال ولكنه لم يفلح.
كان ساحراً من أقوى السحرة بالبلاد. أطبق عليه الساحر وأسره،
وأراد العودة به مكبلاً كغنيمة ثمينة سيتنافس الأسياد في دفع
ثمنه عبداً، لولا تدخل (إيشارا)، ليفاجأ الساحر بهجوم من قطعان
من العقارب من كل حذب وصوب، وبينما يحارب للدفاع عن نفسه،
اجتذبتة (إيشارا) لعالمها تحت الأرض، لتتكاثر على جسده العقارب
المفترسة التي ترى بقلب الظلام من حيث لا يمكن لرؤيتها من قبيل
أعتى السحرة أو حتى الأسياد.

بدأ عهد جديد للمرتزقة، قامت خلاله (إيشارا) بتدريب (أمورو)
ليستطيع التحكم في قواه، وخلال فترة قصيرة صار الاثنان زوجاً
متكاملاً، وبدأت تعتمد عليه في كثير من المهام كساعِدِ أيمن لها،
وأولته ثقة بلا حدود، وكافأها هو بإظهار ولاء شديد القوة لها.

حدّثتها العقارب عن شرّ خطير يقترب، سيول من الدم ستغرق
البلاد من أدناها لأقصاها، تنبأت بحرب الأسياد قبل حدوثها بالغريزة.
فسارعت (إيشارا) بالاختباء -هي و(أمورو)- بمدن العقارب تحت
الأرض لحين انتهاء الحرب، إنها حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل،
وستكون فائدتها القصوى لهما في تقليل عدد الأسياد، بالإضافة لبدء

فترة من الفوضى كانت تعني - بالتأكيد- مزيد من المهام القذرة مدفوعة الأجر للمرتزقة. قام (أمورو) بتوفير أماكن تُخفي حصينة للعامة، وجعل رماله تحيط بهم فتخفيهم وكأنه لا وجود لهم؛ حتى لا ينالهم أي أذى جانبي من الحرب العالمية التي تلقي بشرها في كل مكان. وهكذا ناله من حب العامة نصيب لا بأس به.

وبمرور الوقت بعد انقضاء حرب الأسياد، نمت مطاعم (إيشارا)، وتضاعفت مع اغتيال أسياد الحديد لسيد الصواعق الأعظم (أنو)، وبدء حقبة جديدة من دمّ تنذر بحرب دموية ثانية على وشك الحدوث. تشاورت مع (أمورو) بشأن تغيير سياستهم كمرتزقة، واحتلال مدينة وقتل أهلها وإحلال عامة المرتزقة محلهم. كان (أمورو) متشككا، أبى تغيير نظام حياته الذي لا يكف عن التنقل، خاف الاستقرار ولكنها طمأنته. وسرعان ما تآزرت الأسباب لتشجيعها على قرارها، فقد وجدت في تمرد المارد (عسق) على سيده السابق (نينورتا) سببا جيدا لاستقطابه، وقررت الهجوم على مدينة (ماراد)، مدينة السيد (نينورتا) العسكرية.

فوجئت بأحد أسياد الحديد - (نينازو) - يباغتها بزيارة سرية ودية، يدعمها في قرارها، ويعلن أن أسياد الحديد سيدعموهم في حربهم ضد (ماراد)، ضد أي سيد من أسياد الصواعق. فكانت الشرارة التي جعلت زوج المرتزقة يتحمسون للاتجاه للمدينة بدلا من الصحراء، فقد صار للأمر صبغة شرعية. وهكذا كانت معركة (ماراد) والتي انتهت بهزيمة (نينورتا) وفراره من مدينته على يد تحالف (إيشارا) و(أمورو) والمارد (عسق)، ثم وصلت أطماعها لأقصاها عندما أكملت قوات التحالف زحفها نحو مدينة (نيبور)، مدينة السيد (إنليل) حيث

فَرَّ (نينورتا)، لينتهي الأمر ب(إنليل) مستسلماً وأسيرًا -لحقن دماء شعبه- لثنهي (إيشارا) آخر خطوات خطتها مع (أمورو)، وتنجح في الاستيلاء على قوة الصواعق من (إنليل) ووهبها ل(أمورو)، ولكن جرت الأمور بما لم يتوقعها أحد، ونجح الأسير الماكر في أخذ روح (أمورو) معه، لتنتقل قوة الصواعق ل(إيشارا)، وتبدأ -بلوثة جنون مطبقة- في دفع عقاربها لذبح كل أهل (نيبور)، وغَضَّتْ (نيبور) و(ماراد) بالعقارب فوق وتحت الأرض، وأعلنت (إيشارا) مملكتها الخاصة -ممكلة العقارب- والتي لا تدين بالولاء لأي من الأسياد، لا تدين لأحد سوى لنفسها.

كان (أمورو) -في آخر أيامه- مع تنامي قوته ونضج شخصيته قد بدأ يفكر بطريقة سياسية، مال للاستقرار، ولكن كانت تحكمه في النهاية تقلباته الشخصية، مثل رغبته في تحدي أسياد الحديد والتمثيل بجسد (إنليل) ورفض تسليمه لأسياد الحديد. فلما فقدته أطلقت (إيشارا) العنان لأطماعها وشغفها بالسيطرة، وأفرغت نتاج سنين من النظرة الدونية لها -ولمجمعها- من الجميع. فكان انتقامًا استلذت مذاقه، والدم يسيل أنهارًا -دم أهل (نيبور) الأبرياء- على يد عقاربها وبحذ سيف المارد (عسق).

ولكنهم عادوا من جديد، آخر سلالة أسياد الصواعق، يريدون جولة ثانية انتقامية، لم تريد شيئًا أكثر من المزيد والمزيد من الدماء، وإثبات سيطرتها ونمو صيتها كملكة لم يستطع أسياد الصواعق أنفسهم هزيمتها واستعادة مدينتهم من بين براثنها. وَثُوتْ هذه المرة أن تفعل ما نهت عنه الراحل (أمورو) من قبل، التمثيل بجسد من سيقع بيده أسيرًا مهزومًا من أسياد الصواعق، ليكون عِبرة لسواه من

الأسياذ قبل العامة؁ وليمعل لها الؤمبع بالعالم السماوي آسابًا.

ولهذا استعانت بحارسها الشؤصى؁ الرجل العقرب العملاق؁ والذي لا يعلم بوجوده أؤد قبل الآن. والذي كان تؤأم روحها منذ الطفولة؁ يكبر معها كلما نمت؁ فلما لاحظت أن آؤمه صار استثنائيا وقابلا للزيادة أنشأت له مقرا خفيا -على يد كامشات جيشها البئاء من العقارب- بقلب الأرض. كان حارسها الأثير الجبار والذي يتنقل معها ليستقر حيثما استقرت؁ آتى كانت آخر نقاط استقراره بأكثر بقاع مملكتها السفلية عمقا أسفل (نيبور) بعد استيلائها عليها؁ بقلب عُش هائل الحجم يكفي لاستيعاب جسده. كان يقتات على العقارب نفسها غذاء؁ كامئا -في هيئة رجل- بجوف عقربه ينتظر لحظة الاستدعاء المناسبة من سيده؁ عذّته (إيشارا) أقوى أسلحتها إذ كان مزيجا فريدا من قوة الأسياذ وقوة العقارب؁ لذا جعلت وجوده سِرا عن الجميع آتى (أمورو). يكتفي بالرقود بعُشه السفلي؁ منتظرا اللحظة التي سيهُب فيها ليَهَب حياته من أجل ملكته عن طيب خاطر. كان سِرها الأعظم؁ وقد آان وقت إفشائه.

معركة عش العقرب الجزء الثاني

تراجعت (نينشوبور) بفزع حتى كادت تسقط من على متن الأسد المجنح الذي تعتليه، لمرآها للكائن الضخم الذي ناهز ارتفاعه ارتفاع زقورة (بابل) المهيبة، بأذرع سميكة ذات مفاصل عدة، برزت من جانب الجسد الأسطواني الأسود وكانت تنغرس بالرمال لتدفعه للأمام، وكماشتين ارتفعتا لتناطح كل منهما عنان السحب، والجذع البشري الذي ارتقى فوقه الوجه الأسمر القاسي، والذراع القوية التي رفعت الرمح للأعلى بتحفز، بينما انتصب بالمؤخرة ذئب مال للأمام ليطل بمقدمته فوق رأس الوحش.

لم تفهم كيف يمكن أن يبرز هذا الجسد العلوي لرجل -لعملاق- من قلب جسد العقرب، وكيف يمكن أن يوجد مثل هذا الوحش الهجين بدون أن يُسمَغ عنه خبرًا ولو كأسطورة. بينما استطاعت (إينانا) أن تسيطر على أعصابها أسرع -رغم ارتياعها المبدئي- فضمت قبضتيها وهي تستدعي وَخْشِي هالتيها المقدستين، (جلجامش) الوحش العضلي الأسطوري، و(سرجون) القائد العسكري المحنك. لا وقت للحكمة والتريث، لتستخدم كل قواها.

انطلق جنود الميسرة يعدون بمنتهى الفزع للخلف بمجرد مرآه، كان سيسحقهم جميعًا بمنتهى اليأس أسفل أقدامه -أذرعه السفلية- باكتفائه بالاندفاع للأمام بدون تمييز. سمعوا الصيحات من خلفهم فتوتروا وساد الارتباك، تفجرت الأرض من أسفل الأسوار المقابلة، ليخرج صفان من جنود المرتزقة عبر نفق كان يبدأ داخل مدينة (نيبور) لينتهي أسفل الأسوار مباشرة، وانقض المرتزقة على الجنود

مطلقين صيحات هجومية مخيفة، يقودهم كائن مشوّه يفوقهم حجما بشكل مميز، إنه المارد (عسق) شخصيًا، قائد جيوش (نينورتا) السابق.

تَجَسَّد (جلجامش) بجسده مفتول العضلات واقفا عن يمين سيدته (إينانا)، في حين ترقرت صورة عن يسارها أسفرت خلال لحظة عن القائد (سرجون) بكامل حلته العسكرية ودروعه، كان حجم (سرجون) أضخم قليلا - الضَّغف ربما - من حجم (إينانا)، بينما كان (جلجامش) العملاق يرتقي بعضلات صدره فوق مستوى رأس (سرجون) بقليل، مما جعلهم جميعًا ثلاثة من الأقسام أمام الرجل العقرب.

زمجر (جلجامش) بغضب مع رؤياه للجسد خرافي الضخامة، وقال بتعجب:

- ما هذا يا سيدتي؟!

- خصم جديد، ولكنه ضخم.

- أنا ضخم. هذا شيء استثنائي!

صاح (سرجون) في (نينشوبور) بلهجة أمرة، وهو يراقب اقتراب الرجل العقرب بخطوات أذرعه التي ترج الأرض رجًا:

- سيدتي مروضة الوحش. استدعيه الآن بسرعة. لا يوجد وقت.

كانت (نينشوبور) كالمنومة، تنظر نحو وجه الوحش المهاجم برهبة بدون أن تطرف، لا تسمع ولا تتنفس حتى، هزتها (إينانا) بقوة وهي تصيح بها:

- أفيقي. استدعي وحش غابات (الوركاء). نحتاج (خومبابا)!

نظرت نحوها بفزع وكأنها لا تعرفها، ثم استوعبت ما يحدث وما الذي يجب عليها فعله. قام (سرجون) بإعطاء الأوامر لعقول زوج الأسود الحامين لـ (إينانا) و (نينشوبور)، فسارع كلاهما بخفق أجنحته ليتجه بسرعة جهة اليسار، تبعهما (سرجون) بنفسه بينما وثب (جلجامش) يميناً بسرعة، لتهوي ضربة الرمح في البقعة التي كان يشغلها الثلاثة منذ قليل، وتغوص بالرمال لعمق شديد ينم عن قوة الضربة ومدى شدة الساعد الذي يحملها. سارع (سرجون) -الذي بدا هادئاً لحذ البرود- بنقل الرسائل -الأوامر- العقلية للجميع بلا استثناء.

انحنت (نينشوبور) على ركبتها وأغمضت عينيها وهي تفكر في الوحش (خومبابا)، تستدعيه، بينما انقضَّ (جلجامش) فور اعتداله على طرف الرمح المغروس بالرمال، أمسكه بكلتا يديه لتقبض عضلات جسده على نحو مخيف، ثم قام بجذب الرمح للخلف محاولاً أن يخلعه عن ساعد الرجل العقرب، مستغلاً ثبات طرفه في أعماق الأرض.

صاح (جلجامش) بقوة وهو يجذب الرمح بقوة جبارة، أفلت الرمح بالفعل من بين يدي الرجل العقرب، كان هذا للحظة قبل أن يسارع المسخ العملاق بتحريك يده الأخرى لتقبض أصابعه على جذع الرمح، ويجذبه بقوة ضد (جلجامش) مُظِلِّقاً خواراً، فانخلع طرف الرمح من الأرض واندفع جسد (جلجامش) للأمام ليرتطم وجهه بالأرض مسحولاً للأمام عدة أمتار، والرمح يفلت من بين يديه

ويصبح مرة أخرى بيد الرجل العقرب.

التحم الجيشان، وكان المارد (عسق) يجندل الجنود بفأسه الضخم فتتناثر جثثهم حول جسده الضخم وكأنهم أطفال. بينما أطبق المرتزقة -الذي فاق عددهم عدد جنود الميسرة أضعافًا- على الجنود من جهتين، وبدأت المذبحة.

استدار (نينورتا) نحو (إيشارا) المنقضة عليه، لم يَفُثْه ما يحدث خلفها بميسرة جيشه، وأيقن إن (إينانا) و(نينشوبور) قد استنزفا بالفعل كل أسلحتهما بأول لحظات القتال، أمام هذا الرجل العقرب الخرافي، والذي لا يعلم كيف -وأين- تَمَكَّنَتْ ملكة العقارب من احتجازه. استقرت بجسدها أمامه، بجسدها النحيف الذي يكفُّنه الرداء الأبيض بالكامل، وكانت تقول بثقة وبشيء من الجدل:

- تتوق لجولة ثانية لتعوّض خسارتك، ولا تدري أنها ستضيف لحصيلتك المزيد من الخسارات لا أكثر! لست حكيماً أيها الفتى، تمامًا كما كان والدك قبل أن نقتلع روحه من جسده!

جَزْ (نينورتا) على أسنانه غضبًا ولكنه نجح في الردّ بسخرية مماثلة:

- أَبْث روحه إلا وأن تنتزع معها روح خليك الراعي المحتال في الرحلة للعالم السفلي!

انفصل عن (إيشارا) كفنها الأبيض بحركة مباغطة ليبرز جسدها المتواري لسنين، رشيقة تميل للنحافة، ساقان طويلتان رفيعتان مكسوتان بالكامل بحراشف سوداء براقّة، ثم أكملت الحراشف

استبدالها للجلد لتغطي جذعها العلوي وئديها المكتنزين. وتوقفت الحراشف عند عنقها ليبرز وجهها مكسوا بجلد شاحب شديد البياض كجلد ذراعيها الرفيعتين الطويلتين، وكانت ملامح وجهها تجعلها تبدو كعجوز بكثرة التجاعيد، وإن أطلت عيناها الضيقتان -المسحوبتان للخارج- وكأنهما مصباحان مضاءان بلون الصواعق الفضي. ارتدت تاجا من الصواعق فوق رأسها، وكانت ترفع ذراعيها بالتزامن مع ارتفاع ثلاثة أزواج من الكماشات من كتفيها، بلغ طول الكماشة الواحدة طول جسدها، في حين لم يَكْفِ ذيل سميك ضخم -بضعف طول قامتها- عن التَّراقُص خلفها، نبت من أسفل ظهرها، وارتقى طرفه الثابت فوق رأسها مُوجَّهاً نحو خصمها، وحول نهايته حويصلتان منتفختان تمتلئان بالسّم المهلك.

بدا على وجه (نينورتا) التقزز وهي يقول:

- أنتِ حشرة زاحفة. مسخ!

صاحت بهدير مخيف:

- مسخ سيسحقك اليوم!

ثم هوت بكماشاتها الثلاث بعلات ضربات خاطفة شديدة السرعة، طار (نينورتا) يمينا ويسارا ليتجاوز الضربات المفاجئة، هبط طرف ذيلها من السماء قاصداً تحطيم رأسه، مال جانباً ليتفادى -بالكاد- ضربة الذيل القوية، لَمَّا أَفْلَتَهُ الذيل عاد ليلطم جسده بعنف بحركة جانبية مفاجئة، فوجد (نينورتا) نفسه يسقط أرضاً بقوة مثيرا زوابع من الرمال.

رفعت الذيل مرة أخرى ثم بخت سمومها من طرفه كالشلال وهي تهتف:

- اليوم ينتهي ذكرك. وأصبح أنا آخر أسياذ الصواعق!

أطلق (نينورتا) لسانا سميكا من البرق قام بتشتيت السم المتطاير، ولكن نالت من جسده بعض القطرات، وشعر بجزء من ذراعه اليمنى وجانبه وكأنهما يحترقان. وشم رائحة أنسجة تحترق فعبس بسخط ليغالب ألمه، وسارع بالاعتدال محلقا للأعلى، ناوياً أن يبادر بالهجوم. فوجئ ب(إيشارا) تقترب منه بسرعة، تبتسم بمنتهى القسوة، وخيوط من دخان تنبعث من طرف ذيلها، تابع الدخان بريبة وهو يتراجع بدهشة، إذ كان يظن الذيل منبعاً للسموم فقط لا غير، ولكن هاجمه الدخان في لحظة وأحاط بوجهه، ليستنشقه رغماً عنه، ويبدأ جسده يتجمد كالمشلول، ورفضت أطرافه الأربعة الحركة، فأن بغضب محاولاً التحرر من الشلل المتنامي بجسده، فسمع صوت (إيشارا) تقول وهي تقترب أكثر ببطء:

- لا تقاوم فيرمونات العقرب. لقد تمكنت منك وسيطرت على جسدك. والآن لن يستغرق قتلك إلا ضربة واحدة بكماشاتي الفتاكة. وقرنت قولها بانقضاضة ثلاثية من الكماشات نحو صدره ورأسه، راقبها بفزع وجسده يأبى أن يطيعه في تحريك عضلة واحدة أو إطلاق صاعقة دفاعية واحدة على الأقل. فأغمض عينيه واسودت الصورة أمامه.

في نفس اللحظة، وبجانب ميسرة جيش (الوركاء)، توقف (سرجون) ينقل بصره بسرعة بين الجيش الذي يفنيه المرتزقة،

وبين الرجل العقرب العملاق الذي كان يرفع رمحه عاليًا ويهوي به -كسيف- على (جلجامش). اتخذ قراره في لحظة، لقد انتهى أمر الجنود فلا داعي لمؤازرتهم، في حين يمثل هذا المسخ العملاق خطرًا رهيبًا، فسارع بالتحليق نحو (جلجامش) ليسانده. وبينما كان طرف الرمح اللامع يهوي، و(جلجامش) يثب للخلف رافعا يديه في محاولة لتلقي الضربة بين ذراعيه بفدائية مجنونة، بلغ (سرجون) موضع (جلجامش) والرمح يكاد يمس جسده، سارع برفع درعه الضخم وهو يحتضن جسد (جلجامش) ويطير به بأقصى سرعة للخلف. زمجر (جلجامش) باعتراض ساخطًا مغمغما:

- باستطاعتي التصدي لضربته. الحجم ليس مقياسًا للقوة. أنا (جلجامش)!

ارتطم طرف الرمح بالدرع، شقّه كسكين يقص ورقة، ليعاود الانغراس بالرمال عميقًا. و(سرجون) يهتف به ببرود:

- طرف الرمح مصنوع من معدن الحديد الأرضي. سيشق جسدك بمجرد لمسه كما فعل بدرعي.

سمعته (إينانا)، واسترجعت -بفزع- ذكرى رؤيتها لأسياد الحديد على متن التنين بعد اغتيالهم ل(أنو) مباشرة، السيدان المدججان بالدروع واللباس الحربي المصنوع من الحديد الأرضي بالكامل. وأيقنت -وهي ترى الرجل العقرب يستعيد رمحه المغروس بالأرض، بالتزامن مع أمطار السموم التي انبعثت من ذيله باتجاه (جلجامش) و(سرجون)- أن المعركة لم تدور كما توقع أيّ منهم على الإطلاق.

أغمض (نينورتا) عينيه، لم يرى شيئًا غير السواد للحظة، انفصلت

عن جسده هالة شفافة اتخذت هيئة جسد أنثوي ممشوق، المحاربة ومفسرة الأحلام (نانشي)، هالتها الإلهية التي خُلِقَتْ مع اغتيال (مردوخ) لجسدها البشري السابق ب(بابل). سارعت باستلال وقذف خناجر نطاقها بسرعة وثَّائِع، فانطلقت الخناجر -الخنجر تلو الآخر- كالطر نحو (إشارا).

تراجعت (إشارا) بسرعة وإمارات دهشة تعتلي وجهها الذابل متغضن الملامح. نظرت نحو (نانشي) المتجسدة في هيئتها السابقة البشرية ولكن بهيئة شفافة تترقرق كأمواج الماء، غمغمت بمقت:

- ما هذا؟

ابتسم (نينورتا) وهو يجيب بقسوة:

- ملاكي الحارس!

كانت سرعة التخاطر رهيبة بين سيد الصواعق والهالة الإلهية للمحاربة (نانشي)، وجدت (إشارا) السحب تتكوّن فوق رأسها في لحظة، ثم ترتج وصواعق فضية تجتاحها، ومع هدير الرعد الذي تلا ضوء الصواعق كانت (نانشي) تحلق لتهاجم (إشارا) من جهة اليمين، بالتزامن مع هطول سيول الصواعق المهلكة من قلب السحب باتجاه رأس (إشارا).

زمجرت (إشارا) وهي ترفع طرف ذيلها السميك، فينطلق منه ستار أسود من السّم ثَقُوس فوق رأسها كمظلة، هلال أسود متجسد امتص الصواعق وقام بتركيزها كلها في نقطة واحدة، وبينما كانت (نانشي) تستل مزيدا من خناجرها، كانت (إشارا) تعيد توجيه

طاقة الصواعق التي امتصتها عبر الهلال الحامي، لتتجه كلها نحو (إيشارا). صواعق يمتزج فيها سواد السم بفضية البرق، وفحيح مخيف يلزمها ويشق الفراغ، مثيرا زوبعة من الرمال حوله.

همس (سرجون):

- درع (أكد).

تجسد أمامه على الفور درع دائري متألق باللون الأبيض، درع ثلجي ضخم بحجم يقارب لحجم جذع الرجل العقرب، ارتطمت السموم بالدرع ولوئت بياضه، ليصدر صوت دق مستمر مع اهتزاز الدرع في مكانه وهو يتلقى كل الضربات، في حين التفت (سرجون) نحو (نينشوبور) صائحا بقوة:

- أين وحش الغابات؟!

كانت (نينشوبور) غائبة في ترنيمتها، مغلقة العينين لا تكف عن الهمس، تستدعيه بعقلها. اقتربت منها (إينانا) لتحتضنها بشفقة، وألقت نظرة خاطفة نحو (نينورتا)، حيث حجب الرؤية مزيج من زوابع الرمال وأضواء الصواعق، وقالت بقلق:

- سيدعنا أخي. اصمدوا قليلاً فحسب.

توقف الرجل العقرب عن استخدام رمحه وقذف سمومه، غير استراتيجيته، رفع كماشاته كلها نحو السماء ثم ضرب بها الأرض أمامه، عدة ضربات شققت الأرض وصنعت فيها حفرا متصلة، ثم اندفع للأمام نحو هذه الحفر، وقبل أن يسقط جسده الضخم بها ارتقى بواسطة زوج من الأجنحة الغشائية السوداء نبتت من ظهره،

فطار الجسد الهجين بفعل الأجنحة الضخمة التي بددت سحب السماء بأثر خفقانها، واستكملت الكماشات عملها لتمزق الأرض في شكل أخدود طولي عميق، يبدأ من حيث مكانه وينتهي بالمكان الذي يتواجد به (إينانا) ووصيفتها وبطلاها.

قال (جلجامش) متراجعا بحذر:

- نستطيع جميعا التحليق، لماذا يريد تمزيق الأرض أسفل أقدامنا؟
أجابه (سرجون) بقلق، وهو يتراجع بالدرع للخلف بعد توقف أمطار السموم:

- ليس الهدف هو إسقاطنا. يريد فتح شيء أشبه ببوابة تحت أقدامنا.

اخترقت الصواعق السوداء جسد (نانشي) لتعبر من خلاله، وكأنها مجرد صورة غير مادية، ابتسمت (نانشي) بسخرية وهي تطلق نحوها خناجرها بسرعة صائحة بجذل:

- أهلا بك بخدع عالم الأثير!

استهدفت الخناجر كلها وجه و صدر (إيشارا)، باعدت ملكة العقارب ما بين يديها لتتكوّن كرة رملية متحركة تدور حول محورها بسرعة جنونية تجعلها لا تُرى إلا كوميض أصفر اللون، كأنها كرة ذهبية متألقة لا تكف عن الدوران. كان حجمها يتضاعف باستمرار دورانها، وثبت منها قطع من رمل واجهت الخناجر وصدتها جميعا، لكل خنجر قطعة من رمل، فلما انقضى الهجوم استكملت الكرة دورانها وتضخمها حتى صارت في حجم (إيشارا) نفسها.

(سوط الصواعق!)

صاح بها (نينورتا) وهو يضم يده ليتكون بين أصابعه سوط فضي يتوهج بالشرارات، استطال ليصل لما فوق رأسه، رفعه للأعلى بسرعة قبل أن يهوي به على جسد (إيشارا)، مستهدفا ساقها، كَبَل طرف السوط ساقها، ثم التف حولهما بقوة قبل أن يجذب (نينورتا) السوط بحركة قوية سريعة من ساعده، لتفقد ملكة العقارب توازنها وتسقط على ظهرها، ثم ينجذب الجسد من الساقين المكبلتين نحو (نينورتا). ووثبت (نانشي) ببسالة نحو الجسد المندفع -قسرا- باتجاه (نينورتا)، وببيدها خنجر لامع، انقضت به نحو الخط الفاصل بعنق (إيشارا) والذي يفصل بين الجسد الأسود الحرشفي والبشرة البيضاء الشاحبة.

هجمت الكرة الرملية على (نانشي) مدافعة عن سيدتها (إيشارا)، تغيرت كثافتها لتصبح رمالها أقل وتصبح شفافة، ثم ضربت (نانشي) بكل عنف فلطمتها وأجبرتها على السقوط على الرمال تترنج، ثم استعادت الرمال كثافتها الثقيلة المادية لتكرر انقضاة أخرى على (نينورتا)، فتهجم على جسده وتصيبه بشكل مباشر من الأمام، فيضطر لإفلات السوط من بين أصابع يده، وجسده يندفع للخلف رغما عنه، فتتحرر ساقا (إيشارا)، فتسارع بالاعتدال، بالتزامن من تغير كثافة رمال الكرة السحرية لتصبح شفافة مرة أخرى، قبل أن تشحنها (إيشارا) بصاعقة تجعل البرق يغلف سطحها الرملي، وتبتسم ل(نانشي) وهي ترسل بكرة الرمل والصواعق نحوها، هاتفة بشماعة:

- سلامًا على أثيرك البالي!

إيشارا الجزء الثاني

ظلت الفتاة (إيشارا) تحكم المرتزقة لعدد من السنين وهي ترتدي ما يرتديه العامة، لم تتميز بلباس ملكي فاخر يجعلها تبدو مختلفة عن أي مرتزق، ولكن كان دائمًا هناك زوج من العقارب يعتليان كتفها، بالإضافة للعدد الذي لا يتركها لحظة، عدد من العقارب مختلفة الأحجام والتي تسير حولها كفرقة حراسة عائلية. وبالرغم من هذا كانت تسمح لزوج من الفتيان بمرافقتها كعبيد، كنوع من إرضاء غورها كملكة لا تقبل أن تكتفي بحاشية من العقارب فقط لا وجود فيها للبشر. لم تكن تعلم أن هذا سينقذ حياتها يومًا ما، وسيخلق ساعدها الأيمن، الجبار (جيرتابلايلو).. الرجل العقرب.

ذات ليلة، بعد حرب الأسياك الدموية بفترة واستقرار (أنو) على العرش، كانت تتجول بالصحاري قرب مدينة (كيش)، كان القمر محاقًا فكانت الرؤية شبه منعدمة، ولكن آخر ما تحتاجه ملكة العقارب هو الضوء لتتهدي به بالصحراء، مملكتها. تراءى لها كهف، أشعل فضولها كفتاة مرتزقة لا كملكة. شعرت بنفسها طفلة وهي تعدو نحو مدخل الكهف وثبًا، وخلفها قطيع العقارب الحامية وزوج العبيد. انحنى لتدخل الكهف، لم تكن تخاف العقارب بالطبع لتأخذ حذرًا، هذه مزحة، ولكنها لم تعلم أن الصحاري تحوي زواحف شرسة أخرى، كالأفاعي.

كقاعدة لعالم (سومر) السماوي لا توجد حيوانات. لا توجد زواحف حتى. كان الاستثناء هو العقارب، كان النوع الوحيد الذي تواجد بالصحاري كرفيق للمرتزقة، واعتبره السماويون نوع ما أدنى

من الكائنات، يصلح ليكون قطيع من الأسياذ الوحشية -كالتنين ووحش الغابات- ولكنهم أسياذ فقدوا قوتهم، فصاروا مجرد كائنات أليفة مقارئة بالوحوش الجبارة. تعلموا الاحتراس من لدغاتها التي تبث سماً مهلكا، ولكنهم اعتادوا التعايش معها وتنظيف أماكن إقامتهم منها -كما يفعل البشر مع الفئران والنمل- ونجحوا في إلقاء شرها بشكل شبه كامل. لم يرَ سماوي من قبل أفعى، لأنها غير موجودة من قبل. باستثناء هذه الأفعى، التي ارتبكت من دخول (إيشارا) الفتاة المفاجئ لها واقتحام موطنها، ذلك الكهف، والذي لم يكن إلا إحدى نقاط الاتصال بين العالمين السماوي والأرضي، والتي يندر وجودها، ولكن لا يندر وجود كائنات أو مواد -تعود لعالم البشر- حولها.

لم تكن (إيشارا) تعلم بالطبع إن هذا الكهف بالذات كان مقرا دائما لمحارب (كيش) مروض التنين، (نينازو)، والذي كان يستخدمه للولوج لعالم البشر والاستيلاء على الحديد، لم يستخدم الاختراق المعتاد التقليدي عن طريق البرزخ الذي يمر بنفق الأفاعي، كان ينفر من التعبان الحارس الرهيب، ولكن لم يكن هذا هو السبب، لم يحب أن يترك عيونا تعلم ما يفعله بين العالمين، أراد جعل سر تسلحه بالحديد متفردا غائبا عن جميع الأسياذ. لهذا كان بحته الدؤوب الذي هداه لهذا الكهف، فكان مقر انتقاله الدائم بين العالمين سراً. ولكنه كان يلاحظ دوماً تسلل أفعى أو أكثر معه من عالم البشر بعد كل انتقال، فكان يحرص على قتلها، قبل أن تتسلل للعالم السماوي فتفشي سر وجود هذا الكهف. ولكن يبدو أن (نينازو) لم يكن ماهرا بما يكفي في آخر تسلل لعالم البشر، وترك خلفه هذه الأفعى.

بوغت (إشارا)، لم تفهم ما الذي تراه. كانت تسمع عن نفق الأفاعي والذي يحرسه الثعبان الرهيب، النفق الذي يمثل وسيلة الانتقال التقليدية للأسياد بين العالمين، ولكن لم يرَ أحد أفعى من قبل، ظلت تبرز خلف جدران النفق كتموجات أفعوانية مبهمة لها فحيح. وهو ما سمعته الآن بمدخل الكهف. فحيح مباغت قوي ثم ألم بعنقها، قبل أن ينقض زوج العقارب الملاصقان لمنكبيها، فيمزقا الأفعى في لحظات. ولكن سقطت (إشارا) على ظهرها، تتألم من عنقها الذي صار ينزف دما أصفر اللون سال على صدرها، وبدأت تشعر بالضعف يدب بجسدها. لم تجرب يوما سم العقارب، فشاء القدر أن تتعرض لسم الأفاعي -الأرضية- المهلك. وبدأ الشلل يزحف لأطرافها كما تفعل فيرمونات العقارب بخصومها.

جذبتها عقاربها خارج الكهف، تحلقوا حولها لا يعلمون ماذا يفعلون. وسيدتهم على وشك الهلاك الفعلي. هنا، تحرك أحد الفتیان -العبدان- المصاحبان لها. أيقن بالفطرة أن هذا الكائن -الذي لم يره أحد من قبل- أصاب ملكته بلدغة سامة. ففعل ما أملاه عليه فطرته، انحنى على عنق سيدته، وأطبق شفثيه على الجرح، وبدأ ينهل من الدم الذي امتزج به السم.

بدأ تأثير السم يبدو جليا على (إشارا)، دمها -الذي يحوي ذاته سموم العقارب كمكون طبيعي- تنافر بشدة مع سم الأفعى، كانت النتيجة كارثية، رفض الجسد نفسه أن يتأثر بالسم ولكنه فشل، وبدأت السنون تبدو وكأنها تركزض على وجه (إشارا)، الفتاة صارت سيدة، السيدة صارت امرأة، ثم بدأت ملامح الوجه تتغضن لتصبح عجوزًا. تلوّنت بشرتها لتكتسب حراشف سوداء لامعة. لقد شابت

في ثواني، إيذانًا بلحظة الموت الفعلي، عندما بدأ السم ينسحب كله ليخرج عبر عنقها لقم الفتى، الفتى الذي لم يهتم ببصق السم الذي ملأ معدته قدر اهتمام بتفريغ دم الملكة من السم الآخر الدخيل. توقف تقدم (إيشارا) الإعجازي في العمر، ولكنه لم يغد مرة أخرى، ما راح من الزمن لا يعود، بينما انتفض الفتى وهو يسقط على ظهره، وتشنجات قوية ترج جسده رجًا، ودم الملكة المسموم يسيل على ركن شفتيه.

استعادت (إيشارا) وعيها في لحظة، اعتدلت رغم وهنها، ألقت نظرة على الفتى. ستعيش، أيقنت هذا، ولكنها ستبدو كعجوز مشوهة الوجه بجسد مغلف بحراشف زواحف كريهة. وماذا عن هذا الفتى الذي ضحى بحياته من أجلها؟ هل سيحيا؟ ستكافئه كما يجب، ولكن عليه أن يخرج من هذه اللحظة سليما معافى.

توقت التشنجات بجسده، شعرت (إيشارا) بدمها يحارب سم الأفعى بجسده، جاءت الفكرة في لحظة. أمّرت أصغر عقاربها ببث القليل من السم بأوردته، أوردت الفتى العبد. كانت مقامرة، ولكن ما الذي قد يخسره الفتى أكثر مما هو فيه.

امتزجت السوائل الأربعة، دمه - كأحد العامة - مع دم سيده الملكي - كأحد الأسياد - مع سم الأفعى - الأرضي - مع سم العقرب - السماوي - اجتمعت بدمه عناصر أربعة من عالمين. تصارعت العناصر بأوردته، كانت حربا من أجل السيطرة. لا يستطيع أحد وصف ما حدث، ولكنه نجا. الفتى فتح عينيه فجأة مطلقا صيحة ألم رهيبة، ووجهه يزداد سوادا، وعينه اصفارا، وساقاه تذبلان

وتتحللان كدعامتين من الرمل. وأمام أعين (إيشارا) المذهولة لم يتبق منه إلا جذع علوي، بينما بدأت الأرجل ذات المفاصل تبرز من مكان الساقين، عدة أرجل صغيرة بدت وكأنها لعقرب طفل، لرجل في مرحلة النمو، أرجل ستنمو ليصير لها جسد سفلي مستقل عن الجذع العلوي، الذي سيصبح بمقدوره فيما بعد السبات بداخل الجزء السفلي كقوقعة، ليسمح لسيدته بامتطائه.

كانت هذه هي ليلة ميلاد الرجل العقرب (جيرتابلايلو)، وليلة بداية حياة جديدة لـ (إيشارا) المكفنة بالبياض لثلا يرى أحد وجهها العجوز الكريه وجسد الفتاة المغلف بالحراشف الذي تملكه، حياة دانت بها بالفضل لرجلها العقرب، الذي صار ساعدها الأيمن.

لاحظت بمرور السنين أن رَجُلَهَا العقرب ينمو بسرعة خارقة، لم تتعجب فخلاياه تحتوي عدة مصادر للحياة، لهذا بدأت تبني له عشا خفيا سفليا لا يمكن العثور عليه، عش بأكر بقاع مدينتها عمقا، وكانت تقيم عشا جديدا له كلما انتقلت لمنطقة جديدة، وتحرص على زيادة عمق العش كلما طال استقرارها بمنطقة فَنَمًا رجلها العقرب أكثر. واهتمت بزيارته يوميا، منقذ حياتها وبطلها، وكان الاثنان يتبادلان حديثا تخاطريا عذبا، إذ لم يكن رجلها العقرب يجيد الكلام. أخفت أمر وجوده عن الجميع - باستثناء عقاربها- حتى أن (أمورو) -شريكها في الحكم- لم يكن يعلم عنه شيئا.

وكانت هذه هي قصة ميلاد أكفان (إيشارا)، وميلاد رجلها العقرب الجبار، (جيرتابلايلو).

معركة عش العقرب الجزء الثالث

تضاعفت سرعة الرجل العقرب وهو يندفع للأمام، وكفأشاته تخلق أمامه الأخدود المتنامي. طار (سرجون) ليحيط سيدته (إينانا) بذراعيه ويخلق بها يمينا، بينما وثب (جلجامش) وثبة خارقة جعلته يمتطي متن الأسد الذي تكتفي (نينشوبور) بالجلوس فوقه بعينين مغمضة لا تكف عن تحريك لسانها بصمت، ثم أجبر الأسد بدفعة قوية بيده على التحليق يسارا. فانفصل الرباعي ل(سرجون) و(إينانا) يبتعدان يمينا، و(جلجامش) و(نينشوبور) يندفعان يسارا، والأخدود يصل لموقع تجمعهم السابق في لحظة ويشق الأرض، ولكنه لم يتوقف.

استكمل الجسد العملاق رحلته التي كانت تخلق الأخدود بمقدمتها، بدأ يميل جهة اليسار. تابعه (سرجون) بقلق وهو يصنع نصف دائرة حول (جلجامش) و(نينشوبور)، ثم بدأ يكملها دائرة كاملة، وبدأ هدفه يبدو واضحا. إنه يخلق خندقا دائريا حول (جلجامش) والوصيفة، يدور بأخدوده الدائري ليكمل آخر جزء من النفق، فتكتمل الدائرة، ويصبح الخندق كاملا. وتبدأ الأرض في الخسوف للأسفل بكل من عليها.

غمغمت (إينانا) وهي تتابع الأسد الذي يحمل (جلجامش) ووصيفتها وهو يحلق ليرتفع عاليا:

- لا أفهم هدفه. لماذا يصّر على محاولة إسقاطنا، جميعنا نستطيع التحليق!

جَزْ (سرجون) على أسنانه غضبا وهو يقول:

- إنه لا يحاول إسقاط أحد، فقط يقوم بتحرير شيء ما تحت الأرض.

نظرت (إينانا) بقلق للأرض المنخسفة، والتي أصدر صوت هبوطها هديرا عنيفا، وغطت الرمال المتطايرة -التي نجمت عن دك التربة- المشهد تماما فلم يعد يمكن رؤية شيء سوى الستارة الذهبية الكثيفة للرمال والتي حجبت المشهد كله.

هوت كرة الرمل ذات الصواعق الشفافة على جسد (نانشي) بمنتهى القوة. وبينما جسد (نينورتا) يهوي للخلف، لمحت عيناه انقضاة كرة الرمل السحرية على جسد (نانشي) الساقطة أرضا تترنح، أيقن من درجة شفافية الكرة أنها قادرة على إصابة (نانشي) -الأيثري- جسديا، نشأت الصواعق -بغريزته- من أطراف أصابعه باتجاه كرة الرمل، تجمعت الشرارات بسرعة رهيبة -أثناء اندفاعها- واتحدت لتتحول لكرة من الصواعق تدور حول نفسها في نفس حجم كرة (إيشارا)، وصلتها قبل أن تمش جسد (نانشي) بسنتمرات معدودة، كان رد فعله خارقا للعادة لا يمكن استيعابه، مكنه من فعله بهذه السرعة حبه لها ورغبته في الدفاع عن حياتها بكل ما يمكن، ولكن -أحيانا- فإن كل ما باليد لا يكون كافيا.

اخترقت كرة الصواعق كرة (إيشارا) وكأنها لا شيء، سراب، لم تتوافق كثافة كل منهما. بينما أكملت كرة (إيشارا) اتجاهها نحو جسد (نانشي) -المطابقة له في الكثافة- لترتطم به ارتطاما عنيفا، وبينما أكملت كرة الصواعق اندفاعها للأمام بعد أن تجاوزت هدفها

لتتفجر بقلب الرمال بعنف، كان جسد (نانشي) يستطيل ويتمزق بفعل الضربة السريعة المباغتة الماكرة والقاتلة، انفصلت أوصال جسدها وكأنه صورة على سطح الماء، قبل أن يفقد تماسكه تمامًا وينفصل لعدة أجزاء كقطرات من ماء، طارت لتحلق متساقطة للأسفل كندف شاردة من ثلج.

لم يصدق (نينورتا) ما يراه. لقد فقدوها للمرة الثانية، المرة الثانية والأخيرة. لا عودة هذه المرة. شعر بالغضب كما لم يشعر به من قبل. التفت نحو (إيشارا) بعينين تحولتا لكرتين من برق. تراقصت الشرارات حول جسده كله وبدأت تتطاير من أطرافه وخصلات شعره. اعتدل ببطء ثَنَّا قَصُ مع ما يستعزّ بداخله من غضب ملتهب كالحمم، ورغبة عارمة تجتاحه في قتل (إيشارا) بأشد الطرق قسوة وإيلامًا. لقد أنقذت (نانشي) حياته بتدخلها السريع منذ قليل، ولكن لم ينجح هو في الدفاع عنها كما يريد. وراوده -لحظة سريعة قصيرة- شعور أنه قد خسر الحرب في كل الأحوال، وأنه لم يعد يبالي باسترداد مُلكه قدر اهتمامه بالانتقام من قاتلة حبيبته. فأطلق صيحة حملت كل مشاعره، وهو يقوم بإطلاق سيول من برق باتجاه (إيشارا) أحالت النهار لضياء أكرم سطوعًا.

كان (سرجون) يتابع بطرف عينه سير نزال (نينورتا) و(إيشارا)، كانت لديه القدرة على التركيز في معركتين في آنٍ واحد، امتعض وجهه بضيق مع رؤيته لمقتل (نانشي)، ولكن كان لديه حقا ما يكفيه من هم. فقد انقشع ستار التراب عن قمم مدبية، عشرات من القمم بدت كأعالي أبراج. ثم ظلت ترتفع ببطء لتكشف عن عدة أبراج ذهبية متوازية. ثم زاد ارتفاعها لتبرز الصورة كاملة. حصن تحت

أرضي مشيّد من رمال ذهبية متماسكة، بدا كقلعة من ذهب يعكس ضوء الشمس. كانت أسواره التي تفصل بين الأبراج تعجّ بالعقارب الذهبية الرابضة، بأحجام صغيرة نسبياً إذ كان حجم العقرب الواحد يناهز ضعف حجم (إينانا) أو وصيفتها. مما جعلها تبدو -من الوهلة الأولى- وكأنها نسل العقارب السوداء -السفلية- التي سحقها جيش (نينورتا) في بدء المعركة. ولكن لقا ركّز (سرجون) لاحظ أنها امتلكت ذيولاً ضخمة -منتصبة بتأهب- بطول يضاعف طول العقرب نفسه، وسماكة جعلها أشبه بكتلة عضلية مستقلة عن جسد العقرب الناحل الحرشفي.

ظل الحصن يرتقي حتى صار فوق الأرض بالكامل، وأصبحت العقارب الذهبية تطلّ على (نينشوبور) و(جلجامش) من مستوى أعلى. ثم بدأت ترشق السماء بوابل من الرمال، بدا ما تفعله العقارب غير مفهوم وعبثياً في البداية، إذ كانت تقوم بنثر الرمال لتخلق سحباً ذهبية فوق القلعة، ولكن سرعان ما راحت الرمال تتحرك وكأن كل ذرة لها إرادة واعية، فشكّلت نجمة خماسية ذهبية بين السحب مكونة من الرمال. تألّقت النجمة ثم انبعثت من كل طرف من أطرافها الخمسة سوطاً ذهبياً ينزّ رمالاً متطايرة حوله، هوت السياط الذهبية الخمسة لتحيط ب(جلجامش) و(نينشوبور) وأسدهما في لحظة، ثم ضيقت الخناق لتكبّلهن بقوة غير عادية، فشلت معها محاولات (جلجامش) -رغم قوته الجسدية الخارقة- في التحرر. فغمغم (سرجون) بتفكير:

- إنه سحر لا قوة جسدية. لن تفلح.

وبينما طارت عقارب الأسوار الذهبية - بعد أن برزت لها أجنحة - باتجاه الاثنين المكبلين، كان الرجل العقرب يولي وجهه شطر (سرجون) و(إينانا)، ثم يرفع ذراعه عاليًا ليختفي طرف رمحه فوق السحب، ثم يخفض ذراعه مطلقًا صيحة عالية خشنة كريهة، وهو يقذف رمحه نحو (سرجون) و(إينانا). سارع (سرجون) برمي جسد سيدته جانبًا وهو يئب للجانب الآخر، فمزّ الرمح بينهما محدثًا موجة تخلخل رهيبة دفعت الجسدين بقوة ليصطدم كل منهما بالأرض، فشعرت (إينانا) بالدوار مع اصطدام رأسها بالأرض، وحاولت الاعتدال وهي تتمتم محدثة نفسها:

- هذا جنوني. ما كل هذه القوة؟ كيف سننتصر هكذا؟

صنعت (إيشارا) صواعق من أطراف كماشاتها بمنتهى السرعة لتصد السيل الرهيب المندفع نحو جسدها، ولكنها لم تنجح في مجاراة سرعة (نينورتا)، ربما بسبب غضبه، ربما بسبب كونه سيدًا للصواعق منذ زمن، في الحالتين نجح عدد من الصواعق في الوصول لجسدها وقذفه للخلف بعنف. وبينما هي تحاول النهوض بجسد شبه مشلول بأثر البرق الذي تخلل بأنسجتها، جفع (نينورتا) كل قوته في قبضتيه، لتتحول كلا منهما لكرة من البرق الساطع، ثم دمج الكرتين في كرة واحدة أكبر حجمًا كانت تموج بالشرارات، وقبل أن تنجح ملكة العقارب في التخلص من تأثير سيل الصواعق السابق، كان (نينورتا) يزمجر وهو يرمي بكرته الفضية المهلكة نحو (إيشارا)، كرة تحمل من القوة ما يكفي لتدمير مدينة بأكملها. ويصيح بكل ما يعتمل بدواخله من غضب:

- من أجل أبي (إنليل). من أجلها، (نانشي)!

تفجرت الأرض أسفل قدميها. برز من تحت الأرض سور عريض ذهبي مماثل لسور الحصن الذي خلقه الرجل العقرب منذ قليل. إن كانت (إيشارا) غير واعية فيبدو أن رجلها العقرب يسيطر على القتال من الجهتين، وهكذا سارع بإرسال السور الذهبي الحامي الذي انتصب بلمح البصر ليصد كرة (نينورتا) الصاعقة، نجم عن لقاءهما انفجار ضوئي مبهر، دك السور ولكن تلاشت معه قوة الصاعقة. ومع قوة الانفجار اندفع جسد ملكة العقارب أكثر للخلف، وبدا من هيئة جسدها الساقط أنها فقدت الوعي.

لم يتأخر الرجل العقرب وترك جبهته، وانطلق كالعاصفة لينقذ سيده من غضب سيد الصواعق الهادر، الذي يحارب بإرادة من لم يعد لديه ما يخسره. حاولت (إيشارا) النهوض فلم تستطع، زمت شفتيها بسخط وهي تشعر بأنها على حافة الغيبوبة، وغمغمت بسخرية لنفسها رغما عنها:

- أكان يجب أن أقتل ملاكه الحارس هذه؟!

انقض (نينورتا) عليها وخلفه تجسدت غيمة ثلجية. أحاطت الغيمة بها في شكل كرة ضخمة، وشرارات تنبثق بداخلها. ثم انبعثت منها المياه مدرارا، أمطار أحاطت بجسد ملكة العقارب في شكل كرة أخرى أصغر حجما. أيقنت (إيشارا) -رغم حالتها الواهنة- أنه يفعل بها ما فعلته بأبيه (إنليل). سيستخدم الماء كوسط مضاعف لقوة الصواعق. أيقنت أن أقل صاعقة قوة ستحوّل جسدها لأشلاء في لحظة بمجرد اختلاطها بكرة الماء هذه. فعلها بالفعل (نينورتا)

وأطلق صاعقة واحدة قوية من بين عينيه باتجاه جسد ملكة العقارب الملقى أرضاً. فقط ليفاجأ بالجسد يتم التقاطه بواسطة كماشة سريعة أتت من خلفها، من حيث هرع الرجل العقرب لإنقاذها، فأصابت صاعقته الفراغ الرملي الذي كانت ساقطة به، بينما حملها رجلها بين طرفي كماشته، قاذفًا بجسدها لتحتويه أصابع يده اليسرى برفق وحرص، وتركها بداخل قبضته متقوقة كجنين نائم، وانقض بنفسه على (نينورتا) مزمجراً، وهو يضم يمناه في قبضة ضخمة زاد حجمها عن حجم جسد سيد الصواعق نفسه، قبضة لن تكون حنونة عليه كما فعلت مع (إيشارا)، بل ستقوم بسحق جسده إن احتوته بداخلها.

همس (سرجون) بأذن (إينانا) بحزم:

- سيد (نينورتا) يقوم بعمل جيد، لقد جعل ذلك المسخ العملاق يضطر لمغادرتنا لمساعدة سيده، هذه فرصتنا الآن لنستعيد توازننا.

ثم سألها وهو ينفصل عنها ليؤازر (جلجامش) ووصيفتها:

- إن استطعتِ خلق صاعقة واحدة، ستسهلين الأمور كثيراً عليّ. فقط قومي بتوجيهها نحو نجمة السحر الرملية هذه وقتما يمكنك فعل هذا. سأكون ممتنًا لك، فذلك المسخ سيعود بسرعة.

تركها ليطير نحو الحصن الذهبي الجاثم أمامه وعقاربه المجنحة التي كانت تنقض على الخصمين المقيدين بسياط النجمة الخماسية، فقالت لنفسها وهي تنظر ليديها:

- أصنع صاعقة؟ أيمكنني فعلها؟

أجابها باستنكار ولكن في عقلها:
- ألسِتِ سُليلةَ أسِيادِ الصَّواعِقِ؟!

نينورتا وإينانا

كان أبوه (إنليل) يعامله منذ طفولته كرجل بالغ. لم يشعر (نينورتا) أنه طفل أبدًا. وبالرغم من تقارب فارق العمر بينه وبين شقيقته الأصغر (إينانا)، فقد كان يرى كيف يدلل أبوه شقيقته، يلاعبها ويضحك معها ويعزف وهي بين يديه، في حين لم يكن نصيبه إلا تدريبات -منذ وعت عيناه على العالم- من أجل تسهيل استخدامه لقدراته. جعله أبوه يحب القوة ويتناغم معها، وعلمه كيف يجعل من الصواعق جزءًا من جسده، من مكونات دمه. كيف يستطيع استدعاءها فقط بالتفكير فيها، يخلقها من جسده كما يستطيع تقويتها بقوة السماء؛ فصواعق الجسد قوية، ولكن صواعق السماء مهلكة. وهكذا، كان هم (إنليل) الشاغل تعليم ابنه كيفية خلق الاندماج بين السماء والجسد، من أجل خلق القوة العظمى بالعالم السماوي، قوة أسياذ الصواعق، والتي لا نذلها إن تم خلقها بالقوة المطلوبة.

(ستستطيع خلق قوة الصواعق بأقصى طاقة عندما تنبع من غضبك، عندما تخرج عن سيطرتك ونطاق إرادتك ورغبتك. وهذا في حد ذاته سلاح ذو حدين؛ فكما ستتضاعف قوتك، فقد تصير وبالآ عليك. لذا، عليك تعلم كيفية الوصول لحالة السكينة المطلقة، التي تجعلك قادرًا على خلق أقوى الصواعق من خلال أدنى درجات الهدوء والسلام. هكذا تكون قويا وحكيما في نفس الوقت).

كانت ساحة التدريبات هي مدينة (ماراد)، المدينة التي كان يتم تجهيزها لتصير مدينته عندما يصير بالغًا قادرًا على الحكم. كان

أبوه يقوم بتدريبه على جذوع الأشجار والصخور الضخمة. فلما زاد طموح الفتى بدأ (إنليل) يتجه للصحراء، واستخدام الفراغ كأهداف محتملة غير مرئية.

كان تطوّر الفتى سريعًا ومبشرا، وصارحه (إنليل) أنه يرى فيه معالا مصغرا للجد المهيّب (أنو)، فأبهج هذا قلب الفتى أيما ابتهاج؛ فقد كان (أنو) مضرب مثل العالم السماوي كله في القوة، السيد الرهيب القادر على تطويع السماء بغيومها وصواعقها لتصبح أسلحة فتاة لا يمكن مجابقتها.

ثم قامت حرب الأسياذ الدموية الأولى.

انقسم عالم (سومر) السماوي لفرق وأحزاب، هناك من جمعهم صلة الدم -مثل أسياذ الصواعق وسيدا الشمس والقمر وأسياد النار والثلج وأسياد الذهب والفضة وغيرهم الكثير- وهناك من جمعهم المصلحة مثل المرتزقة، وهناك من دفعهم الرغبة في الحكم مثل أسياذ الأرض. وهناك من دفعهم الرغبة في سفك الدماء فقط لا غير كالأسياذ الوحشية كالتنين ووحش الغابات وغيرهما. وهناك من لزم الحياد كأسياذ (أشور) الشمالية الغامضة شبه المنعزلة. هناك من قام بدور المساعذ للأسياذ كالسحرة والأنوار والحكماء. كان عدد الأسياذ كبيرا وتنوع قواهم واسعا وشمل كل عناصر الطبيعة والسحر. كانت حربا ضروسا لا يعلم أحد سببها أو منشأها، ولكن يتذكر الجميع -ممن بقي ليتذكر- أنها قامت فقط، وأنها أفسدت العالم السماوي وأكثر من سفك الدماء فيه بجنون، فلم تجد الأرض الوقت لتشرّب أنهار الدماء الصفراء التي سالت بلا توقف.

تم وضع شقيقته (إينانا) بمقر آمن بقصر السيد (أنو)، بينما تم اعتبار (نينورتا) نفسه سيدا قويا يمكن الوثوق في قوته. وشهد بنفسه قوة جده الجبار (أنو) والذي كان أحال العالم السماوي لصواعق لا حصر لها، يساعد ابنه (إنليل) بقوته وخبرته، وحتى الحفيد الصغير كان لقوته دورا لا يمكن إغفاله؛ فقد درّبه (إنليل) جيدا لمثل هذه اللحظة، فاستطاع ثلاثي أسياذ الصواعق النصر ودحر جميع من عداهم من أسياذ، وأعلنوا أنفسهم ملوك العالم الجديد ما بعد الحرب. ولكن ظلّ سؤال متكرر لا يفارق ذهن (نينورتا) الفتى، إن كانت (إينانا) شقيقته سليفة لأسياد الصواعق، فلم لا يمكنها إطلاق الصواعق؟ ولماذا لم يحاول حتى (إنليل) تدريبها كما فعل معه؟

(يا بني، شقيقتك لها قوة مختلفة. إنها حاملة. رؤّضت قواها كسيدة الصواعق وحولتها لقدرة رهيبه على الخيال.)

جادل (نينورتا): وما النفع من الخيال؟ يبدو لي شيئا مبتذلا لا قيمة له وقت المعركة والحرب وسفك الدماء.

(للخيال قوته كما للواقع قوته. لا تهمل من قدرة الخيال على هزّ أركان الواقع.)

رَفَضَ (نينورتا) التسليم: لا أقنع. قل لي كيف يمكن لها صدّ كرة ماء سحرية مثل تلك التي كان سيد الماء القويّ يقوم بإطلاقها، والتي كانت أقوى خطر علينا كأسياد الصواعق في الحرب؟ هل ستصدها بخيالها؟!

(ستفهم في حينها. الخيال نفسه ليس بسلاح، ولكن منبع كل

لم يستكمل (نينورتا) الحديث، ولكنه ظلّ يحتل جزءاً صغيراً مهماً -ولكنه موجود بقوة- من عقله طيلة ما تبقى من حياته. بينما لم يتوقف الحوار نفسه بعقل (إنليل)، وظلّ يجادل نفسه بعد توقف (نينورتا) ابنه عن الجدل:

(لقد صدّق الفتى برغم عدم فهمه بشكل كامل. لابدّ من تعليم الفتاة كيفية الدفاع عن نفسها باستخدام ما هو موجود بالفعل في دمها. قوة الصواعق. إنها موجودة بقوة حتى لو لم تستطع استخدامها. حتى لو لم تعرف بوجودها، إنها موجودة. ولكن كيف السبيل لاستخراجها؟ الفتاة لديها ميل للخيال يجعلني أكاد أصدق أن قدرها مرتبط بجموح خيالها. رحلاتها المستمرة للأرض البشرية ليست بلا مغزى. لا يوجد شيء يحدث مصادفة بالكون، كلّ مقدر ومهيأ لقدره. وقدرا ابنتي يرتبط بخيالها.)

أزق الأمر (إنليل) بشدة لدرجة جعلته يفتح أباه في الأمر.

قال (أنو): لقد فكرت بالأمر ملياً من قبل بالفعل. ابنتك تمتلك بذور الحكمة، والتي تنبع من حبها للخيال. ابنك يمتلك بذرة المحارب، والتي تنبع من اتباعه للمنطق المادي. منبع قوتي وقوتك المتفردتين -وما جعلنا ملوكاً لكل الأسياد- هو قدرتنا على تحقيق التناغم ما بين القوتين، الحكمة والقوة الحربية، الخيال والمادة. يوماً ما سيبلغ (نينورتا) أقصى قدراته كمحارب، ولكنه لن يبلغ قدره المحتوم كعظيم إلا عندما يُكسب هذه القوة بالحكمة. الفتاة (إينانا) حكيمة بفطرتها، حاملة بغريزتها. ستتمكن من اجتياز فواصل ما بين عالمتنا

وعالم البشر، هذا قدرها المحتوم الذي أكاد أراه بعيني. ولكنها لن تصبح سليلة أسياد الصواعق إلا عندما تدغم حكمتها بالقوة التي تجري بدمها: قوة الصواعق. سيحين وقتها يومًا ما. ربما غدا، ربما بعد سنين، ربما لن يأتي هذا اليوم. ولكن عليك أن تجعلها واثقة أنها تمتلك هذه القدرة، حتى وإن لم تستطع أن تُظهرها لبعض الوقت، لأنها موجودة كل الوقت. اجعلها واثقة أنها ستفعلها ولو بعد حين، ليس عليها أن تتعجل، يجب على فترة انتظارها لاكتساب قوتها أن تكون مغلفة باليقين لا الشك. ستفعلها يومًا ما، وستأتي قدرتها من أحلك لحظات حياتها وأكثرها يأسًا، وكذلك (نينورتا).

أثلجت كلمات الجد المهيّب صدر ابنه المتحرّق لجواب شاف. وظل يكافح لتمرير هذه الفكرة لـ (إينانا) -بدون وعي منها- من خلال جلساتها التي كان يعزف لها فيها أعذب الألحان على كيثارته الأثيرة. كان يستغل تحررها وانطلاق روحها ليغرس بداخلها نواتها كسليلة لأسياد الصواعق تمتلك ميزانا لا ترجح إحدى كفتاه عن الأخرى: كفة الحكمة وكفة القوة.

لم تستوعب (إينانا) محاولات أبيها. كانت تسمع الكثير من الكلمات التي لا تعتقد أن لها معنى. كانت متعتها هي لحظات عزفه، ماثلتها متعة لحظات تنقلها بين جنبات عالم البشر الثري الخيالي. لقا انغمست في عالم القراءة وغرقت ببحر الرُّقْم المحملة بالتاريخ والعلم والمعرفة، نضج خيالها وأيقنت أن قدرها يربط ما بين الخيال وعالم البشر. ومن هنا نبع يقينها أن هدف حياتها سيكون البحث خلف الهالات الإلهية، وأدركت أن لبحثها المحموم هذا سبب يتعلق بمستقبلها، وبمستقبل عالم (سومر) السماوي كله. لم تستخدم

القوة أبدًا، كان لقطيع أسودها الحامي دور كبير في إرهاب أيّ ممن تسوّّل له نفسه الاقتراب منها، ولكن من يجرؤ على تهديد سليفة أسياد الصواعق؟ حتى حصولها على أول هالتين إلهيتين لم يكن باستخدام القوة، فقط الحدس والبحث والخيال. كادت تصل ليقين أنها لا تحتاج للبحث عن قوتها الداخلية الغريزية حتى تم أسرها بواسطة السيد الطافر (مردوخ) وساحره (النمرود). تززع بداخلها اليقين السابق بأنه لا حاجة للقوة، بل على النقيض برز الاحتياج العامر لامتلاكها قوة تماثل قوة أخيها (نينورتا)، ففي النهاية اتضح أن أهلها أسياد الصواعق -مهما بلغت رغبتهم في حمايتها- فلن يظلوا بجانبها أبد الدهر. فجدها (أنو) تم اغتياله أمام عينيها. ثم أبيها (إنليل) بدم بارد. لم يعد لديها إلا (نينورتا)، وبدأ الأمر يصبح واجبًا متبادلاً بينهما لا حكرًا على أخيها فقط، فهو ليس مسؤولاً عن حمايتها فقط، بل كلاهما مسؤول عن حماية الآخر. وهذا يستدعي -يستوجب- أن تكون سيدة صواعق، لا مجرد حاملة تملك زوج من الهالات الإلهية.

ذات ليلة، وبعد أن أنهى أبوها عزفا شجيا انتهى بسيلان الدموع على وجنتيها. مسح دموعها بأنامله، وقال لها الكلمات التي لم ولن تنساها:

(أيا ابنتي الحبيبة، لا تنسِ أصلك، الصواعق تسري بعروقك، أقرب إليك من حبل الوريد. أنتِ حكيمة وحالمة وهادئة، ولكن لا ينقصك غضب البرق ولا قوة الرعد. يوما ما، وستعلمين أنه اليوم في حينها، سيكون عليك الثقة في قدراتك، والعودة لأصولك. ستستدعين ما ولدتِ تملكينه، وتجعليه يبرز للوجود. ستحتاجينه لحماية من

حولك أكثر من حمايتك لنفسك. عليك يومها أن تتقي بنفسك لأبعد الحدود، تتقين في قوتك، والأكثر أهمية أن تتقي بقدرتك في خلق الصواعق، ففي النهاية فأنت سيدة صواعق شئت أم أبيت، وشاءت الدنيا كلها أم تغاضت عنه هذا).

وكانت هذه الكلمات هي ما حُفِرَتْ بذاكرتها من يومها وحتى حين. وقد حان وقت هذا الحين!

معركة عش العقرب الجزء الرابع

اصطفت العقارب الذهبية المجنحة صفًا أمام (جلجامش) والوصيفة المكبتين بالأغلال الذهبية الرملية السحرية. زمجر (جلجامش) أكر وهو يحاول بقوته الأسطورية فك القيد، تراخت قليلا وكادت تنزاح عنه بالفعل، ولكن سرعان ما زاد تألق النجمة الرملية الذهبية بالسماء لتستعيد الأغلال إحكامها حول جسده. هوت العقارب تنقض عليهما بذيول موجهة للأمام كسيوف مسلولة. ولكن سبقها (سرجون)، تحرك كطيف ليتجسد بينها وبين (جلجامش) والوصيفة، قبض أصابعه وكأنه يمسك الأثير غير المرئي، همس:

- (ماميتو)، هبة (سومر) و(أكّد) السماوية من (نمتار). امنحيني قوة الجحيم، ليتحرك الأثير بيديّ وطوع بناني برغبتني.

قام برفع قبضتيه المضمومتين وخفضهما عدة مرات، وكأنه يمسك بشيء مادي ويقوم بنفضه باستمرار. استجاب له الأثير. تحرّك الفراغ الذي يحمل قطيع العقارب وجعلهم جميعا ينقلبون للخلف كدّمي تم جذب خيوطها للخلف بغتة. ساد الهرج والمرج بين العقارب. عاد (سرجون) ليلف أصابع يديه المضمومة على اللاشيء، فتلوّت العقارب وهي لا تكف عن تحريك كماشاتها بلا هدف. كانت مرتبكة، كانت تتألم، كانت تتمزق داخليا، و(سرجون) يقوم بتفريغ أحشائها من الأثير. فحدث انضغاط مفاجئ بدواخلها جعل أجسداها تنهار وتنكمش على نفسها. وفي مشهد سريع ودموي سقطت جميع العقارب من حلق جثثًا ممزقة من الداخل.

ارتجت القلعة الرملية الذهبية، ثم برزت من بين أبراجها راجمات عملاقة تحمل أسهم ضخمة. كثر (سرجون). هذه الأسهم ستقضي عليهم إن انطلقت. وتلك النجمة الذهبية الرملية تتألق لشخيم من قبضتها على (جلجامش) و(نينشوبور). هذا لا يبشر بأدنى خير على الإطلاق.

تراجع (نينورتا) بخفة ليتجاوز لكمة الرجل العقرب الخرافية. ثم أطلق من جسده صاعقة مهولة مركزة استهدفت منبت الذراع فبترته، وبينما يتهاذى الذراع الضخم كجبل عملاق ليسقط أرضاً، أطلق (نينورتا) على منبت الذراع الأخرى التي تحمل (إيشارا) بداخل قبضتها، وعيناه تحولتا بالفعل لجمرتين من الصواعق. إيذاناً بنقل المعركة لمرحلة نهائية وحاسمة. ولكن لم يكن الرجل العقرب ليسمح بإيذاء سيده مهما كلفه الأمر.

سارع برفع إحدى كماشاته لتصد الصاعقة، وتطير الكماشة ككيان متفخم تذروه الرياح. فسارع باستخدام الذراع التي سلمت من الهجوم ليقذف بجسد (إيشارا) -بمنتهى الرفق- بقلب جمث العقارب السوداء المحترقة. دفنها بقلب تجمّع جمث أبنائها، لم يظن أنه يوجد مكان أكثر أماناً لها أكثر من هذا المكان، حتى تستعيد وعيها، ثم استدار ل(نينورتا)، وصاح -لأول مرة منذ بدء القتال- وعينيه الكريهيتين ذاتا اللون الأصفر تتألقان:

- لن أسمح لك بمس سيدتي.

قال (نينورتا) بلهجة عملية وهو يخلق سيفاً شديداً الضخامة من الصواعق -بين يديه- ويرفعه عالياً بقوة عقله المحركة:

- هذا هو الفارق بيني وبينك. لك سيّد، بينما أنا سيّد!

هو بسيفه المؤلف من الصواعق ليبتز الذراع السليمة، خار الرجل العقرب ولكنه لم يتراجع. لم يكن من الحكمة في شيء مواجهة هجوم غاشم من سيد للصواعق، كان لابد من التراجع التكتيكي على الأقل، ولكنه كان على يقين أن حياة سيده تعتمد على تماسكه. كل ثانية تمرّ وهو صامد أمام (نينورتا) تعني أن (إيشارا) تستعيد وعيها. كان هو اللبنة الوحيدة المتبقية بجدار سيده الحامي، لهذا استبسل، خار، لمعت عيناه وهو يندفع للأمام نحو (نينورتا). كجبل يهوي على منزل. كقدم تركل ذرة رمل. رفع أقدامه وهو يحلق عاليا، ثم رمى جسده نحو (نينورتا) قاصدا سحقه جسديا، مستغلا فارق الحجم الرهيب، في محاولة أخيرة لكسب الوقت لسيده. محاولة قد تكون انتحارية، وقد تكون ضربة قاضية تنهي المعركة.

(أنا سيدة الصواعق الأخيرة والوحيدة!)

صاحت بها (إينانا) وهي تشعر بالطاقة تسري بجسدها، بخلاياها، بروحها. استعادت وجه أبيها (إنليل) وصارت قادرة على سمع عزف كنارته بأذنيها. استعادت ابتسامة جدّها (أنو) وكلماته عن دينه التوحيدي الجديد التي وافقت هواها. ترددت كلمات (إنليل) بعقلها: (لا تنس أصلك، الصواعق تسري بعروقتك، أقرب إليك من حبل الوريد). شعرت بالطاقة تفيض وتودّ الخروج من مكنها. تودّ مغادرة جسدها. تبغى الانطلاق والخروج والتحرر. تتمنى لو أصابت العدو فمزقته. (عليك يومها أن تعقي بنفسك لأبعد الحدود، تعقّين في قوتك، والأكثر أهمية أن تعقّين بقدرتك في خلق الصواعق،

ففي النهاية فأنت سيدة صواعق شئت أم أبيت، وشاءت الدنيا كلها أم تغاضت عنه هذا.) صاحت بكل قوتها وهي تشعر بالأمر يريد الخروج عن سيطرتها. أتاها صوت (سرجون) هذه المرة بهدوء أقرب للبرود بعقلها: (لا تتركي الزمام. لا تتركها تقودك. أنت السيدة لا هي. أنت سيدة قوتك وقدراتك. عليك أن تهدئي وتتركها هي تمور. تصمتي وتتركها تزار وتجور. ركزي فيما تريدين، واجعلي الصواعق وسيلتك لا غايتك.) أخذت نفسا عميقا، وصيقتها تحتاجها. أخوها يحتاجها. بطلاها الأسطوريان يحتاجان إليها. إرث أسياد الصواعق يحتاج لسيلته الأخيرة. غشيتها سكينه، راحة، اطمئنان، ثقة. أغلقت عينيها لوهلة، ثم فتحتها ليسفرا عن كرتين تموجا بالشرارات الفضية. نظرت نحو النجمة الرملية الذهبية بهدوء، وأشارت نحوها بسبابتها، لتنطلق من طرف الإصبع شرارة صغيرة، تعاظمت أثناء اتجاهها نحو هدفها لتصير صاعقة مهولة ساحقة، هوت على النجمة لتسحقها، وتفتتها لملايين الذرات الرملية الذهبية المتطايرة. فيصيح (جلجامش) بجذل وهو يتحرر من قيوده القبيحة.

بالتزامن مع تحوّل (نينورتا) لكتلة من الصواعق الصافية، الزاجرة، ذروة القوة وغايتها. كيان من برق قابل انقضاضة المسخ العملاق بأن هجم عليه. قصد وجهه. اخترق رأسه من الأمام ثم مرّ خلالها كنصل حاد مزّق أثناء مروره كل ما قابله من خلايا حية، لينتهي الأمر بخروجه من مؤخرة الرأس التي ذاب عقلها، وفقد العملاق وعيه وعقله وحياته، وهو يصدر صوتا كخوار رهيب كريبه، وجسده يتمايل يمينا ويسارا في مرحلة ما قبل السقوط النهائي.

تزامنت صرخة (إيشارا) التي تحمل كل لوعتها وهي تستعيد

وعيينا، مع صيحة (نينورتا) الظافرة وهو يستعيد جسده المادي الخالي من الصواعق، مع هدير مخيف أتى من داخل مدينة (نيبور) نفسها.

التفت (نينورتا) نحو المدينة بدهشة، و(إينانا) بقلق، و(سرجون) و(جلجامش) بتحفظ. حتى (نينشوبور) استعادت جزءا من وعيينا وهي تستعيد سماع هذا الهدير من قبل. بينما همست (إيشارا) التي تعرف جيدا مصدر هذا الصوت أكثر من غيرها:

- مستحيل! وحش أسياذ الحديد!

حينها، برز التنين الرهيب (موشوسو)، وهو ينفث نيرانه بجنون اتجاه السماء، وعلى متنه المحارب (نينازو)، وخلفهما جيش مسلح بكل أنواع الأسلحة الحديدية أتى يزحف من داخل المدينة نفسها، وعلى رأسه الملك الجديد لعالم (بابل) السماوي. السيد (زابابا).

وانتقلت المعركة لمرحلة أكثر عنفا ودموية بكثير.

أجراس الرعد

الأجراس

انقبض قلب (إينانا) مع سماعها للصوت قبل أن تصيب مصدره بعينيها. عاودتها ذكرى ذلك اليوم. ذكرى الدخان يتصاعد من قمة قصر الجد (أنو) المجاور لقصرها. ذكرى أصوات الهسيس والفحيح التي رددت مدينة (نيبور) كلها صداها. وقوفها بالشرفة وبجانبها وصيقتها وحكيماها، وأمامها يُخلَق صف الأسود المجنحة بترقب. كان يوم زيارة سَيِّدَي مدينة (كيش)، حاكم (كيش) السيد (زابابا) ومساعدته المحارب (نينازو).

كان (أنو) قد خرج حينها من عزلته الطويلة عن عالم (سومر) السماوي، العزلة التي قام خلالها ابنه (إنليل) بإدارة شؤون الحكم ببراعة عوّضت غياب الجد، عاد (أنو) من عزلته نبياً ورسولاً، يحمل رسالة التوحيد من رب العالمين. إله واحد أحد صمد. زعم أن الوحي قد أتاه وعلمه ما لم يكن يعلم، وصار على عاتقه واجب تبليغ الرسالة، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. كان ابنه وحفيده أول المؤمنين به و برسالة التوحيد، آمن (إنليل) بعقله قبل قلبه، وآمنت (إينانا) بقلبها وعقلها. بينما لم يكن ردّ فعل باقي الأسياد -ممن كان يستدعيهم يومياً بقصره لإبلاغهم رسالته- يتعدى الرفض المُغلّف للسخرية والإنكار. جاهر (شمش) بأن سيد الأسياد فَقَدَ عقله. لم يقبل (إنكي) دعوة (أنو) من الأساس. كان (نابو) -سيد مدينة (بورسيبا) المسالمة- حيادياً فلم يعلن موقفه. فلما جاء يوم إعلان الرسالة لسَيِّدَي مدينة (كيش) كان اليوم الذي استطاع فيه سيدا الحديد رؤية أطماعهما الأزلية رؤية العين. واستغلا الزيارة في اغتيال

(أنو)، وعادا من (نيبور) مظفرين، وتم استقبالهما ب(كيش) لدى عودتهما استقبال الفاتحين، وأعلننا أن مدينة (كيش) صارت عاصمة عالم (سومر) السماوي، مدينة أسياد الحديد وعاصمة مملكة ما بين النهرين السماوية الجديدة.

استعادت (إينانا) مشهد الغاصبين القاتلين، وهما يمتطيان متن تينيهما، ويتوقفان أمام شرفتها، لتهتاج الأسود لمرآهم، وتشهق (نينشوبور) بذعر وهي تتمسك بسيدتها. همت (إينانا) حينها بتحرير بطليها (سرجون) و(جلجامش)، ولكن لم ينلها من سيدي الحديد إلا نظرة عابرة سريعة ساخرة، قبل أن يغادرا مدينة (نيبور) بصحبة وحشهما المروّض. من يومها والتأر لجدها ينمو بداخلها كل يوم، ضاعفه اغتيال أبيها (إنليل) على يد المرتزقة ملكة العقارب ليصير التأر ثأرين. ولكن كان القدر قاسيا في رحمته، فأتى لها بالثأرين معًا في أرض واحدة ومعركة واحدة.

انسلت (إيشارا) كالريح من بين جسد رجلها العقرب الخامد يمينًا وأقدامه لا تزال تتشنج ببقايا عالقة من روحه، وبين حصنها الرملي المتجسد فوق الأرض يسارًا وقد بدأت ذراته الرملية تتفكك ببطء لينهار بعد تفجير نجمته السحرية بصاعقة (إينانا). اعتصرها الألم وهي تحاول تجنّب النظر لجثة عبدها وأليفها وصديقها وحارسها، وهمست بضيق وهي تقترب من جيش سيّدَي الحديد:

- ستدفعون الثمن جميعًا. في البداية (أمورو)، والآن رجلي العقرب. لن يمرّ هذا بدون عقاب.

نظر نحوها (نينازو) بسخرية، وقال لها بصوت هادر:

- هزيمة ساحقة؟

جُرّت على أسنانها، كانت تكرهه كرهها لجميع الأسياد، تكرهها كرهها لكل هذا العالم بسحرته المستغلين وأسياده المنافقين وعامته المغفلين، عالم لم يعاملها كسيده ولكنه لم يتركها كأحد العامة، عالم أخذ منها كل من كان قريبًا منها يوما ما. ستنتقم منهم جميعا، ستفني هذا العالم عن آخره، ولكن ليس الآن. لتنضم -مؤقتا- للجانب الأقوى وتنقذ نفسها من برائن هزيمة موشكة، ثم ليكن كل شيء بأوانه.

قالت وهي تحلق بجوار رأس التنين الغاضب:

- لقد نالتهم بعض الخسارات!

جاءتها صيحة من الأسفل:

- جسد جميل يا ملكة العقارب، لم تكوني مضطرة لتغطيته بالأكفان!

نظرت لقائل الصيحة السابقة، الحاكم -الملك- (زابابا) بالأسفل في مقدمة جيشه، تعجبت لقا لم ترى أثرا للسخرية في ملامح وجهه، لقد كان صادقا! ولكنها تجاوزت هذه النقطة وهي تحدد بالجيش المهول الذي كان خلفه، وما كان يلمع بين الجنود من أسلحة غريبة لم ترى مثلها من قبل، سألت تلقائيا:

- ما هذا الجيش وهذه الأسلحة؟

ردّ عليها (نينازو) بحزم ممتزج بقسوة وهو يحدد ب(نينورتا) الناهض من فوق جسد الرجل العقرب:

- إنه الحديد. ما نجح في قتل سيد الصواعق الأكبر قادر على قتل أحفاده، آخر أسياد الصواعق.

اقترب سيدا الصواعق (نينورتا) و(إينانا) من بعضهما البعض بدون اتفاق مسبق، وأمامهما وقف (سرجون) بهيئته الأثيرية يحدد في الجيش الجديد بتركيز، بينما تراجع (جلجامش) للخلف حاملاً الوصيفة التي على حافة فقدان الوعي، وهو يلقي نظرة خاطفة على جيش المرتزقة وقائدهم المارد (عسق)، والذين اكتفوا بملازمة الجدران ومراقبة ما يحدث.

قال (نينورتا) بهدوء يقطر غضبا مكبوتا:

- هؤلاء هم من قاموا باغتيال الجد (أنو)؟

صححت له (إينانا) في صورة جواب لسؤاله التقريري، وهي تعيد تذكيره بجرم سيدة العقارب التي سارعت بالانحياز لجانب ملوك عالم (سومر) الجديد:

- اغتيال الجد (أنو) والأب (إنليل)!

ظل التنين محلقا فوق حطام بوابة (نيبور) الغابرة، يكتفي بالتحليق بجناحيه، مصدرا زئيرا هادرا بين الفينة والأخرى، ويكتفي راكبه -الذي يغطي جسده بالدروع الحديدية من رأسه لأخمص قدميه- بالتحديق فيهم بصمت، بينما اكتفت (إيشارا) بخلق نجمة سحرية جديدة من رمل، وتركتها تطفو فوق رأسها كسحابة حارسة، وقد صار تاج الصواعق على رأسها يتألق متأثرا بسخطها على فقدانها للجولة الأولى من المعركة. (ربما كان تعاضلاً، فقد أفقدت سيد

الصواعق حارسته كما أفقدني حارسي. ولكن لا يوجد تعادل في قاموسي، لا يوجد إلا النصر الكامل، التعادل يعني الهزيمة، أي نتيجة بخلاف النصر يعني الهزيمة!) هكذا فكرت سيدة العقارب، وهكذا نوت على الهجوم بكل قوتها وسحرها وكأنه آخر يوم بعمرها، سواء انتصرت أم تمت هزيمتها.

لم يرَ فيم (نينازو) إلا أعداء يجب سحقهم، متمردين على حكم ملكهم الجديد ويجب قمع تمردهم، لهذا لم يكن البادئ بالهجوم، رأى أن مرأى جيشه يكفي لبث الرعب في صدور خصومه، كان يعلم أن التنين مخيف، وأن الحديد يصيبهم بالرعب، ولكنه كان يوقن أن أكثر ما يخيفهم هو وجوده، (نينازو)، قاتل سيد أسياذ الصواعق. لم يكن الأمر شخصيًا، ولكنه قد يكون إن اضطره الأمر لهذا. فعلى سبيل المثال فهم لم يقوموا بتدمير مدينته وأهله ب(أشنونة) كما فعل (آشور)، ولكنه كان حكيما وارتضى بمقابلته من أجل الصالح العام. أسياذ الصواعق -من تبقى منهم- لم يجرموا في حقه بشكل شخصي، ولكنه يقفون عقبة في طريق الحكم، وكل عقبة يجب تذليلها ودكها دكًا إن لم تخضع.

كان الملك (زابابا) يهتف فيهم بأعلى صوت ممكن:

- يا آخر أسياذ الصواعق. أنا سيد الحديد الملك (زابابا)، ملك عالم (سومر) السماوي الجديد. اخضعوا لحكم أسياذ الحديد تسلموا، اعترضوا تهلکوا ويحرقکم نار التنين وتخرقکم نصال الحديد. لا تزال أمامكم فرصة للحياة كأسياذ منعمين مكرمين، فرصة للحياة.

كان (نينازو) يتلملأ أثناء حديث (زابابا). يكره الرسمىات. ود

لو هجم بجيشه وفتك بهم عن آخرهم. اشتاق لأيام ما قبل حكمه للعالم السماوي، أيام بطشه وعنفوانه بلا حدود ولا رابط وبدون داعٍ للحكمة والرسميات. يعلم علم اليقين أن سيدي الصواعق لن يتركا ثأر جدهم، وبطبعهم الذي تسري البروق بعروقه لن يستسلموا، فلماذا الشكليات؟

صاحت (إيشارا) بسخرية لتكمل على حديث (زابابا):

- تحلوا بحكمة أبيكم (إنليل) عندما استسلم لي وسلّم لي مقاليد هذه المدينة -(نيبور)- بدون إراقة دم واحدة. الحكمة مطلوبة أحياناً.

كان (نينورتا) يفكر بسخرية في سره: (آية مدينة؟ وأي دم؟ لم تتركوا فيها مدنيًا، لقد أفنيتم أهلها عن آخرهم. قمّت بتدمير مدينة أبي وجعلتها مرتعا لعقاربك الكريهة فوق وتحت الأرض. حتى أبي (إنليل) لم ينعم بحياته واغتلموه، ولولا فضل من قوته جعله يأخذ معه -أثناء موته- روح قرينك الراعي المحتال (أمورو)، لكنتما الآن تحاربان جنبا إلى جنب كزوج من المرتزقة. ولكن فيم يفيد الكلام العاقل؟ الحرب ستقوم شاء الجميع أم أبوا. الحرب قائمة دائما وأبدا. والفوز فقط للأقوى وليس للأصدق أو للأكثر حكمة).

لم تجد (إينانا) شيئا تقوله أو تفكر فيه. كانت طاقتها كسيدة صواعق تفور بدمها وتجعلها تشعر بقوتها الجديدة تثور وتريد الخروج من عقالها والتجسد كسلاح فتاك. أيقنت أن هذه القوة توازت دهرًا فقط لتعلن عن نفسها في الوقت المناسب. وهذا هو الوقت الأكثر ملائمة منذ يوم ميلادها. وقت الانتقام من قتلة جدها

وأبيها. وقت المعركة الفاصلة والتي ستغيّر قواعد العالم السماوي كله. فمن سيخرج منتقما سيّدين له العالم كله بالولاء، وهي حرب لا مهزوم فيها، إما منتصر ظافر يتمتع بحياته وحكمه، أو مهزوم مفارق للحياة.

برقت عينا (زابابا) وهو يرمق (إشارا) وكلماتها السابقة، فكر أن هذه السيدة تجيد اختيار كلماتها حقا، فإن امتلك أسياد الصواعق بقايا حكمة تجعلهما يقبلون بأي استسلام مشروط، فقد نسفته تلك المرأة متغضنة الوجه حرشفية الجسد كالزواحف -المسخ ذو الكماشات الممزقة- وجعلتهم يرفضون أي بديل باستثناء الحرب والانتقام. لا يوجد دافع للحرب أشد من الانتقام، ولكنه أضعف الدوافع، فهو يجعل الهجوم مندفعاً لا يتمتع بالتعقل، كهجوم الأعمى أو البصير الذي يغطي عينيه بعصابة سوداء، وسيستغل هو اندفاعهم الأعمى الذي هو على وشك الحدوث الآن، والفضل الأكبر فيه سيكون لكلمات ملكة العقارب البسيطة وليس لخطبته المنمقة التي سبقتها.

أما (نينازو)، فقد كان يقلّب الأمر على كل جوانبه قبل بدء المعركة. كان يتوقع رؤية جيش يقوده اثنان من أسياد الصواعق، سيد وسيدة، ولكنه يرى الآن كيانات آخران بجانبهما، ذلك الكيان الأثيري المدجج بالدروع. (نينازو) محارب بالفطرة، يستطيع شم رائحة المحارب الحقيقي الشجاع الحكيم القوي متى يراه، وما يشمه الآن عن هذا المحارب الأثيري يفضح قدرته، إنه محارب من نوع خاص، نوع سيستمتع (نينازو) بهزيمته. بينما ذلك الضخم بالخلف -والذي يبدو أن عضلاته المتفجرة كيانا مستقل بذاته عن جسده من فرط

ضخامتها- يبدو كوحش وليس مجرد محارب. فبرغم ملامح وجهه الوسيمة، ولكن تلك النظرة التي تطل من عينيه لا تمت بصلة لنظرات السماويين. إنه ليس من نفس العالم، هذا جلي. وهذا يعني أن المعركة لن تكون كما توقع هو أم (زابابا). ووجد نفسه -رغما عنه- يُغني على القرار المشترك الذي اتخذه هو و(زابابا) بمباغثة أسياذ الصواعق أثناء معركتهما ضد ملكة العقارب. ليمتازوا بعنصر المفاجأة، بالإضافة لكونهم مرهقين خارجين من معركة ضارية، بينما هو وجيشه الحديدي في قمة نشاطهم وعنفوانهم، وصفاء بالهم ونقاء تفكيرهم وهو الأهم.

كان لزيارة (آشور) الدور الأكبر في تغيير تفكير أسياذ الحديد، فقد أيقن الاثنان فجأة أنهم بالفعل لا يمتلكان عيونا بين أرجاء المملكة، وأنهم لا يدرون عما يحدث بالبلدان من حروب وتحالفات ومكن. كما أن (آشور) غير مأمون الجانب. جعلهما هذا يعطيان الأولوية القصوى لإرسال جواسيس بشكل سريع ليكونوا لهم عيونا، فلما وصلتهم أنباء زحف أسياذ الصواعق نحو مدينة ملكة العقارب (نيبور)، والتي تقع في المنتصف بين مدينتهم (كيش) شمالاً وبين مدينة أسياذ الصواعق الحالية (الوركاء) جنوباً، أيقن الاثنان -بتفكير مشترك عسكري هجومي طموح- أنه سيكون أكثر الأوقات الملائمة للهجوم: ففي كل الأحوال سيستكمل أسياذ الصواعق زحفهم شمالاً نحو (كيش) إن انتصروا، محملين بآمال مضاعفة في النصر الكامل، بينما -إن كان النصر حليف ملكة العقارب- فلا يوجد ما يضمن انشقاقها عنهم، وبدء تكوينها لأحزاب موالية من شتى أنحاء المملكة -وأولها (الوركاء) نفسها- لتعلن نفسها ملكة للعالم السومري السماوي، أو على

الأقل ترفض الخضوع لهم. وهو ما سيستدعي في حينها تدخلا حاسما.

رأى الاثنان أن الهجوم بقلب المعركة الحالية هو الخيار الأفضل، لدحر أسياد الصواعق وواد أطماع سيدة العقارب في نفس اللحظة. هدفان بسهم واحد.. سهم من حديد!

ألقى (نينورتا) نظرة سريعة على (إينانا)، وكأنه يسألها عن رأيها، ابتسمت له برقة رغم الموقف، وقالت بهدوء أنذر بعاصفة رعدية تمر بأعماقها:

- أسياد الصواعق لا تستسلم. إنه شيء يجري بدمنا ولا يمكننا تغييره.

بادلها ابتسامتها بمثلها، شعر بالسכיئة تغمره وهو يقول لها:

- هذه حماقة. يخبرنا العقل بالاستسلام.

- هذه شجاعة. روح الجد العظيم (أنو) تغمرني الآن، أكاد أسمع همسه المحفّز لقوتي، لقد أحببته، رغم عزلته الطويلة التي جعلتني أتخيله جافيا ولكنه كان حنونا حقا. صدقت كلماته ورسالته. كان ليكون رسول العالمين لولا إنهاؤهم لحياته غدرا وظلما. لقد حرموني من الجدّ وحكمته وحنانه بعد أن وعدني بالكثير من كل هذا. ثم حرموني من الأب الذي لم أرى سواه معيّنًا في حياتي، والذي صارت حياتي لا حياة من بعده. استسلامي الآن خيانة لهما ولذكراهما، إن استسلمت اليوم فهذا بمثابة إعلان لوفاتي حيّة. تلازمي وتطمئنني أرواح أجدادنا أسلاف الصواعق ألا نهن ولا نحزن، ونبشر بالنصر أو

ميتة العظماء المخلدين.

تذكر (نينورتا) جده العظيم وهو يقود حربا ضارية ضد جميع الأسياد، يجندلهم جميعا. يرى الجبناء لا ينجحوا في اغتياله إلا غدرا كذيدن الجبناء. ثم يرى أباه -الذي علمه كيف يحارب وكيف يفكر- يستسلم من أجله، يجتبه مهانة الأسر والموت ويقوم بتسليم نفسه للمرتزقة من أجل إعطاء الحفيد فرصته بعالم آخر، بالأرض البشرية. وهكذا كانت نهاية الأب المضحّي، وهكذا وُلدت فرصة الحفيد الطموح بالعالم الآخر السفلي، حيث صال وجال بين البشر -كإله لا أقل- ليعود للعالم السماوي بخبرة وقوة وحكمة تؤهله للأخذ بعأره واستعادة حكم أسلافه، فهل يستسلم الآن؟! هذا جنوني.

غمغم مؤمنا على آخر كلمات لشقيقته سيدة الصواعق الأخيرة:

- النصر أو ميتة العظماء المخلدين.

نخر (جلجامش) وهو يصيح بغضب:

- من تحدّث عن الموت؟! سندفنهم هنا بجحور عقاربهم!

قالها (جلجامش) بدون أن يعني ما قاله حقا، كانت عيناه معلقة بالمعدن اللامع الذي يغطي دروع راكب التنين بالأعلى وقائد الجيش للأسفل. هاله حجم الأسلحة اللامعة من نفس المعدن والتي تنوّعت أشكالها بين يدي جنود الجيش المائل أمامهم. تذكر رمح الرجل العقرب والذي شقّ درع (سرجون) بمنتهى اليُسْر، ورنّ تحذير (سرجون) له في أذنه حينها: (إنه معدن الحديد الأرضي. سيشق جسدك كما لو كان ورقة شجر). وأيقن أنها ستكون معركة دموية بلا

قواعد، فَرَّاقُهُ هذا وتسَلَّتْ ابتسامة التحدّي ببطء لشفتيه.

لم يتحدث (سرجون)، فقط تبادل النظرات الصامتة مع راكب التنين، لم يبتسم، لم يتظاهر حتى بالابتسام، كان يعلم أنه مُقْبِل على أكثر معارك التاريخ قوة وقسوة ودموية. لهذا قام بتوفير كل ما يملكه من قوة من أجل استجلاب النصر، وفَرَّ كل شيء حتى الابتسامة!

اشتعلت عيون (نينورتا) و(إينانا) بشرارات البرق، وصار جسدهما يتألقان كمصدر متجسد للصواعق. كانت هذه إجابة كافية لخطبة (زابابا) الجوفاء الشكلية.

ودقت طبول الحرب، لتبدأ معركة الحديد والنار وسحر العقارب والأرض، ضد بطش البرق والرعد وسحرهما الممتزج بسحر الأثير!

الرعد

كان الجيش مُقسَّمًا لجزئين، جزء أمامي -كثيف العدد- من حملة الدروع الحديدية الضخمة والرماح الطويلة اللامعة التي تحقق أطرافها نحو السماء. وجزء آخر يرقد خلفه -أقل عددًا- من المتحررين من الدروع خفيفي الحركة من حملة الأقواس والأسهم الحديدية. وضع جميع الجنود ألبستهم ودروعهم الحديدية حصرًا، وبدأ الجيش بجزئيه من بعيد وكأنه مستطيل حديدي ضخم يبرق، يتحرك ببطء بتناغم كوخدة واحدة. يتقدمهم الحاكم والملك والمحارب (زابابا)، متجههم العيين -إذ لم يكن يُرى غيرهما من وجهه عبر الخوذة الحديدية الحامية- يرفع سيفه الحديدي البثار عاليًا، مطلقًا الصيحات الحماسية لجنوده. شعر بطيفها قبل أن يسمع صوتها، العجوز قبيحة الوجه ذات جلد الزواحف الأسود وذيل العقرب، كانت تحلق فوق مستوى رأسه مباشرة وهي تغمغم بقوة:

- لقد فقدت جيشي وأولادي، أأجد في جيشك التعويض المناسب؟
رمقها شذرا، أجاب بقوة وثقة:

- ستجدين فيهم خير حماية. وأقصى وسيلة هجوم. الحديد.

كان يعلم أنه بحاجة إليها، جيشه بحاجة إليها. خصومه لديهم نقطة تفوق واحدة، امتلاكهم لقوى من أقوى عناصر الطبيعة إن لم تكن أقواها بالفعل، الصواعق، وهو ما يمكن اعتباره سحرا بالنسبة له ولجيشه الذي يحاربون بالتكتيكات الحربية، بالمادة وتفوق الحديد. يحتاج جيشه لساحرة، وها هو يرى بطرف عينه تلك النجمة الرملية

الخماسية التي لا تفارقها وتطفو فوق رأسها. إن كان خصومه يمتلكون سحر السماء، فسيستعين بسحر الأرض وما تحت الأرض. ولتكن الكلمة الفاصلة للحديد البثار الغاشم.

اقترب منه (نينورتا) مهاجما بجرأة أقرب للتهوّر، فسارع (جلجامش) بوضع الوصيفة الفاقدة لوعيها أرضا على الرمال الساكنة، ثم ركض ليؤازر سيد الصواعق الأخير، المندفع نحو جيش الحديد والسحر، وهو يهتف بسيدته (إينانا) مشيرا نحو (نينشوبور):
- سيدتي. وصيفتك بحاجة لحماية.

نظرت لها (إينانا) بحنان لوهلة انكسرت خلالها حدة غضبها السائد، ثم أشارت بسبابتها لتخلق حولها كرة من الصواعق تقيها شر أي هجوم غادر، ثم عادت لتكشر بغضب والصواعق تتراقص بين أناملها، وهي تطير نحو التنين وراكبه، وبجانبها (سرجون) في هيئته الأثرية نصف المتجسدة، وتقول بمقت لم تجاهد لإخفائه:

- اغتلت جدي أيها الغادر!

خلقت كرة كبيرة من الصواعق بين يديها، همت بقذفها نحو خصمها، ولكن لم يكن (نينازو) من محبي انتظار الهجوم والرد عليه، فباغتها بأن استل خنجرا حديدا من نطاقه، وقذفه بمنتهى القوة والسرعة نحوها قاصدا قلبها بدقة خرافية. دفعها (سرجون) جانبا وقد كان شغله الشاغل هو مراقبة كل سكة يقوم بها (نينازو) والتنبؤ بأي هجوم مباغت وغادر؛ إذ استنتج أن هذا هو أسلوبه من طريقة اغتياله ل(أنو). أبعدا عن مرمى الخنجر بقوة جعلتها تختل وهي تطير جانبا، في نفس اللحظة التي غير فيها من كثافة ذبذباته

المادية، فصار جسدا أثيريا كاملا غير مادي، واخترقه الحديد وكأنه غير موجود، فأكمل الخنجر مسيرته لمسافة طويلة قبل أن يميل ليسقط منغرسا بالرمال الذهبية، بينما اختفت كرة (إينانا) مع تَشْتَّت تفكيرها، فقال لها (سرجون) وهو يستعيد تجسده:

- لا تفقدي تركيزك يا سيدتي. سيعتمد خصمك على هذا.

أصدر (نينازو) الأمر للتنين (موشوسو)، فخلق مرتفعا -ومقتربا- من (سرجون) و(إينانا)، ثم خاطب التنين بعقله قائلا:

- لقد فعلناها من قبل. أحرقنا سَيِّدًا للصواعق. لنفعلها مجددا.

اكتفى (موشوسو) بزمجرة أعقبها بنفث سيولًا من نار باتجاه خصميه. لقد صار التنين قليل الكلام التخاطري حقا، ربما هذا حال من يُبْعَث حيًا للمرة الثانية!

رفع (نينورتا) ذراعيه للأعلى فتجسّد فوق رأسه زوج من الأعاصير قوامها الشرارات والصواعق. حرك ذراعيه فانقض إعصارا البُزُوق على جيش الحديد. تراجع (زابابا) وكذلك فعل جنوده، وتقوقع الجميع منخفضا كل منهم على إحدى ركبتيه، ومُخْنِيًا رأسه ليحتمي جسده بالكامل بدرعه الحديدي. تكتيك مُسَبِّق مُتَّفَقٌ عليه بلا شك. هوت كتلتا البرق الحي على الجيش، زلزلت أجسادهم وحاولت إسقاطهم للخلف، كان للحديد تأثير السحر في صدّ الصواعق، بينما كان لقوتهم وإرادتهم وحسن تدريبهم الأثر الأكبر في عدم اضطرابهم وسقوطهم رغم قوة الصواعق. تزعزعت الأجساد للخلف قليلا رغما عنهم ولكن لم يسقط أحد. وعمّ المكان صوت معدني هادر لوهلة، نَجَمَ عن تلاقي الكهرباء بالحديد. رفعت (إيشارا) أحد حاجبيها

بإعجاب وهي تقول:

- جنود شجعان. أهنئك أيها الحاكم.

قال بقوة وهو يعدو نحو (نينورتا) بجرأة:

- ملك ولست حاكما أيتها الساحرة.

هزت كتفيها بلا مبالاة وهي تراقب انقضاوته ومن خلفه جنوده،
رافعين دروعهم ومستلين سيوفهم وأقواسهم، همست مبتسمة:

- ملكة لا ساحرة.. ملكة العقارب وما تحت الأرض.. والصواعق إن
كنت لا تعلم!

ثم قرنت قولها بأن خلقت إعصارا مزدوجا مماثلا للذي
صنعه (نينورتا) منذ قليل، ثم هوت بهما على جسدي (نينورتا)
و(جلجامش) المهاجمين باندفاع. اتسعت عينا (زابابا) بذهول وهو
يرى الصواعق تأتي من اتجاه لم يكن يتوقعه على الإطلاق، من خلفه
وليس من أمامه. لمح تاج رأس (إيشارا) الذي تألف من تشابك بَرَاقٍ
من البروق والشرارات الفضية، وقال لنفسه بذهول:

- سيدة صواعق في صفنا؟ هذا يغير الكثير!

رأى (نينورتا) الصواعق المندفعة نحوه فصنع ستارًا فضيا من
الشرارات صدّ به الهجوم، أضاء وجهه مع وهج انعكاس تلاقي البرق
بالبرق. ثم خلق سيفًا من البرق أمسكه بين أصابع يمينه، وسمع
(جلجامش) يهتف به من جواره:

- أريد سيفًا مثله!

نفث التنين النيران من منخرينه، انطلق لسان مهيب من النار هوى على (سرجون) و(إينانا)، جعل (سرجون) جسده شفافا من جديد ليتقي النيران، بينما قابلت (إينانا) النيران بأن ضمت قبضتيها فخلقت الساتر الفضي المماثل لساتر (نينورتا)، تلقى الساتر الفضي النيران ونجح في صدها، وإن بدأ لونه يميل للسواد وكأنه يحترق، قبل أن تخفت النيران ويتهوى الستار كرماد متفحم. استعاد (سرجون) تجسده، أرسل بالخطبة لعقل سيدته. ثم قبض الأثير بيديه من جديد، وأعاد استخدام خطته السابقة الناجحة ضد جيش العقارب الذهبية، هزّ يديه وكأنه ينفذ شيئا عالقًا بها بين الأصابع، فتوثر الأثير المحيط -والحامل- للتنين وراكبه، ولكن فوجئ (سرجون) بخصميه لا يتأثران، ظل التنين صامداً وهو ينقض عليه مباشرة، وراكبه (نينازو) ثابتا كجبل على متن (موشوسو)، يخرج سيفاً حديدياً من خلف ظهره، ويقف بقدميه فوق ظهر التنين، ثم يحب -محلًا كسهمٍ مقدمته للأمام- نحو خصمه (سرجون) مستغلاً الجاذبية كقوة دفع، وقوته الجسدية كمؤجّه.

كانت الانقضاضة مفاجئة وسريعة ل(سرجون)، ولم يكن قد فاق بشكل كامل من صدمة عدم تأثر خصميه بسحر التلاعب بالأثير الذي يتقنه. فسارع بتخفيف كثافة جسده، وهو يسمع رسالة (موشوسو) التنين التخاطبية الساخرة بعقله:

- لا سُلطة للأثير على جسدي. لقد غادرت عدة مرات في حيواتي فلم أعد تحت سيطرته. تحررت منه. كما أنه لا تأثير للأثير -أيضاً- على جسدي مغطى بالحديد بالكامل كجسد السيد (نينازو). لا فائدة من ألعيبك الطفولية اليوم أيها المهرج.

صحيح أن جسد (نينازو) المندفع كسهم حي نفذ من جسد (سرجون) الشفاف، ولكنه لم يكن قد استعاد كامل شفافيته، فشر بكيانه كله يرتج وهو يحاول السيطرة على وعيه، وجسده يتذبذب في تعاقب ما بين التجسد الكامل والاختفاء. فانقض عليه التنين (موشوسو) مباشرة، توقف أمامه، وظل ينفث النيران بلا توقف، موقنا أنه هكذا يضطر (سرجون) للبقاء في حالة اللا تجسد، وهو ما لا يستطيع (سرجون) فعله بسهولة الآن وهو مضطرب هكذا. فاضطر (سرجون) للمحاولة للحفاظ على شفافيته، ولكنه شعر بنفسه يفشل رغما عنه، وبكثافة جسده تزداد ببطء نحو التجسد، وهو ما يعني الموت احتراقا.

رمت (إينانا) جسد (نينازو) -الذي استكمل اندفاعه نحوها طائرا بعد اختراقه لجسد (سرجون)- بعدة صواعق محدودة اهدت إليها كوسيلة دفاع سريعة، سارع (نينازو) بالتقاط درعه الذي كان مثبتا بظهره ووضعه أمامه كواقي من الصواعق. لم تفهم (إينانا) كنه هذا المحارب، فبخلاف جسده الضخم يبدو كأحد العامة، لا يمتلك سحرا ولا قوة لأحد العناصر الأساسية، بدا لها مهرجا يقوم بحركات جسدية لا أكثر، وأن نقطة تفوقه هي التنين والحديد فقط لا أكثر. ولكنها الآن -ومع رؤيته لهجومه الساحق السريع- شعرت بالخوف، هذا المحارب يملك أكثر بكثير مما يمتلكه أغلب الأسياد. إنه يستمتع بالحرب ويجبر جسده على التصرف وكأنه يلعب وليس على حافة الموت!

كان على مقربة من جسدها، ورأته يرفع يده من خلف درعه -الذي

امتص صواعقها- لتحمل خنجرا حديديا. الحديد الذي تعلم جيدا أنه قاتل. فكرت مرة أخرى كيف يمكنه التحرك بمنتهى السلاسة وجسده بالفراغ، رغم أنه يبدو جليا عدم قدرته على الطيران، إنه فقط يندفع للأمام بجرأة. وهنا، أتها الفكرة. إنه لا يطير. هذه نقطة ضعفه الآن -وعلى هذا الارتفاع- وهو ما يجب أن تستغله.

ولكن عليها تفادي نصل الخنجر الحديدي قبل هذا كله!

قصد (نينورتا) الانقضاض على ملكة العقارب، والتي لم تدخر جهدا في الاستعداد لهجومه، بينما شعر (جلجامش) بسيف من برق يلمع بين أصابع يديه، زادت حماسه وهو يميل جانبا ليشتبك جسديا مع (زابابا)، ملك (سومر) السماوية الجديدة. دار نزال فردي بين التنين (موشوسو) وبين القائد الأثيري (سرجون)، في حين كان (نينازو) الطائر قاب قوسين أو أدنى من غرس نصل خنجره الحديدي بقلب (إينانا).

صلصلة تحت الثرى

انحرفت ملكة العقارب (إيشارا) يمينا على نحو حاد لتبتعد عن جيش (زابابا)، بدت دعوة غير معلنة ل(نينورتا) لنزال فردي لطالما تاق إليه، وملامح وجه أبيه الحبيب (إنليل) ترتسم في ذهنه، مذكرا نفسه أن (إيشارا) هي السبب المباشر في قتله. فمائلها في الانحراف ليطير يسارا بسرعة ويتوقف أمامها مباشرةً وجها لوجه، جاهلا أن (إيشارا) كانت تلقي نظرة خاطفة على الأطلال الهائلة لجثمان رجلها العقرب، وذهنها يسترجع -أيضا- جسد الراعي المحتال الذي قضى عليه (إنليل) بصاعقة مباشرة قبل موته، لدى ملكة العقارب ثاران ضد سيد الصواعق الأخير. لهذا لم يتحدث أي منهما وبدأ نزال دافعه نيران ثار متأججة من الطرفين.

بدأ (نينورتا) من حيث انتهى منذ قليل. كان قد استنفذ كل طاقته أثناء انقضاضته النهائية على الرجل العقرب متحولا لكتلة طائرة غاشمة من الصواعق، الانقضاضة التي اخترقت رأس خصمه وأذابت خلايا مخه. (الزاجرة) كما كان يسمع أباه (إنليل) يصفها عندما قام بها كبيرهم السيد (أنو) إبان حرب الأسياذ الدموية الأولى، وهو الاسم الذي شاع على الألسن بعد انقضاء المعركة وانتصار أسياذ الصواعق، والتي تميزت بقدرتها على تحقيق دمار لا حد له ولكن في بقعة محددة، وليس دمار غاشم مهلك يصيب الأصدقاء والأعداء معا.. وهكذا أعاد فعلته من جديد؛ ممنيا نفسه بإنهاء المعركة باكرا بالهجوم بكل قوته. كان يعلم أن زاجرة ثانية ستكون مستنفذة لقوته بشدة، ولكنه رأى جده (أنو) يقوم بها ثلاث مرات متتالية بدون أن

يبدو عليه الوهن. كم كان جده جبارا حقا، ولكنه سيد للصواعق أيضًا لا أقل. آخر أسياذ الصواعق.

وجدت (إيشارا) جسد سيد الصواعق يدور حول نفسه بسرعة متسارعة باضطراد حتى رآته يصبح إعصارا من صواعق وشرارات متألقة، شمس فضية تائرة تحركت بسرعة لتهوي على جسدها. ابتسمت بطرف فمها، كانت قد امتصت كل ما تم كتابته عن قدرات أسياذ الصواعق إبان احتلالها لمدينة (نيبور) ذات المكتبة العامرة، وهو ما ساعدها على الإبقاء على (إنليل) أسيرا من قبل، وهو ما سيساعدها على هزيمة ابنه الآن. ربما كانت سيدة صواعق حديثة العهد، ولكنها مسلحة بما يضاهاى الخبرة، مسلحة بالمعرفة.

دارت حول نفسها بسرعة بالتزامن مع تفجر سطح الرمال تحتها ليسفر عن فراغ احتله عدد يسير من العقارب السوداء متوسطة الحجم، انسلت بسرعة للأسفل بمجرد صدور صوت فرقة الرعد لتختفي بالفراغ السفلي، وبينما يقترب الهدير منها بمنتهى السرعة كانت تتوارى خلف أجساد العقارب، وهي تتحكم بها بحركات أطراف أناملها بالعقارب كدمى ماريونيت تجذبها خيوط غير مرئية قوية وسريعة. تكدست أجساد العقارب لتكوّن تلاً أسود اللون فوق رأسها، رثق الصدع الذي كوّنهُ انفجار سطح الأرض. ثم اكتفت بالتقوقع في مكانها السفلي في انتظار انقضاء قوة انقضاة سيد الصواعق التي لا يمكن صدها بأية وسيلة مذكورة بأي رقيم، الزاجرة التي لم ينجح سيد في الخروج منها حيًا. لذا يكمن الحل ببساطة في التسليم بقوتها والفرار من وجهها، والأكثر أهمية هو سرعة الهجوم المضاد بمجرد انقضائها، إذ أنها تجعل سيد الصواعق ضعيفا بعض الشيء

بعدها للحظات، خاصةً وأنها المرة الثانية التي يقوم بها خلال هذه المعركة.

دوى انفجار قوة الصواعق المُرْكَزَة فوق تل العقارب الحية، فتحوّلت لأجساد محترقة في لحظة إثر مرور القوة الكهربائية بها، وتناثرت الرمال نحو السماء متحدية الجاذبية، قبل أن تدور حول نفسها خالقةً عواصف رملية محدودة. وصوت الهدير يدوي بفرقة هائلة دامت لجزء من الثانية قبل أن يعم صمت مهيب لم يشقه سوى صوت صفير زوايا الرمال التي صنعتها الكهرباء بالأثير، تاركة كتلة ممزقة من مزيج من حراشف وقشور سوداء وأطراف كلابات ومخالب، أشلاء جثامين قطيع عقارب (إيشارا) المخلص لحد الانتحار.

وبينما يعود جسد (نينورتا) لتجسده الطبيعي بادرت (إيشارا) بتفعيل نجمتها الرملية السحرية التي انبثقت مجدداً بين السحب، فظلت تومض بشكل متقطع بأضواء صفراء ذهبية إيذاناً ببدء هجوم سحري عنيف جديد. كانت (إيشارا) تستغل الآن قدراتها السحرية كمشعوذة والتي اقتنصتها من المشعوذ (إيرا كال) من قبل إبان معركة (ماراد)، فاستخدمت سحر الكينونة ضد خصمها اللاهث.

فكّر (نينورتا) ساخطاً من فشل انقضاضته، لا يوجد أمامه سوى حل واحد. لا يوجد لديه فضل من القوة -الآن- لمواجهة قوى مثل التي سيواجهها؛ يحتاج لبضعة ثواني على الأقل لاسترداد قوته وطاقته إثر الزاجرة الثانية. لم يجد بجعبته أفضل من محاكاة خطوة ملكة العقارب السابقة. الكَرّ المؤقت من وجه الإعصار. ولكنه

لم يجد ملاذا للفرار إلا نفس ما المكان الذي تجتم به ملكة العقارب الآن. تحت الأرض. مملكتها.

استعادت ذاكرته موقفا مماثلا إثر قتاله السابق ضد ملكة العقارب وراعيها المحتال بمعركة (ماراد)، عندما تم سجنه تحت الأرض وكاد يلقي حتفه لولا اضطراره للفرار من المعركة بأسرها والاعتراف بالهزيمة لأبيه الراحل (إنليل). ويبدو أن (إيشارا) استرجعت الموقف السابق؛ إذ أطلقت ضحكة مجلجلة وهي تتابع صاعقة (نينورتا) المحدودة التي فجرت الأرض أسفله، وتابعته بجذل وهو ينزلق للأسفل ليستقر أسفل الرمال، خالقًا ستارا من البرق فوق رأسه يقيه أية محاولة غادرة من تلك الزوابع الرملية السحرية تتجه بها نحوه تحت الترى. ثم غمغمت وهي تنقض عليه بقلب الظلام:

- أهلا بك في عالمي!

كان (نينورتا) أعمى بالكامل. ظلمات تحت ظلمات جعلت الرؤية غير ممكنة. بينما انقضت (إيشارا) بسهولة متفوقة بقدرتها الفائقة على الرؤية بقلب الظلام.

اجتاحت الثقة (إيشارا) وهي ترفع ذراعيها لفوق مستوى كتفيها بقليل، وراودها شعور بيقين النصر وهي تعلم أن خصمها أعمى تماما الآن. امتدت من أطراف أصابعها خيوط من برق ورمال، عشرة من الخيوط التي تألف كل منها من مزيج من لون البرق الفضي ولون الرمال الذهبي، أجنحة من الذهب والفضة تألفت فوق رأس ملكة العقارب، وظلت تتراقص حول نفسها كدوامات تخب البصر وتنعكس على حراشفها السوداء المقيتة، هذا لمن يملك البصر بقلب

ظلام ما تحت الثرى.

غمغمت بشيء من الجذل وهي تلاحظ تخبط حركة (نينورتا) بقلب الظلام:

- تستحق خاتمة عنيفة مثل هذه.. سأريك هجوما لا يمكن صده.. هجوم الأرملة.

لمح (نينورتا) خيوط الذهب والفضة تتلأل للحظة بقلب الظلام فتثيره جزئيا، قبل أن يراها تنقض عليه مباشرة كأسواط جالدة. ولم يكن بحاجة لتحذير ليتيقن أنه هجوم امتزجت به قوة الصواعق بسحر الرمال. فكر لوهلة أن (إيشارا) قد نقلت الصراع لمرحلة جديدة، مرحلة تستخدم فيها كل قواها، مرحلة تحارب فيها بمنتهى الأريحية بعقر دارها تحت الأرض. أو هكذا كانت تظن!

هسهست الأسواط وهي تنقض على (نينورتا)، مخلقة في إثرها أضواء مبهرة تناقضت مع كآبة الظلام السائدة. ولكن ما ظنته (إيشارا) من تخبط خصمها (نينورتا) بالظلام كان وهما؛ لقد كانت حركته المستمرة حول نفسه ليست إلا تفعيل لقوة خلق الغمام بشكل مركز. وهكذا، وفي جزء من اللحظة، تكون الغمام فوق الرؤوس. لم يحتاج سيد الصواعق للرؤية لكي يخلق ستارا من السحب الثقيل فوقها، تعامل مع الظلام وكأنه عالم بأكمله، واتجه بسحبه المحملة بالمطر صوب السماء، سماء عالم (إيشارا) السفلي، ولكنها لم تكن سحبًا من النوع المألوف، لقد كانت سحبًا حمراء دامية استطاعت (إيشارا) أن تلمح السائل المغلي بداخلها يتوق للتحرر. اتسعت عيناها بهلع وهي تدرك أنه جعلها تشعر بتفوق زائف منحه الوقت لتكوين

هجوم ساحق عليها بعقر دارها وظلامها. وبينما كانت أسواط هجوم الأرملة تجلد جسد سيد الصواعق، أطلق من بين أنامله السنة من برق باتجاه السحب النازفة، وهو يهتف بخشونة:

- تذوقي قطرات المطر المسجورا!

تراجعت بهلع والسحب تهتز قاذفةً مكنوناتها من مطر متقد كالحمم. لم تقرأ عن هجوم مثل هذا من قبل. توقعت الأسوأ وتجهزت لصدّه، ولكنها لم تتوقع أبدًا أن يقوم سيد الصواعق الأخير بخلق هجوم لم يقم به أي سيد للصواعق من قبل. ورغما عنها تذكرت اللحظة الأخيرة في حياة أبيه (إنليل)، عندما كان أسيرها وعلى وشك أن يتم إعدامه، لقد باغتها -هي وراعيها المحتال- بهجوم خاطف يائس مثل هذا، هجوم استطاع به أن يأخذ روح الراعي المحتال معه لعالم (إرالو) السفلي. ولكن حتى ذلك الهجوم الغابر الغادر لم تكن أمطاره إلا ماءً، ولكن مطر من حمم؟ هذه سابقة حقًا يا سيد الصواعق!

استعاد (نينورتا) حديثا سابقا له مع أبيه (إنليل) عقب حرب الأسياذ الدموية الأولى، عندما سأل أبيه إن كان بإمكانه -يَوْمًا ما- خلق هجوم خاص به لم يقم به سيد للصواعق من قبل، أجابه أبوه أن هذا ممكن بالفعل، ولكن لا ضير من تعلّم جميع هجمات أسياذ الصواعق والتدرب عليها بإتقان، ثم بعدها يبدأ البحث في تقنيات جديدة للهجوم. ورغم عدم إتقانه لجميع هجمات أبيه وجده، ولكنه صار يعلم الآن -من خط سير النزال وخطواتها الاستباقية- أن ملكة العقارب تحفظ جيدا كل ما قام به أسلافه من هجمات، وحضرت

-مسبقًا- دفاعا لكل هجمة. لذا لم يجد بُدًا من خلق هجوم جديد لم
يقم به أي سيد للصواعق من قبل.

شعرت بالقطرات تسقط على جسدها فتذيب كل ما تمسه،
فتراجعت للأسفل لتخترق نفقا سفليا صنعته بأقصى ما امتلكت من
سرعة غريزية محبة للحياة، وتوارت أسفل أسفل الأرض تكاد تولول،
وغطاؤها الحرشفي القبيح ينز دخانا ويصير أكثر قبحا. تتألم أكثر
من مباغتتها بالهجوم وليس من إصابات الخطيرة.

أصاب جسد (نينورتا) زوج من سياط الذهب والفضة قبل أن
تتلاشى باقي الأسواط مع تلاشي إرادة خالقتها (إيشارا) في
استكمال الهجوم، ولكن كان أثر الضربتين شديدا بدرجة لم يتوقعها
على جسده، فارتد للخلف ليرتطم بجدار رملي لم يكن يراه، وأنت
عضلات جسده كلها في اعتراض على هذه الضربة الغاشمة وهو
يسقط على ظهره، وخياله يرسم له سيناريو أسود في حال كان قد
تلقى كل الضربات على جسده. كان سيتمزق إربًا.

لقد كانت مقامرته محفوفة بالخطر باستخدام المطر المسجور
أثناء هجوم الأرملة، ولكنها مقامرة حققت هدفها، وها هي (إيشارا)
تفر بقلب نفق سفلي تجر أذيال رعبها وألمها وبقايا كرامتها، ولكنه لن
يتوقف عند هذا، سيطاردها تحت الأرض، قلب مملكتها.

اعتدل بسرعة، أخذ نفسا عميقا متجاهلا آلامه الجسدية، ثم حلق
باتجاه مدخل النفق، معتمدا على الظلال الحمراء الشبحية لمطر
الحمم، والتي أعطته رؤية شحيحة ولكن كافية لينجح في تتبع
(إيشارا)، قاصدا ملاحقتها بمنتهى الجرأة. ولكنه فوجئ بقطيع من

العقارب البيضاء الشفافة المضيئة تخرج من مدخل النفق الذي توارت بقلبه للتوّ. تراجع بمرونة وهو يركّز النظر في هذه المخلوقات العجيبة التي لم ير مثلها من قبل، والتي أضاءت المكان كله بنور أبيض قوي كأقمار متحركة، فجعلت الرؤية ممكنة وكأنهم بمنتصف النهار. عقارب يبلغ حجم الواحد منها حجمه، عقارب مجنحة، لكل عقرب زوج من أجنحة بيضاء كالثلج تتجه للأعلى ولا تكف عن الخفقان لترفع أجسادها نحو السماء، سماء ما تحت الأرض. ولما ضاعف من تركيزه لاحظ أن الأجنحة كانت من ثلج بالفعل، بل كانت أجساد العقارب نفسها من ثلج، عقارب جليدية مجنحة انبثقت من مكان فرار سيدتها بالعشرات.

حاول أن يقي نفسه شرّ هجماتها ولكنه لاحظ أنها لم تتجه نحوه، بل استهدفت كلها سحبه الحمراء النازفة مطرا مسجورا، وصارت تصطدم به الواحد تلو الآخر بفدائية، فيتفجر سطحها على الغمام انفجارا يمتزج به الجليد والنار في رقصة مميتة تنقضي بانقضاء كليهما. أطفأ الجليد -المتفجر ماء- اللهب المحموم بقلب ظلل الغمام. وخلال لحظات لم يعد لمطره المسجور أي وجود بعد أن أخدمته انقضاة عقارب (إشارا) الجليدية من منبعه وأبطلت هطوله.

ظهرت (إشارا) على الفور مجددا وهي تصرخ بمزيج فريد من السخط والنقمة والجنون والرغبة في الانتقام. لمح جسدها وقد صار كتلة مقززة من الحراشف الممزقة كهلام أسود، تعلوها رأس عقرب لا السيدة العجوز السابقة. لقد اكتمل تحولها، وصارت مسخا مشوها ولكن -والأهم- راغبا في الانتقام أكثر.

كان صوتها رفيعا أشبه بالصرير وهو يتردد بالمكان كله لتقول
أصداؤه:

- أمعن النظريا سليل أسياد الصواعق؛ سترى الليلة الداجية!

توثر (نينورتا)؛ فأَيّ ظلام قد يكون أكثر سوادا مما هو فيه؟! ربما
أضاءت له عقاربها الجليدية المكان كأقمار متوهجة لوهلة، ولكن عاد
الظلام ليسود بمجرد اختفائها. وها هي ملكة العقارب والصواعق
تنهض كالعنقاء من الرماد، تنهض مسخا يتألم راغبا في الانتقام
بوحشية. هي واهنة الآن، هجومها هذا نابع من يأسها أكثر من عقلها،
بإمكانه استخدام الزاجرة الآن وسحقها في لحظة، ولكنه استخدم
كل قوته في الزجرتين السابقتين، ثم هجوم المطر المسجور الذي
خلقه بخياله، لا بد له من التقاط أنفاسه قبل أي هجوم جديد وإلا
استنزف جسده ووجد نفسه يسقط بلا حراك مغشيا عليه، وهو
ما يعني مصرعه في بضعة ثواني أمام (إيشارا) إن استطاعت
-بوسيلة ما- صد هجومه المستقبلي. لهذا أثر الدفاع رغما عنه.

تألقت النجمة الرملية السحرية لوهلة قبل أن يخبو ضوؤها تمامًا.
شعر (نينورتا) بالظلام يكتنف روحه قبل المكان. ساد ظلام حالك
شديد الوطأة. حاول تحرير شرارات من برق من بين أنامله فلم
ينبعث عن الشرر أي ضوء. مجرد خيوط متعرجة من فضة لا تمت
بأدنى صلة للبرق الذي اعتادت أطرافه خلقه. زاد توتره مع شعوره
بالعمى مضاعفًا. رئت ضحكات رفيعة ساخرة تحت الأرض تحمل
توقيع (إيشارا). حاول تجاهلها والتفكير في محنته الحالية. ولكنه
بوغت بجسده يهوي لأسفل وكأنه يسقط من حالق. خانه التراب

أسفل قدميه واستحال شيئاً رخوا لم يتحمل ثقله. وعندما حاول أن يحلق للأعلى لم يشعر إلا بسقوطه يزداد سرعة. ألمه صدره وضافت أنفاسه وحاول أن يحلق للأعلى أكثر، فقط ليشعر بالسقوط يزداد وطأة، وبروحه تكاد تب من معدته صعوداً لحلقه. كل هذا السقوط بقلب ظلام أشد سواداً من الخطيئة.

((لن أسقط.. أنا سيد للصواعق، آخرهم وأقواهم.. مكاني بالسماء فوق الغمام وليس تحت الثرى.. أترقى لأعلى ولا أسقط لأسفل أبداً.. تريدان جسداً تسلطين عليه سحرك ليسقط حتى الموت، سأقوم بإعطائك واحداً.. ولكني لن أسقط!))

وهكذا.. فكر للمرة الثانية في اختراع هجوم جديد يليق بالمقام. كم كان أبوه وجده ليفخران به في هذه اللحظة؛ لم يعد يخشى محاربة خصمه بعقر داره، بل صار ينصب له الفخاخ أيضاً هناك. كما صار سيداً للصواعق يخلق وسائل هجومه بنفسه، وليس مجرد مقلد كما نصحه أبوه من قبل.. كان يحارب الآن وهو يشعر باطمئنان من يتدرب بمضمار سلمي، وليس من يواجه سيدة صواعق وملكة عقارب ومشعوذة في آن واحد.. ((وربما اكتسبت من الخبرة ما جعلني قادراً على التطور بسرعة.. خبرة الحروب وخبرة الخسائر المتتالية أنضجتني بأفضل مما كان ليحدث لو كنت انتصرت بكل معاركي السابقة!)) ابتسم لهذا الخاطر وخسائره المتتالية تتعاقب بمخيلته وجوهاً مبتسمة.. وجه جده (أنو)، ثم أبيه (إنليل)، ثم حبيبته المحاربة ذات الهالة الإلهية.. ثم وجهه هو شخصياً وهو يفرّ بذعر من سجن الراعي المحتال تحت الأرض بمعركة (ماراد) التي خرج منها مذلولاً مدحوراً..

انفصل بذهنه الآن عن كل المكان تحت الأرض، تمامًا كما يفعل حين ينتقل من عالم الأسياد السماوي لعالم البشر.. وتخيل نفسه جالسًا بمهابة بين الغمام، مُسَقِّطًا على مكانه السابق أسفل الأرض جسداً آخرًا.. انتقال آني حدث بسرعة البرق -سرعته كسيد للصواعق- ليصبح فوق الأرض والسحاب، بينما أناب محله جسداً هامدًا يبرق كالفضة يشبهه تمام الشبه، ولكن بلا روح.. فزاعة من البرق..

وجد (نينورتا) نفسه -في مكانه الحالي- يحدق في النجمة الرملية السحرية مباشرة.. كثر وهو يشير نحوها بأصابعه، فانطلقت خيوط البرق تهاجم أطرافها وتمحوها في لحظة فتصير ذرات من تراب ذراها الريح العاصف.. وبينما كانت نجمة (إيشارا) تتلاشى.. و(إيشارا) نفسها تشعر بهذا وتصيح بسخط يائس تردد بين طبقات الأرض الجوفية.. خفض (نينورتا) بصره للبقعة التي كان سجينها منذ قليل، حيث كان ينازل ملكة العقارب، والتي استحالت مسخًا مشوها بجسد شبه ممزق الآن.. واستنفر كل إرادته وطاقته وهو يخلق عالم مستقل من البرق الراجف والرعد القاصف، غزا كل ما تحت الأرض، فلم تجد (إيشارا) -المستنزفة الآن والتي لم يعد لديها نجمتها الرملية السحرية- الوقت أو الطريقة التي تتفادى بها هجومًا ساحقًا مثل هذا.. وبينما تمزق البروق جسدها، وتطبل الرعود فوق بقايا جثمانها المتطايرة في كل حدب وصوب، كان جسد (نينورتا) يضيء كلسان متجسد من برق، وهتافه يجلجل في الأرجاء:

- لتكن مملكتك مقبرتك!

رقصة الأثير

لم يتوقف التنين (موشوسو) عن نفث دفقات من اللهب العاتي في وجه وجسد ساحر الأثير (سرجون). شعر (سرجون) بكثافة جسده تزداد ببطء رغما عنه، وهذا يعني الخروج من التجسد الأثيري والعودة للتجسد المادي، مما ينتهي بجسده وقد استحال جثمانا من رماد متفحم؛ إذ يبدو أن نيران التنين لا تنضب.

ذهنه مكدود -كجسده- إثر هجمة (نينازو) السريعة الغادرة. فكَر (سرجون) أن هذين السيدان -التنين وممططيه- متشابهان لأبعد الحدود، أو ربما جعلتهما سنين الاقتران التخاطري متقاربين. لا يملك أدنى شك أنهما متخاطران؛ فهجومهما متزامن لدرجة لا يمكن أن تصدر عن زوج منسجم من المحاربين مهما بلغت درجة توافقهما. رأى أن الأفضل هو إعطاء بضعة ثواني لذهنه ليصفي تفكيره، فقام بتفعيل الهالة الأثيرية الحامية، فتألقت حدود جسده الخارجية بلون فضي ساطع، بينما استكمل تجسده الفيزيائي مطمئنا لتأثير الهالة التي لا يمكن لأي من عناصر الطبيعة المدمرة أن تחדشها، حتى ولو لفترة مؤقتة من الزمن.

زأر التنين وهو يرى نيرانه تنعكس على الخيوط الفضية كما ينعكس شعاع الضوء على سطح مرآة. أغضبه هذا أكثر، فتوقف عن نفث لهبه للحظات، استجمع خلالها كل طاقته، ثم هدر الأثير ذاته بزئيره وهو ينفث النيران بشكل أكثر قوة وتركيزا وتدميرا في نقطة واحدة فقط لا غير، قاصدا كسر شوكة هالة (سرجون) بعقبها. لحظات وتعافى (سرجون) بشكل كامل. هنا، بدأت النيران

تتجه طوعًا نحو خيوط الهالة الفضية الحامية ل(سرجون)، والتي بدأت تمتص النيران بدلًا من عكسها. توقف (موشوسو) عن إطلاق نيرانه، واكتفى بالتحليق لمستوى أكثر ارتفاعًا. بدأ وهج الهالة يخفت تدريجيا مع استعادة (سرجون) لكامل تركيزه، ولكنه أيقن أن معركته لن تكون يسيرة أمام التنين؛ فتوقف التنين عن الهجوم بالنيران لم يكن عبثًا؛ لقد فهم أن الهالة بدأت تُستخدَم كمخزن لقوة النيران الهجومية - مع احتمالية استخدامها كسلاح تفريغ للطاقة هجومي ناري رادع- فأوقف هجومه على الفور. ابتسم (سرجون) بركن فمه جذلا، فهو يعشق التحديات.

كان التحدي الرئيسي أمامه هو عدم تأثر التنين بالتلاعب بالآثير، مما يفقده أغلب فعالية هجماته، ولكن جعلته ليست بالفقيرة لحد الاكتفاء بسحر الآثير؛ فما زال لديه الكثير. بينما لم يبدو أن التنين (موشوسو) يملك سلاحا هجوميا غير النيران، فاكتفى بالتحليق ف مواجهة (سرجون) لا يلوي على شيء؛ انتظارا لتلاشي هالة الساحر الأثيرية الفعالة.

تراجع (سرجون) مباعدا ما بين يديه، فتكوّنت نجمة خماسية شفافة متألقة خلفه، انبثقت في أركانها الأربعة بالتتالي أربعة أشكال هندسية مثلثة مختلفة، أشكال تمثّل عناصر الخلق الرئيسية الأربعة: الهواء والأرض والماء والنار. ثم ظهر شكل مختلف عند قمة النجمة الخماسية، دائرة صغيرة تتخللها خطوط كثيرة، دائرة تمثّل العنصر الخامس، العنصر السماوي، زفير الآلهة: الآثير.

وكانَّ التنين يرى ويفهم ما يراه، قال في عقل(سرجون) ساخرا:

- الأثير مجددا؟ الغباء هو تكرار نفس الهجوم منتظرا نتيجة مختلفة!

تلاشت النجمة الخماسية لتختفي معها المثلعات الأربعة، بينما تضخمت دائرة الأثير لتصبح في نفس حجم النجمة الغابرة، تضخمت حتى احتوت جسد (سرجون) احتواء الرحم للجنين، وابتسم (سرجون) بقسوة وهو يقول لخصمه:

- ربما لديك خبرة جيدة في التعامل مع الأثير، خبرة تماثل خبرتك في التعامل مع النيران وخلقها، ولكنك حتما لا تملك أدنى علم بمستويات الكينونة السبعة والتي ليس الأثير إلا واحد منها. إن كان الأثير خامس عناصر الخلق كما تعرفه وتفهمه، فهو سابع مستويات الكينونة كما تجهله. وإن كنت تفهم الأثير من جهة فسترى أنك جاهل تماما به من جهة أخرى.

صارت الدائرة الشفافة المحيطة ب(سرجون) تومض بوتيرة منتظمة تجعل الأثير حول التنين يتخلخل، يتم تفريغه من وجوده ويستحيل عدما. بدلا من التلاعب بالأثير قام (سرجون) بامتصاصه وتفريغ الوجود حول (موشوسو) منه. شعر التنين بالتأثير سريعا دراميا وكاسحا. فكما تشعر السمكة التي لفظها اليم لليابسة شعر التنين برئتيه تكافحان لامتصاص عناصر الحياة -عبثا- من العدم. زار للحظة بغضب -زئيرا صامتا- وهو يحاول التنفس، يحاول -فقط- البقاء حيا. بينما برقت عينا (سرجون) بشدة وهو يفكر في الاتجاه نحو (إينانا) ليسرع بمؤازرتها في نزالها ضد المحارب الحديدي، عازفا عن رؤية لحظة احتضار التنين السريعة الآتية لا

وعاء الذكريات

استرجع (موشوسو) لحظات من حيوات سابقة. بداخله وعيان، وعي عاقل لأحد الأسياد الذي تم اغتيال أهله غدرا قبل قتله، ووعي آخر حيواني لسيد وحشي -تنين- خاض أهوال حرب الأسياد الدموية، وخرج منها حيًا حتى حين. إن كانت سيدة العالم السفلي (إرشكجال) قامت ببعث الوعيين في جسد واحد -وعاء عاقل حي- بغرض الانتقام، فهو العمل الذي يشعر التنين الهجين الآن بأنه بلا طائل. فلا السيد العاقل ارتاح بعد تمزيقه لِقَتْلَةِ عائلته، ولا التنين صار ممتنا لاكتسابه عقلا قادرا على التفكير والتفكر والاختيار. فلم يجد السيد العاقل في الانتقام لذة، ولم يجد السيد الحيواني في العقل فائدة. وهكذا تعايش الوعيان المكلومان جنباً إلى جنب بداخل وعاء التنين الجبار معايشة المضطر لا الراضي بادئ ذي بدء، ثم استحال التعايش بمرور القرون ألفة وتفاهما يستحيل خلقه بين الشقيقين، وكأنهما توأم ملتصق روحيا وجسديا في آن واحد.

ترك وعي السيد الحيواني المجال لوعي السيد العاقل المنتقم. أصبحت له القيادة فأطلق العنان لقدراته المبنية على ذكرياته. راع التنين ما استرجعته ذاكرة قرينه المنتقم من لحظات مريرة، رأى زوجة يتم تقطيع أوصالها وهي تصرخ حية منادية باسمه، ابن يتم حبسه بداخل جدران حجرية بعد أن تم إضرار النيران بها ليموت اختناقاً واحتراقاً، ابنة يتم نحر عنقها ثم تستخدم رأسها حلية بمقدمة حربة.. كان العذاب أن السيد كان يراقب التمثيل بجسد عائلته -مجبراً- وهو مقيد الأطراف، كان العذاب شديداً لدرجة

أنه كان ممثنا لضربة الحربة التي أجهزت عليه وفصلت رأسه عن جسده.. ليزول كل هذا بفعله سيدة الجحيم الكريهة عندما أعادته من العالم السفلي مجددا للحياة التي لم يندم على فراقها مقدار ذرة، والتي صار كل ما فيها يذكره بمأساته من جديد.. كل ما فيها حرفيا، حتى مجرد النظرة لزرقة السماء أو أخذ شهيق واحد.. لهذا كان انتقامه عاتيا، ليس ممن مثلوا بأجساد عائلته قبل قتلهم، وإنما من أي كائن حي في جوفه نفس يتردد.. كان انتقامه من الحياة ذاتها..

انكمش (التنين) وهو يشعر بمعاناة (المنتقم) تتكرر.. معاناة البعث حيا بعالم لم يعد لديه الرغبة في التواجد به.. راقب بشيء من الوجل وعي (المنتقم) وهو يستخدم جسد (التنين) ليمزق ويقطع ويحرق ويدمر.. شعر بظئير (المنتقم) ينبعث من حلقه هو.. حتى (التنين) الذي كان يقتل خصومه بوحشية شعر بإشفاقه على خصوم (المنتقم)، لم يكن يقتلهم فقط، بل كان يتلذذ بالقتل.. وهنا، حدث ما لا ينتمي للمنطق بأي صلة على الإطلاق.. قام (التنين) الوحشي بتهدة (المنتقم).. حاول ترويضه وكبح زمام غضبه اللامحدود، خاصة لما علم بنيته التوجه لأسياد الصواعق -أسياد عالم (سومر) السماوي- وتحديهم في نزالات فردية حتى الموت.. إن كان (المنتقم) يريد الموت -مجددا- فإن (التنين) لا يريده، في حينها على الأقل أو بهذه الطريقة التي يسوقها غضب أعمى.. وهكذا حدث الوفاق بين الوعيين، وتحقق التوازن بينهما ليعيشا حياة مديدة منعزلين عن الحياة بكل ما فيها من شرور ومعاناة، حتى ظهر (نينازو) ونشأت الصداقة بينهم -الثلاثة- والتي سمحت لكل من لديه غضب -من الثلاثة- بإفراغه في وقته وفي محله الصحيح..

ولكن الماضي يعيد نفسه من جديد الآن؛ ف(نينازو) منفصل عنهما في نزاله الخاص ضد (إينانا)، وساحر الأثير قام بتفريغ الطبيعة المحيطة بهما من الأثير، وهذا يضر ب(التنين) لحدّ الموت، ولكنه يشعل (المنتقم) ويعيد بعثه بعد خمود دام لقرون..

عندما قام (التنين) بترويض (المنتقم) عقب اتصالهما، هاله ما رآه حينها بروحه من ظلام معنوي يكاد يراه فيزيائيا. كانت روحه تتغذى من هذا الظلام وتستعيز به عن غيره من هواء وأثير وجاذبية وكل ما تقتضيه الحياة الطبيعية لأي كائن حي. استطاع أن يُخمد هذا الظلام وينخيه جانبا ليستطيع ترويض الغضب الجامح الذي لا تستقيم معه حياة أو وجود. ولكن الآن، ترك (المنتقم) يستعيد ما كبّله بإرادته.. تركه مُحرّزا الظلام من عقاله الخامد..

تعجب (سرجون) مع مرآه للتنين يستعيد نشاطه بعد أن بدأ يحتضر أمام عينيه. ثم فوجئ بدائرة الأثير التي تحتوي جسده تتلاشى لتحل محلها دائرة سوداء من رماد، ثم راحت الدائرة تنقلص لتنقض عليه وتضغط على جسده بقوة مميتة، وزئير التنين يشق الوجود، عاليًا هادرا غاضبا. والمخيف هو نبرة الاستمتاع التي استطاع أن يشمها في نبرة الزئير الحيوانية للتنين.. إنه -الوحش المنتقم- يستمتع بقتل ساحر الأثير باستخدام أثير أسود حالك لم يكن ساحر الأثير نفسه يدري بوجود شيء مثله.. يستمتع بالقتل نفسه.

أدرك (سرجون) الآن فقط أنه يحارب خصمين لا خصم واحد، وأن التنين هو أقلهما وحشية وسوادا..

انكمش وهو يقلل من كثافة جسده بسرعة حتى اختفى الجسد، بالتزامن مع إطباق دائرة الرماد على نفسها لتلتهم نفسها بدلا من تدمير جسده. ثم استعاد جسده كثافته بنفس السرعة هو يفكر في هذا التعديل الجديد في النزال، فلم يمهل التنين المنتقم ونفث النيران من منخريه، نيران سوداء من دخان كثيف لا تمت بصلة للنيران الحمراء المعتادة. نخر (سرجون) بسخط وهو يسارع بالتقهقر متواريا بين مستويات الكينونة الأثيرية، فكأنه انتقال بين الأبعاد كان انتقاله من بُعد الأثير المظلم الذي صار (موشوسو) يستخدمه، لبُعد الأثير سباعي المستويات ملجأ (سرجون) المؤقت.

ومع انتقال النزال لعدة أنواع من الأثير لم يعد جسداهما مرئيين لأي سيد من الأسياد بقلب المعركة، وكأنهما اختفيا ببساطة من الوجود، واستكملت حرب الأثير عنفوانها بين الساحر والمنتقم فقط. استحال لون جسد التنين وحرأشفه وبؤبؤي عينيه للسواد التام، وهو يخفق بجناحيه عدة مرات ثابتا بمكانه. خلقت الخفقات طاقة من موجات هجينة جمعت بين الأثير الشفاف والأثير المظلم. كان يكنس بقوة جناحيه كل ما بساحة المعركة من أثير من الطرفين. بوغت (سرجون) ببحر هائج من موجات أثيرية متعددة التردد، موجات قادرة على الفتك بجسده مهما حاول التواري منها بالانتقال بين أبعاد الأثير المتدرجة. أيقن أنه لا مهرب من هذا الهجوم فبادر بتكوين درعه السومري الأثيري، وأمسكه بكل قوته وهو يتوارى خلفه متقوقعا على نفسه. هوت الموجات على الدرع فمزقته في عدة مواضع، وكست مواضع أخرى بلون أسود كالكار. وبلغت قوة التصادم حدًا دفع بجسد (سرجون) للاندفاع للخلف ساقطا على

ظهره بمنتهى القوة، ودوار عنيف يكتنف خلايا مخه.

لم يكن هذا ما توقعه (سرجون). منذ اقتناص السيدة (إينانا) لهالته الإلهية، لحظة موته كإنسان بشري، وهو ينتظر بفارغ الصبر أية معركة ستقوم بتحريره خلالها، كان يشعر بقوة العقلية كقائد استراتيجي وقد تضاعفت عدة مرات بعد موته كبشري وتحوله لكيان تابع لإرادة (إينانا). تاق لتجربة قدراته الجديدة المعدلة في ميدان معركة حقيقي لا حقل تجارب. اشتاق لخوض المعارك لسيدة الصواعق وتحقيق الانتصارات لها؛ فما زال افتتانه بها قائم منذ أيام اتخاذه لها كحامية وقت حكمه ل(سومر) البشرية، وتوحيده لكل البلاد تحت اسمه ورايتها.

زاد الافتتان وصار تعلقًا لا انفصام له بعد موت (سرجون الأكادي) البشري واقتناص (إينانا) لهالته الإلهية عقب موته مباشرة. لم يفارقها لحظة، حتى عندما أسرها (مردوخ) فقامت بتحرير هالته الإلهية - وهالة (جلجامش) - للدفاع عنها. معركة قمة الزقورة التي لم تكتمل بعد انسحاب (مردوخ) التكتيكي، كان (سرجون) يومها مستعدا لبذل كل جهده وقدراته الخارقة لنصرها والموت من أجلها إن تطلب الأمر. ولكن الآن، إنه يخوض نزالًا أكثر تعقيدًا يتحدى قدراته، والأدهى هو أنه يخوضه من أجل بقاءه حيًا لا من أجل سيده.

ولكنه لم يفرغ كل ما بجعبته حتى الآن، وسيحارب بكل قوته من أجل سيده لا من أجل حياته، من أجل (إينانا).

على الجانب الآخر اكتفى وعي التنين بمشاهدة ما يحدث بمنتهى

الجدل، لقد تم إيقاظ المنتقم من سباته الطويل، واستعاد غضبه
السرمدى مستخدماً إياه كسلاح فتاك ضد ساحر الأثير.

كان (سرجون) قد اكتفى من صد الضربات، فكال للتنين هجوماً
مباغتاً عكسياً قبل أن يعتدل جسده من سقطته. تمت (سرجون)،
موقناً إن التنين -بقدرته التخاطرية- سيلتقط كلماته:

- كما تلاعبت بالأبعاد، أثقن فن التلاعب بالجاذبية والتلاعب
بالنجوم!

ثم حدث السحر بسرعة عجز التنين والمنتقم -كلاهما- عن
استيعابها. تضاعفت جاذبية الأرض. وجد (موشوسو) نفسه يسقط
بمنتهى السرعة والقوة. حاول أن يخفق بجناحيه ليرتقي ولكن كانت
قوة الجاذبية عاتية، وزاد من قوتها ثقل وزن التنين وضخامته،
إذ كان حجم (سرجون) لا يصل لحجم جمجمة التنين، وكان جناح
واحد للتنين كافياً للإطباق على ستة أشخاص بحجم (سرجون)
وإخفائهم بقلب حراشفه. قام (سرجون) بإسقاط نجمي سريع أثناء
سقوط (موشوسو)، فأنفصل عن جسده -الذي ما زال يرقد أرضاً
إثر هجوم التنين الأخير- كيان أثري في مثل حجمه، ولكنه سرعان
ما استطال وتضخم ليصير في حجم التنين، ممسكاً بيمنه سيفاً
من أثير أسود يتراقص الدخان الكثيف من طرفه. ثم تحرك الكيان
الأثيري المنفصل عن (سرجون) بسرعة البرق لينقض على التنين
الساقط، دافعاً بنصل السيف نحو عنق التنين قاصداً نحره.

عاد وعي التنين الوحشي من عزلته والتحم بوعي المنتقم، صار
(موشوسو) الآن يحارب بكليهما. صار جسده مرقطاً بمزيج من

الأحمر والأسود، ونفت نيرانا هجينة من الدخان الأسود واللهب الذي امتزج فيه الأزرق بالأحمر. ضربت النيران السيف الأثيري وبددته أشتاتا، فتراجع كيان (سرجون) الأثيري تاركا جسد التنين يستكمل سقوطه، لينتبه التنين أن (سرجون) قد خلق بالأسفل أوتادا أثيرية مدببة الأطراف السوداء، أطراف قاتلة تُحدّق نحو جسد التنين الساقط بنّهم المفترس لفريسته.

فشلت محاولات (موشوسو) في اتقاء السقوط. كانت وجهته نحو أوتاد الأثير لا مهرب منها. استعداد المنتقم ذكرى أهله المغدورين مجددا، ذكرى انتقاله للعالم السفلي، ثم اللحظة الكريهة التي عاد فيها لعالمه الذي يفوح ظلما وشرًا. قال المنتقم متخاطرا مع التنين بمرارة:

- لم أريد أن أبعثَ حيًّا.. كل ما أردته هو أن أثرك لأموت في سلام..
تبّا لملكة الجحيم!

ردّ عليه التنين متألما لألمه:

- لا داعي لكلمات ختامية.. لن تموت.. لن نموت.. لنحرك هذه الأوتاد اللعينة ونضعها بمؤخرة هذا الساحر اللعين!

شعر المنتقم بالتنين يستخدم قدرته كمتخاطر ذهني ويحولها لقوة تحريرية.. فهم مغزاه وساعده بكل ما يملك من قوة تخاطر ذهنية.. اتسعت عينا (سرجون) بذهول وهو يرى الأوتاد الأثيرية تنمّي ببطء بادئ ذي بدء ثم بسرعة متزايدة، قبل أن تتحول لأوتاد ورقية لا حول لها ولا قوة.. فهم أن خصمه - خصماه - استطاعا تحويل قوة التخاطر الذهنية لقوة تحريك مادية للأثير.. غمغم بمقت وهو يرى

التنين يسقط بين الأوتاد التي صارت بردا وسلاما على جسده:

- لا تجيد خلق الأثير، ولكنك تجيد تطويعه ذهنيا لا مجرد تحريكه.

عاد التنين ليرتفع مجددا وقد استحال كيانا أسود اللون، استعاد المنتقم الزمام وهو يصيح بزئير رج أبعاد الأثير ومستويات كينونته:

- القيامة!

سرت النيران في الأثير كالهشيم. كل ما هو أثير في كل الأبعاد أتى عليه لهب خلقته قدرة (موشوسو) العقلية التخاطبية، والتي صارت قوة مُحركة أيضا الآن. زحفت النيران كأفاعي ملتوية راقصة من كل اتجاه نحو جسد (سرجون)، رقصة أثيرية مسمومة باللهب. سب (سرجون) ساخطا؛ متذكرا أول لحظة بالنزال عندما اعتقد أن التنين لا يملك قوة باستئناء نفت النيران. سارع بتكوين هالته الأثيرية الحامية من جديد، مصاحبا تكوينها بهمسه:

- أنيموس!

فهم (موشوسو) في لحظة ما الذي يحدث. هالة (سرجون) تعمل بشهية مفتوحة لامتصاص الطاقة، كما حاول ببداية النزال، فانتبه التنين وكف عن نفت نيرانه، ولكن لا مجال الآن لإيقاف جحيم نيران القيامة التي خلقها للتو وخزنها (سرجون) بهالته الحامية الماصة للطاقة والنيران. ساحر الأثير يقظ لا يمكن توقع حركاته، ولا يتوانى عن تكرار نفس المحاولة بالنزال بعد فشلها أول مرة.. ولكن..

تمتم المنتقم:

- هذا كثير.. نيران كثيرة..

تألفت الهالة الأثيرية ل(سرجون) وهي تجتذب كل أفاعي النيران حتى أصغر الشرر، تمتص كل ذرات النار التي خلقها هجوم القيامة الناري. انحنى الأثير بقوة وكأن الهالة ستستكمل وجبتها الدسمة بالتهام الأثير نفسه..

تمتم التنين:

- من قوة هجومي الكاسح ستأتي نهايتنا.. سيهزمنا باستخدام قوتنا ضدنا..

همس المنتقم مفعلاً التخاطر الذهني على مستوى أعلى:

- سأقتبس كلماتك.. لا داعي لكلمات ختامية..

هنا.. صاح (سرجون) بنبرة خشنة وهو يفتح كفيه نحو التنين، موجهاً-أو معيذاً التوجيه للدقة- جحيم القيامة بكل طاقته نحو خصمه:

- كان نزالاً ممتعاً!

ولم يكمل كلماته، بسبب ذلك الخرق في الأثير فوق رأسه تماماً، والذي انسل من خلاله المحارب الحديدي (نينازو) بعد استدعاء المنتقم التخاطري العاجل له، مما دعاه لترك نزاله ضد (إينانا) والهَرَع نحو قرينه (موشوسو).. كان (نينازو) يحلق ساقطاً كشهاب من لحم وحديد يدور حول نفسه، ملقياً بخنجره بسرعة خارقة نحو جسد (سرجون)، الذي انتبه فجأة لأن كيانه الأثيري ما زال خارج جسده المادي إثر الإسقاط النجمي السابق.. جسده الأساسي الفيزيائي غير قادر على التحرك -الآن- لحين عودة الكيان الأثيري والتحامهما

مجددا..

(حتى وإن لم يكن كيائك الأثيري قد فارقك، لم تكن لتستطيع
تفادي ضربة سيد الحديد!)

قذفها (نينازو) بعقله -تخاطريا- بالتزامن مع قذفه لخنجره
الحديدي.. شعر (سرجون) بآلم بسيط والخنجر يخترق رأسه من
قمتها ليبرز طرفه من ذقنه.. الحديد يقتل أصحاب الهالات الإلهية كما
يقتل الأسياد.. أيقن (سرجون) هذه المعلومة وهو يلفظ آخر أنفاسه..
وأيقن بمرارة -متأخرا- أنه كان يواجه ثلاثة متخاطرين متحدين
لا اثنين فقط كما كان يظن.. وبالرغم من شلل لسانه قالها عقليا
لخصومه الثلاثة، وهالته الإلهية تتلاشى بلا رجعة بين أبعاد الأثير
ومستويات كينونته:

- احتجتم ثلاثة محاربين من الأسياد لاغتيال ساحر الأثير..
احتجتم الغدر والحيلة للانتصار عليه..

تحرك (موشوسو) ليلتقط جسد قرينه (نينازو)، الذي استوى على
متنه وهو ينخر بسخرية، متذكرا قولا مشابها قيل عنه عقب اغتياله
ل(أنو) سيد أسياد الصواعق.. وقال موجهها كلامه لساحر الأثير رغم
يقينه بعدم تلقيه لأي رد:

- استمتع بشرفك كمحارب في مملكة أمي السفلى!

قبلة البرق والحديد

(صواعق الجسد قوية، ولكن صواعق السماء جبارة!)

وجدت (إينانا) ذاكرتها تسترجع هذا القول بصوت أبيها الراحل (إنليل)، بينما خصمها سيد الحديد المحارب (نينازو) ينقض عليها كرمح جسدي يحمل خنجره الحديدي الفتاك للأمام، مصوبا طرفه نحو قلب سيدة الصواعق. لم تفكر. فعلت -لا إراديا- ما لقنها إياه والدها منذ سنين. حاربت بقلبها وعقلها لا عقلها فقط. وهكذا، وبإرادة قوة سيدة صواعق تَغْلَم قدراتها وأصلها وتتحق في كليهما، نبتت الصواعق من قلب السماء الفارغة من السحب، صواعق بلا غمام، تحركت بسرعة تعجز البصر غلبت سرعة انقضاضة (نينازو) الجبارة، سرعة غلبت البرق فتباطأ الزمن أمامها، لتهوي على الخنجر الحديدي وتلقي به من قبضة المحارب، فاضطر لمباعدة ما بين أصابع قبضته المضمومة -ساخطا- متخليا عن الخنجر رغما عنه، لتقابله (إينانا) بقبضتين مضمومتين تتألقان بالشر، إيذانا بخلق صاعقة جديدة جسدية لا سماوية.

كبح انقضاضته بمرونة غير عادية وهو يميل ليغير من اتجاهه، فتخطؤه الصاعقة وتمر بجواره، وتدفعه قوة اندفاع البرق ليسقط جانبا يترنح بالفراغ، هاوياً لأسفل بسرعة كجلمود من حديد. قبل أن يستعيد توازنه بسرعة ويسارع بالالتفاف حول نفسه ضاماً ذراعيه لساقيه، ثم يدور كالكرة وهو يلمس الأرض ممتصاً صدمة الارتطام بمهارة، فيتدحرج لبرهة من الوقت على جانبيه قبل أن يعتدل، لتطير خوذته الحديدية وتفارق رأسه، وتظهر ملامح وجهه القاسية

الخشنة وقد صارت أكثر قسوة، وزيّنت الوجه خطوط من دماء صفراء أسفل عينيه.

ولكنه كان يبتسم!

حدقت (إينانا) بوجه خصمها المبتسم وهي تتساءل إن كان قد فقد عقله مع قوة الضربة، بدأ (نينازو) يركض بمنتهى السرعة والنشاط فجأة، وكأنه لم يسقط من السماء منذ لحظة، متجها نحو (زابابا) وجيشه. لم تغامر (إينانا) وتهجم عليه، وتخسر أفضليتها بالتحليق فوق رأس خصمها، ما زالت تُقدّر بأسه ولا تريد أن تهبط لنزاله، مفكرة أن حسن حظها جعلها تجابهه بدون أليفه الوحشي الذي يكسبه مزية التحليق مثلها. كوّرت قبضتيها لتتألق بشرارات من برق، ثم أطلقت سلسلة من البروق باتجاه جسد (نينازو) الهارب، تريد الفتك به قبل أن يحتمي بجيشه الحديدي. وقالت لنفسها وهي ترى خصمها يركض في مسار متعرج ليتفادى خيوط البرق: (أصبح الآن مجرد جرد فاز، هذا هو مصير من يتحدى أسياذ الصواعق)

كان (جلجامش) يلوح بسيف الصواعق الذي خلقه له (نينورتا)، منقضا على (زابابا)، الذي كان يحب نحو خصمه بشراسة رافعا درعه الحديدي. فاق حجم (جلجامش) وتكوينه العضلي جسد (زابابا)، وإن لم ينفي هذا أن (زابابا) امتلك جسدا ضخما مدجج العضلات، ولكنه فقط لم يجاري كتلة عضلات (جلجامش) المفرطة في التكوين. ومن خلف سيدهم ومليكمهم الحديدي (زابابا) بدأ الجنود يتحركون بتناغم كوحدة واحدة، متجهين نحو قائدهم الراكض (نينازو).

ضرب سيف البرق درع الحديد. طارت الشرارات متنافرة في كل اتجاه مصدرة نورا يعمي العيون. دفعت قوة الالتحام جسد (زابابا) للخلف قليلا فخلقت قدماه أخدودا قصيرا بالرمال. بينما لم يتزحزح (جلجامش) وهو يميل على خصمه ليضرب بسيفه مجددا. يضرب من جهة اليمين تارة، واليسار تارة أخرى. تراجع (زابابا) بطريقة مدروسة محاولا امتصاص قوة خصمه، مدركا أنه يحارب مخلوقا ذا هالة إلهية، مسلحا - فقط - بسيفه ودرعه. يحاربه جسديا فقط لا غير، وهو ما يعتبره أي كائن سماوي انتحارا مهذبا. ولكنه لم يعترض عندما تحرك جيشه بالكامل لمساندة (نينازو)، فلا بد أنه سيحتاج لكل الدعم ضد سيدة الصواعق، خاصة في نزال بدون تنيينه الوحشي. وفي النهاية، ففي جعبتهما - هو و(نينازو) - الكثير والكثير من ألعاب الحديد المفاجئة والمهلكة لخصومهما.

أصاب لسان برق أو اثنين جسد (نينازو) فدفعا ليتدحرج أرضا للحظات قبل أن يعتدل مستكملا ركضه نحو جنوده. تشققت دروعه في عدة مناطق ولكنه لم يبال. كان كل همه الاقتراب من الجنود، والذين كانوا يزحفون نحوه بسرعة مماثلة، محافظين على تنظيمهم في شكل مستطيل. تعجبت (إينانا) من إصرار (نينازو) على الانضمام للجنود، ففي النهاية فإن لسان من البرق كفيل بنسف الجيش بأكمله. هزت كتفها بلا مبالاة وهي تغير هدفها، وتخلق الغمام الكثيف فوق رؤوس الجنود، ثم يتألق جسدها بالبرق وهي تدفع سيلا من الصواعق لينهمر على الجيش بأكمله قاصدة إبادته، ملجأ (نينازو) الحالي والوحيد. وفكرت للحظة أن خلقها وتحكمها بالصواعق جعلها بالفعل سيدة ومحاربة لا يمكن قهرها.

بمجرد أن لمح الغمام المتكثف بالسماء صاح (نينازو) في الجنود
بكل قوة وعنفوان:

- الهلال الحديدي!

تحركت أطراف الجيش بسرعة وطريقة محفوظة ليتحول التنظيم
من المستطيل لشكل هلال، هلال ضخم قوامه الجنود، هكذا أصبح
كيف يمكن رؤية تنظيم الجنود من السماء، أي من وجهة نظر (إينانا).
ثم سارع الجنود باستلال سيوفهم ورَفَعُها مع ملامسة النصال
لبعضها البعض. فخلقت النصال هلالا حديديا متصلا بطول الجيش
كله. اتسعت عينا (إينانا) بذهول وهي ترى خيوط البرق كلها تتجه
نحو الهلال الحديدي بلا حول ولا قوة، وكأن الحديد صار يجتذب
البرق جذب الشمس للكواكب. برقت عينا (نينازو) بحيوية وهو
يهتف بالجنود بشراسة لا مثيل لها:

- أعيدوها للسماء!

كما تم التدريب من قبل بوضوح، قام الجنود بتدوير السيوف
بتناغم قبل أن يقذفوها للأعلى. طارت السيوف للأعلى ليطير الهلال
الحديدي بأسره معها. ثم أخرج كل جندي درعه، وطارَقَ بطرفه
نصل سيفه ليُفْرِغَ منه ما امتصه من صواعق. فبوغت (إينانا)
بصاعقة ضخمة نتجت عن اتحاد طاقة صواعقها تندفع من الهلال
الحديدي باتجاهها مباشرة. شَلَّتْ أطرافها -وتفكيرها- وهي ترى
سلاحها يهجم عليها، وفكرت لوهلة -بغربة- كيف أمكن لخصمها
تفادي صواعقها بئس، بينما تشعر هي بالرعب يغمرها بمجرد رؤيتها
للخيوط الرفيعة العنكبوتية الفضية تنقض عليها، وكأنه الموت

-شخصيا- يميل ليحتضنها للأبد في رقصة مهلكة ونهاية.

انعكس نور الصاعقة الأرضية في عيني (جلجامش)، فحدق نحو
(إينانا) بذعر مغمغما:

- سيدتي!

استغل (زابابا) تشتت خصمه لجزء من الثانية، فحمل عليه بقوة
ضاربا بذبابة سيفه الحديدي قبضة (جلجامش) الممسكة بالسيف
الفضي اللامع، فطار سيف البرق من يده وسقط أرضا للحظات قبل
أن تخبو جذوته ويتلاشى. فصاح (زابابا) بخشونة وهو يغمد نصل
سيفه في صدر (جلجامش).

كان آخر ما دار بذهن (إينانا) أنهم -أسياد الصواعق- حقا جبارون،
فقوة مهلكة مثل التي تنقض عليها الآن هي قوة غاشمة لا مثيل لها.
قوة تشل الجسد وتجعل القلب يرتجف. شعرت الآن بشعور جميع
ضحايا أسياد الصواعق منذ الأزل. فكرت في حياتها كلها فوجدت
نفسها راضية عنها. أغمضت عينيها وهي تهمس مبتسمة بلا وعي
منها:

- أبي!

انغرس نصل السيف حتى المنتصف بصدر (جلجامش)، زمجر
الأخير بغضب أكثر من الألم وهو يمسك النصل بيسراه وينتزعه
انتزاعا من بين كتلة عضلات صدره، وبينما تسيل دماؤه الصفراء
على صدره كانت يميناه تهوي بضربة ساحقة على وجه (زابابا)
-القريب منه الآن- فتجعله يندفع للخلف ساقطا على مؤخرته بعنف،

وقد تصدعت خوذته من الأمام مبرزةً جدائل شعره، وصار سيفه الحديدي بيد (جلجامش)، الذي زمجر بخشونة وهو يضرب بسيفه رأس (زابابا) صائحاً بانفعال:

- أجبنى يا سيد الحديد، أيقتلكم الحديد كما يقتل باقي الأسياد؟! شعرت (إينانا) بحرارة متصاعدة، وصك أذناها مزيج من هدير نيران مستعرة وفحيح وزئير متداخلان. تمتمت بدهشة مغمضة عينيها، وهي لا تشعر بأي درجة من الألم:

- أهذا هو الموت؟!

تضاعف الزئير حتى طغى على كل ما سواه من أصوات، وبدأ يزعج أذنيها ويثعربها بألم حارق برأسها. وبينما تقوم بالضغط على صدغيها لا شعوريا شعرت بلمسة رقيقة تدفعها من جذعها للأعلى، فتحت عينيها فطالعتها عينا وصيفتها (نينشوبور) المحبتين الحالمتين، وقد اكتسبتا شيئا دخيلا عليها من قسوة. كانت (نينشوبور) تمتطي متن أليفها السيد الوحشي، (خومبابا) وحش غابات (الوركاء)، بعد أن استدعته باستغاثة عقلية صامتة. همست (نينشوبور) لسيدتها (إينانا):

- لنذيق أعداءنا وبال أمرهم!

لمست (إينانا) العزم والتصميم في نبرة صوت وصيفتها، مزيج نادر سحري من الحب والكراهية، حبها لسيدتها وكرها لخصمها الذي كاد يردبها قتيلة كما فعل بجدها من قبل. زادها هذا قوة وهي تعتدل في الفضاء بجانب الوحش الضخم، شاعرة بقوة مضاعفة

تتدفق بجسدها. بينما تراجع (نينازو) ببطء وهو يميل رأسه عابسا، متأملا الوحش (خومبابا) بحجمه الضخم الذي فاق حجم التنين (موشوسو)، بدا له كحيوان هجين قبيح، ولكن لم يفته أن هذا الهجين القبيح كان مجنحا. عض شفته السفلى بغيظ وهو يرى (خومبابا) ينفث اللهب من منخريه فيصد صاعقة جنوده المرتدة، ويشتها تشتيئا. كان يعول الكثير على هذا الهجوم المضاد السريع في إرباك سيدة الصواعق حديعة العهد في النزالات العنيفة، وتمنى لو كان بإمكانه التخلص منها بأسرع ما يمكن؛ فخصومه كثيرون بساحة المعركة. ووجد نفسه يتمتم لنفسه:

- أين أنت يا (موشوسو)؟!

أتاه الرد بأسرع ما توقع، رسالة عقلية تخاطرية من التنين، تفتح له ممرا بقلب عالم الأثير. لم يتأخر عن قرينه الوحشي، كانت الرسالة استنجدية لا تقبل التهاون أو حتى التفكير، وهكذا ترك جسده يُسحب بمنتهى السرعة لعالم الأثير، ليفاجأ كل من (إينانا) و(نينشوبور) باختفاء جسد (نينازو) من أمامهما، ويفاجأ (سرجون) بظهوره المباغت يُغده الأثيري الذي يدور فيه نزاله مع التنين.

كان الجنود الحديديون مدربين على امتصاص أغرب الصدمات والتعامل معها بمرونة. كان انتقاؤهم منهجيا ويعتمد على نظام تدريب شاق استبعد منهم الكثيرين، ولم يترك منهم إلا القليل ولكن ممن لا يمكن مفاجأتهم بأي شكل من الأشكال أثناء الحرب. ولهذا تعاملوا ببساطة ومنطقية مع اختفاء قائدهم (نينازو)، وغيروا وجهتهم صوب نزال حاكمهم وسيدهم (زابابا) سيد الحديد وسيد

أسياد مملكة (سومر) السماوية. كان (جلجامش) يزار كحيوان ضاري وهو يضرب بالسيف الحديدي بكل قوته، تفادي (زابابا) أول ضربتين قبل أن يدرك عبث ما يفعله، لن يستطيع تفادي ضربات (جلجامش) للأبد، وضربة واحدة كفيلة بقتله، شعر للحظة بمدى ضراوة السلاح الذي يملكه ويعطيه الأفضلية بين الأسياد، الحديد، وشعر بالفضل لكونه مدججا بالحديد بكل دروعه، وإلا لكانت ضربة واحدة من التي تلقتة الدروع كفيلة باختراق أي معدن آخر وإنهاء حياته في لحظة.

انتهز لحظة اندفاع (جلجامش) بذبابة سيفه للأمام، وخالف توقعات خصمه وهو يندفع بدوره للأمام مزيجا السيف بحافة يده اليسرى للخارج بعيدا عن جسده، ومستلا -بيمينه- خنجرا ماضيا من غمده بنطاقه، خنجرا حديديا، هاويا به بكل ما يملك من قوة صوب عنق (جلجامش)؛ مفكرا: (إن كانت أنسجة جسده عصية على الاختراق بسهولة حتى بواسطة الحديد، فلأقم ببتتر رأسه!)

أشارت (إينانا) نحو النزال بين (جلجامش) و(زابابا)، ثم قالت ل(نينشوبور) محوِّلة سبابتها نحو الجنود المدججين بالحديد:

- انظري.. الجنود يتجهون نحو سيدهم ليؤازروه.. (جلجامش) محاط بالكثير من الأسلحة الحديدية.. أكثر مما ينبغي حتى لبطل هالة إلهية!

وصلت الرسالة لوصيفتها وكذلك للوحش، التخاطر بين (نينشوبور) و(خومبابا) يطابق مثيله بين (نينازو) و(موشوسو)، قال (خومبابا) ل(نينشوبور) عقليًا:

- أحتاج هذا الوحش الصغير لمساندة؟!

أوضحت له (نينشوبور) قائلة:

- هذا المعدن الذي صنع منه خصومه أسلحتهم، إنه معدن أرضي مهلك للأسياد، لن يستطيع جسد أي سيد تحقل ضربة مباشرة منه..

تحرك (خومبابا) بسرعة خافقا بجناحيه ليهبط قليلا نحو الجنود، قائلا لسيدته:

- لنجعل كفة نزاله مع خصمه عادلة قليلا إذا..

ثم نفث النيران في البقعة التي تفصل الجنود عن مكان نزال (جلجامش) و(زابابا)، فأوقف الجنود تقدمهم بحذر رافعي دروعهم الحديدية بحرص، اقترب (خومبابا) منهم حتى صار فوق رؤوسهم، وألقت (نينشوبور) نظرة على وجوه الجنود من مسافة قريبة، لم تستطع أن تصطاد نظرة واحدة خائفة أو جسدا مرتعشا، بل على النقيض شعرت بهم يبادلون وحشها نظرات التحدي والكرهية. فَرَمَتْ شفتيها بتصميم وقد أيقنت بمدى خطورة هؤلاء الجنود، وصاحت بلسانها وعقلها في آن واحد:

- احرقهم جميعا.. لا تذر منهم فردا!

تعجبت (إينانا) وهي تركز في الانقباض القاسي لملامح وجه وصيبتها الرقيق. لقد تغيرت كثيرا؛ لم تعد تلك الفتاة الصغيرة المتخبطة الرقيقة، لقد صارت وحشا يماثل الوحش الذي تمتطي متنه الآن؛ فحتى هي - (إينانا) - تعجز عن إعطاء أمر بالإعدام حرقًا بمثل هذه السهولة. استعادت بذاكرتها كل ما مرّ بحياة (نينشوبور)

من أحداث، وهزت رأسها بتفهم، فما حدث لوصيفتها -بكلا عالمي (بابل) السماوي والأرضي- لهو كفيل بتحقيق مثل هذا النضج في شخصيتها وقدرتها على اتخاذ قرارات حاسمة دامية بلا تردد. ولامت نفسها على وقوفها مترددة بينما تدافع وصيفتها عنها، فسارعت بخلق عالم من السحب بالسماء وشحنها بكل ما يمكنها من صواعق، تمهيدا لعودتها للمعركة بعد صدمة صاعقة جنود الحديد المرتدة التي أصابتها بالشلل المؤقت.

تراجع (جلجامش) بحركة حادة ليجنب عنقه نصل الخنجر، فاستغل (زابابا) تراجع خصمه ليقفز للأعلى، أفلتت يميناه الخنجر ليسقط بتأثير الجاذبية، لتلقطه ركلة سريعة من قدمه اليمنى. لم يملك (جلجامش) الوقت اللازم رغم سرعة تحركه؛ كان يعتقد أنه قد تفادى خطر الخنجر ولو للحظات. لم يصدق أن خصمه يملك بديهة سريعة لهذا الحد غير الطبيعي. وثب الخنجر من طرف قدم (زابابا) ليندفع كرمح حديدي نحو هدفه، عنق (جلجامش) مجدداً. فانغرس الخنجر حتى النصل بمقدمة العنق، وشعر (جلجامش) بعدم قدرته على التقاط أنفاسه أو حتى ازدراد لعابه. أيقن أنه يموت.

اعتقد أنه قد بدأ يرى هلوسات الاحتضار، يرى تينينا يمتطيه محارب حاسر الرأس مدججا بالحديد. لم يعلم أن التنين (موشوسو) قد عاد مع قرينه الحديدي (نينازو) من البغد الأثيري، بمجرد اغتيالهما ل(سرجون)، ليسارع التنين بنفث نيرانه بجسد (جلجامش) ويحرقه عن بكرة أبيه في لحظة ويجعلها رمادا. وهكذا، خسرت (إينانا) هالتيها الإلهيتين في نفس اللحظة، وعلى يد أسيا د الحديد.

كانت نيران الوحش (خومبابا) تنطلق نحو الجنود الحديدين، فرفعوا دروعهم وتقوقعوا أسفلها كصدفة سلحفاة. انتقل زهول الوحش (خومبابا) لقرينته (نينشوبور) من قدرة الدروع على التصدي للنيران بدلا من احتراقها، وقال بغیظ:

- هذا المعدن سحري بالفعل!

نخر (زابابا) بغضب وهو يقول ل(نينازو):

- لماذا جعلت تينيك يحرقه، لقد قتلت ضربة خنجري بالفعل!

قال (نينازو) ببرود وهو يولّي وجهه شطر السماء التي اسودت بفعل شخب (إينانا):

- مزيد من الضمان لن يضيرنا في شيء.. في النهاية فهو جسد يملك هالة إلهية..

صاح (زابابا) بسخرية:

- الموت لا يأتي مرتين!

ردّ (نينازو) ببرود أكثر مشيرا نحو (موشوسو) التينين:

- سل صديقي المجنح نافث النيران هذا عن الموت عدة مرات، فلديه خبرة كافية!

أطلقت (إينانا) صيحة لوعة وجسدها يستحيل جسدا من صواعق. لقد أيقنت خسارتها لبطلها في نفس اللحظة، وقَتَلَهَا من اغتالوا جدها الأثير (أنو) من قبل. أسياذ الحديد. جَزَّتْ على أسنانها بغضب لا متناهي وجسدها يتحول تدريجيا لكتلة فضية

بلا ملامح، لم تدرك أنها في فيض غضبها اكتسبت القوة اللازمة لبدء الهجمة الزاجرة الفريدة. اندفعت نحو سيدي الحديد بسرعة رهيبة وغضب مهلك، وصيحة متصلة تصاحب هجمتها. بينما اهتزت سحب السماء - بالتزامن مع هجمتها الزاجرة- وأمطرت سيلا من الصواعق بلا حدود، ممتزجا بريح سوداء صرصر عاتية أظلمت المكان كله وأكسبت الجو صقيعا مباغتا، مستهدفة خصمها. كان هجوما مزدوجا أرضيا وسماويا. تراجعت (نينشوبور) رغما عنها بذعر وهي تشعر ببرودة الجو، وأنفها يشتم رائحة الهواء المحترق بالكهرباء وقد ضاعفت من حدته رائحة غضب سيدة الصواعق الجامح المتطاير بالآثير. ولو هلة لم تتعزف على سيدتها.. وخشيتها.

حتى الوحش (خومبابا) شعر بالقلق من هذا الهجوم الكاسح الذي لا يفرق بين صديق أو عدو، فتقهقهر للخلف محاولا تجنب أية صاعقة شاردة أو ريح ضالة، رافعا جناحيه صانعا منهما حماية لسيدته.

زمجر (نينازو) وهو يتخاطر مع التنين.. جفل التنين وهو يشعر بغريزته الحيوانية بمدى ضراوة الانقضاضة.. رغب (نينازو) بمواجهة انقضاضتها ولكن سارع (موشوسو) التنين بكبح جماحه، وأجبره على التراجع، متكورا على جسده كمظلة حامية.. وتناثرت أفكاره لعقل (نينازو) بنبرة مرتجفة: (لقد رأيت هذا من قبل.. هذه الفتاة ورثت -أو تعلمت- شيئا ما من جدها الغابر سيد أسياذ الصواعق.. لقد فعلها من قبل إبان حرب الأسياذ الدموية الأولى، وكانت مذبحة دموية لكل من حاول التصدي لها.. انتظر فقط انقضاءها ثم سارع بالهجوم المضاد؛ فستكون حينها في أكثر حالاتها الجسدية والذهنية

وهنا..)

لم يستطيع الجنود اتقاء شر مزيج مطر الصواعق والريح السوداء المظلمة.. حتى الحديد لم يجدي نفعًا.. تقطعت أوصالهم وتفجرت أعضاؤهم الداخلية في لحظة.. وصار محل تجمعهم السابق مجرد بركة دموية تغص بقطع اللحم الممزقة والعظام الطافية.. بينما بوغت (زابابا) بكتلة حيوية فضية لها قوام جسد (إينانا) تنقض عليه.. رفع ذراعيه متقاطعين أمام وجهه، وضغط بركبتيه بقوة للأسفل ليثبت جسده.. شعر بطبلي أذنيه تتمزقان بأثر أزيز كهربائي فائق القوة ليصاب بالصمم.. ثم شعر بجسده يودّ مخالفة الجاذبية والتحليق للأعلى، وكأنه في مهب إعصار جامح.. ثم وصله جسد (إينانا) المتلوي كإعصار من برق راجف صاحبه ركام رعديّ هادر لم يمكنه سماعه.. حافظ (زابابا) على نظراته المباشرة لخصمه رغم علمه أن لحظة نهايته قد حانت.. لم يغمض عينيه والزاجرة تفتك بجسده في جزء من الثانية، محيلة جسده لزوبعة ضئيلة من لحم ودم أصفر وقطع متفتتة من عظام، ثم استحالت بقايا جسده أشلاء تطايرت وتبعثرت في كل مكان..

أبطأت (إينانا) من سرعتها وجسدها يستعيد ماديته الطبيعية شيئًا فشيئًا.. باعد (خومبابا) ما بين جناحيه فألقت (نينشوبور) نظرة سريعة متلهفة على سيدتها.. أفسح (موشوسو) المجال ل(نينازو) ليسارع باستغلال عودة جسد (إينانا) لحالته المادية ومهاجمته..

قال (خومبابا) ل(نينشوبور): (ذلك المحارب راكب التنين سيهاجم سيدتك بمجرد اكتمال تجسدها)..

صاحت بكل ما تملك من حب وخوف ل(إينانا): (لا تجعله يفعلها! امنعه! اقتله!)..

تداخل صوت التنين (موشوسو) خشنا كريها بعقلي (خومبابا) و(نينشوبور) ليقول بتحدي: (لتقتلاه عليكما أن تتخطياني!).. ردّ عليه (خومبابا) بشراسة مماثلة: (على الرحب والسعة!)

هدأت العاصفة لتذر أرض المعركة قاعا صفصفا.. وقفت (إينانا) تلهث.. ألقى (نينازو) عليها نظرة، أعقبها بأخرى لبقايا جنوده.. وبينما تحفز كل من السידين الوحشين (خومبابا) و(موشوسو) للنزال، سأل (نينازو) بصوت مرتفع ونبرة جافة وكأنه يحدث نفسه:

- أين السید (زابابا) سید أسياد هذه المملكة؟ أين جيش مدينة (كيش) عاصمة هذه المملكة؟

كان يعلم الردّ، ولكن أجابه (موشوسو) وكأنه يؤكد ما حدث بتلفظه به بصوت مسموع:

- ماتوا جميعًا.. اغتالتهم سيدة الصواعق..

رفع سيفه الحديدي نحو (إينانا)، ونظرة باردة كاللج تطلّ من عينيه، وهمس بصوت يكاد يكون مسموعا:

- إذا فلتمت سيدة الصواعق!

انفجرت الأرض بين (إينانا) و(نينازو) بصاعقة محدودة، أعقبه ظهور (نينورتا) طائرا آتيا من جوف الأرض، وكُرّة حامية من الصواعق تدور حول جسده، وتقوم بنفض كتل من التراب كانت تحيط بجسده في شكل دوائر مركزية متطائرة.. استقر جسده

بجوار (إينانا)، التي أشرق وجهها لرؤياه، وقالت بسعادة غامرة
ووجه مشرق:

- أخي.. آخر أسياذ الصواعق..

أحجم (نينازو) عن الهجوم لوهلة، يحاول التفكير وإعادة تقييم
الوضع، بينما حلق (خومبابا) ببطء متجها نحو سَيِّدِي الصواعق،
(نينشوبور) على متنه تصفق بجذل كالأطفال..

قال (نينورتا) بصوت قوي يفوح بنبرة الانتصار:

- لقد انتهى الأمر أيها القاتل الغاصب..

ردّ (نينازو) بعناد وهو يلوح بسيفه:

- لم ينته بعد ما دمت حيًا.. لن ينتهي ما دمتم أحياء!

قالت (إينانا) بنبرة تحمل شفقة لا تناسب الموقف الدموي:

- لماذا تحارب؟ لقد مات ملكك جزاءً وفاقًا.. اندحر جيشك.. اغترّف
بأسياذ الصواعق أسياذًا شرعيين لمملكنا السماوية وستنال العفو..

قاطعها (نينورتا) باعتراض:

- لقد اغتال جدنا! ستتركه حيًا؟!

لم تُرد (إينانا) زيادة الطين بلة بإخباره أن أسياذ الحديد -أيضا-
فتكوا ببطلها الإلهية منذ قليل، حاولت تجميع أفكارها ونقل
ما نجحت في اكتسابه -بطفرة مباغتة منذ قليل- من صفاء ذهن
وطمأنينة وقت الحدث الجلل، لعقله وعواطفه المتأججين بنيران
الانتقام الأعمى. فتح (نينورتا) فمه ليجادلها في قرارها المتهاون من

وجهة نظره، ولكن سارع (نينازو) ببتري ما سيقوله صائحا:

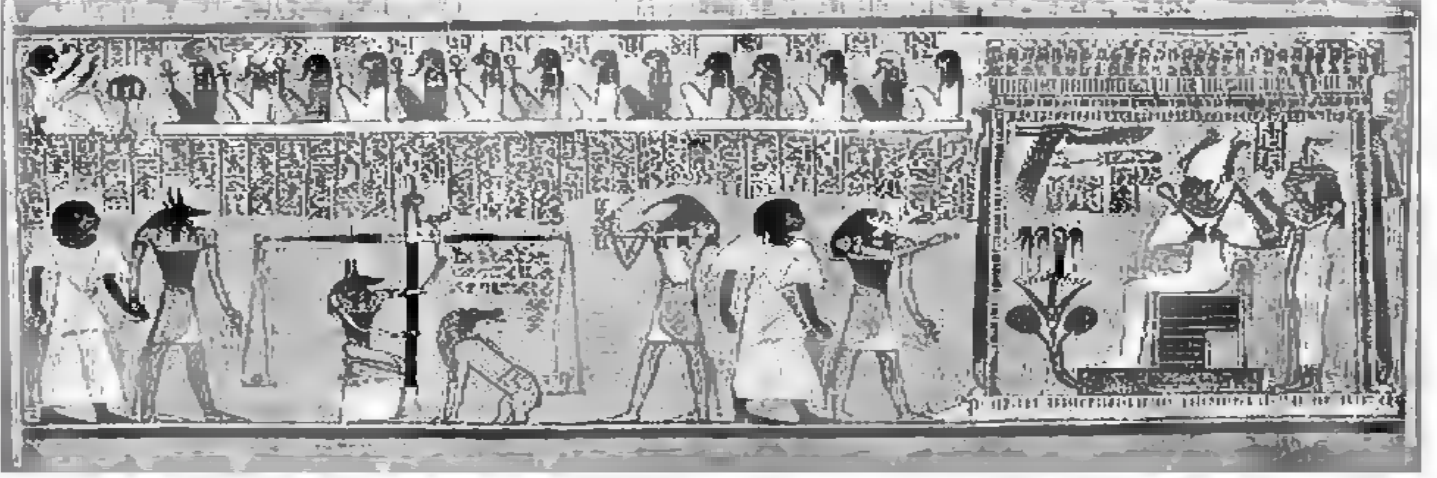
- سأخيب أملككم جميعا، ولكن احتمال قتلي ليس أمرا مسلما به
لهذا الحذر.. لست بساذج لأحاربكم جميعا وحدي حتى وإن كنت
ممتطيا متن تنين وحشي..

(تنتظر تدخلًا من أمك؟! يا لك من ابن مُتَطَلِّب!)

التفت الجميع للأعلى بذهول، تكوّنت دائرة أرجوانية فوق
الرؤوس انبثقت منها ثلاثة أجساد، كان أولهم (سين) سيد القمر، تلاه
(آشور) سيد الحرب، ثم برز خلفهما محلقا فوق قرص أرجواني من
الجماجم مبتسما، السيد الطافر (مردوخ)، قبل أن يتدفق من خلفه
كهنة النار بأرديتهم الطويلة ناصعة البياض، وبين يدي كل منهم تدور
كرة نارية صغيرة..

دوات

دوات



العالم السفلي الكيمتي (دوات)

خيم صمت ثقيل الوطاء على القاعة الفسيحة التي تمثل قلب العالم السفلي ل(مصر) القديمة، ومقر إقامة ملكه المهيّب (أوزيريس). كان صمتا معتادا عندما تتم عملية وزن قلب ميت حديثًا؛ تمهيدا لتحديد مصيره المستقبلي: إما حقول (يارو) الخضراء حيث الجنة والنعيم، وإما تتلقاه أكلة القلوب المخيفة (أمت) فتلقي به في غياهب بركتها النارية التي لا قرار لها. كان وجه ابن آوى المخيف (أنوبيس) يقوم بوضع القلب النابض -بخفة- بإحدى كفتي ميزان ذهبي ضخّم يناهز ارتفاعه قامة (أنوبيس) ذاته. بينما رقدت ريشة العدالة بالكفة الأخرى لتحدد مصير الميت. كانت (أمت) نفسها تقف منتصبة القامة خلف الميزان مباشرة، متلهفة لهبوط كفة ميزان القلب دليلا على تشبعه بالذنوب والخطايا، بوجه تمساح كريبه وجسد هجين بين اللبؤة وفرس النهر، كانت مزيجا منفرا يجعل الفطرة السليمة تعاف مجرد النظر إليها.

رقد (تحت) بركن القاعة ساكنا، خافضا منقاره الطويل الرفيع
حالك السواد مخني الطرف للأسفل، والذي يجعل وجهه تجسيدا
لوجه طائر أبو منجل. لا تتحرك إلا أنامله القابضة على ريشة حمراء،
يتواثب طرفها على ورقة بردي صفراء فاقع لونها، تسجل تفاصيل
ما يحدث كالمعتاد منذ الأزل. بينما أسند (أوزيريس) ظهره لكرسيه
الذهبي المطعم بالجواهر البراقة الملونة، ووجهه أخضر البشرة حاد
القسمات، الأشبه بوجه البشر في ملامحه، يركّز في حركة الكفة
التي تحمل قلب الميت. وبجواره تقف شقيقته وزوجته ومعشوقته
(إيزيس) متململة، تدقق النظر في وجوه كل من حولها من أسياد
للعالم المصري السفلي. كانت مثالا متجسدا لكائن بشري ينتمي
لحقبة (مصر) القديمة التاريخية، بدون وجوه حيوانية أو أجساد
هجينة، أو حتى لون بشرة أخضر كزوجها (أوزيريس)، بل امتلكت
وجها ممتلئا مليحا قمحي اللون، يتوسطه زوج من عيون لوزية
واسعة مكحولة، وينهمر شلال من شعر أسود حالك على كتفها
ليغطي ثدييها من الأمام مخفيا إياهم، منسدلاً على ظهرها حتى
عجيزتها من الخلف، وتلأل النصف السفلي من إزارها بلون الذهب
الأصفر منتهيا فوق ركبتيها بقليل.

شق صمّ البهو المترقب أزيز هبوط كفة قلب الميت، القلب الذي
أثقلته آثامه، انفتح فكّا (أمّت) - فكّا التماساح- عن آخرهما بتعطش
دموي وهي تقول بصوت خشن:

- قلب جديد من نصيب آكلة القلوب.

ثم غادرت (أمّت) البهو تركض على أربع، لتخرج من بابه الرئيسي،

حيث تنتظر روح الميت - الكا- مصيرها مقيدة بنيران سحرية كَبَلَهَا بها (أنوبيس)، قبل أن يستخرج منها القلب ويهيئه للميزان. وبمجرد اختفاء (أُمّت) غمغمت (إيزيس) بنفاد صبر:

- الموت ينقُص على الميت الآن!

لم يردّ عليها أحد، كانت تتحدث مع نفسها لتنفيس مللها. كان الجميع يعلم أن الميتة الثانية تختلف تماما عن الأولى؛ فهي نهائية لا رجعة فيها، بينما بإمكان الميت التمتع بحياة أخرى -كروح بلا جسد- بحقول (يارو) التي لا ملل فيها ولا شقاء، ولا جوع ولا عطش.

عادت (إيزيس) لتتحدث، موجهة كلامها ل(تحوت) هذه المرة:

- أين تَوَقَّفَ تاريخ البشر ب(مصر) الآن أيها السيد (تحوت)؟

أمال وجه أبي منجل منقاره الأسود نحوها وقد توقف عن التدوين لوهلة. شعرت أنه غضب من مقاطعتها له أثناء كتابته للفصل الأخير من محاكمة الميت، رغم معرفته جيدا بمدى ولع (إيزيس) بمتابعة بشر (مصر) القديمة وتاريخ ملوكهم المتعاقب. ولكنه لم يلبث أن خالف توقعاتها وأجابها ببساطة:

- إنها الآن ولاية فارسية بعد أن دحر الفارسي (قمبيز) الثاني ملك (مصر) (بسماتيك) الثالث.

رددت بتلذذ:

- الفرس.. إنها أيامهم المجيدة في التاريخ..

استعاد (تحوت) نقشه التدويني وهو يقول بلا مبالاة:

- المصريون في أسوأ فترات اضمحلالهم.. أتوقع إن شمس حضارتهم الأسطورية على وشك الأفول نهائيا..

سألته مشاكسة:

- وهل لنا أن نتدخل ونعيد المجد الغابر؟

تدخل (أوزيريس) هذه المرة وهو يقول بإرهاق بادي على القسمات الخضراء المشدودة لوجهه:

- ليس لنا الحق في تغيير مصيرهم، ليستحقوه أو لا يكونوا أهلاً لتدخلنا. ليغيروا مصيرهم بأيديهم أو ليستحقوا الانمحاق.

هزت كتفيها لتزيح -لحظيًا- شيئاً من الشعر المغطي لهما، وهي تقول مبتسمة:

- ولكننا آلهتهم!

صحح (أوزيريس) لها:

- آلهة بالنسبة لهم. يحق لنا -فقط- دس بعض النقاط التنويرية بعقول كبارهم خلصة من خلال الأحلام، أو عن طريق المنجمين وقارئي الطالع والفلك؛ محاولةً لنقلهم لمستوى أكثر تقدماً ورفاهية بين باقي شعوب الأرض -وهو ما نجحنا في فعله بالفعل- ولكنهم هم من ترجموا هذا بجعل أنفسهم عبيداً لنا.

- يبدو أن هناك من فاقنا تقدماً الآن.

- تقصدين الفرس؟

- أقصد من يوسوسون بعقول الفرس كما نفعل بعقول المصريين.

أسياد(أكد) و(سومر) و(بابل) و(آشور) و(فارس) المتعاقبين على منطقة ما بين النهرين السماوية. فكل قطيع من البشر يمثل انعكاسا لمن يقود تقدمهم من السماويين المهتمين بأمرهم.

لم يردّ عليها (أوزيريس) مباشرةً كما توقعت، بل على النقيض بدا أكثر هماً وهو يميل بوجهه ليرمق (أنوبيس) بنظرة ذات معنى، فأشاح ابن آوى بوجهه وهو يقول بنبرة صوت كالزمجرة:

- أنت الملك هنا. لم يعد بالإمكان إخفاء ما يحدث بالعوالم السماوية. طبول الحرب تدق الأبواب بإصرار. أخبِزها. قم بإخبار الجميع.

بدا (تحت) وكأنه لم يسمع شيئاً، واستمر في تدوينه الدقيق المفصل، وكأنه لا يهتم، أو يعلم بالفعل ما يخفيه الملك. وحدها (إيزيس) اقتربت من عرش (أوزيريس) خطوتين متسرعتين قبل أن تقف أمامه مباشرةً، وتنظر في عينيه متسائلة بشيء من القسوة المصطنعة:

- مليكي يخفي عني شيئاً!

لم يبادلها (أوزيريس) المزاح بالمثل، فقط تمتل ل(إيزيس):

- ظننت أن وَلَعَكِ بالبشر فقط لا بالسماويين.

- كل حضارة بشرية تعكس حالة نظيرتها السماوية، لا يوجد مجال للفصل بينهما. خاصةً وأن مهندس الكون السرمدي خلق حواجز الدهر قبل أن يخلقنا جميعاً بشر وسماويين، وهذا يعني أنه لا سبيل لسماوي على بشري أبداً؛ فتلك الحواجز تمنع تدخل السماويين في

مصير البشر بشكل سافر، سامحةً لهم -لنا- فقط بأقل القليل؛ إلقاء الأفكار لا أكثر.

- لقد تصدعت حواجز الدهر!

بدت (إيزيس) مصدومة تمامًا وهي تردد:

- تصدعت؟! كيف ومن فعلها؟ من جرؤ وتحدى قوانين كونية أزلية؟

بدا (أوزيريس) أكبر سنًا الآن وهو يقول:

- ساحر من أسياذ (بابل) السماوية فعلها وتسلى للأرض، وسرّب قُبْصًا من سحر السماء للأرض بمدينة (بابل) البشرية.. هذا الفعل من المحرمات، وبمجرد تفعيل هذا السحر بالأرض بدأت حواجز الدهر بالتلاشي.

- لماذا؟

- للسيطرة.. لغزو أرض البشر واحتلالها وإخضاعها.. هناك من السماويين من يمتلك طموحًا يهدد وجودنا جميعًا ويخلّ باستقرار جميع العوالم..

سألت (إيزيس) بدهشة:

- ليست الأرض بمطعم يستحق مثل هذا.. البشر متخلفين عن عوالمنا كلها..

- ولكن مواردهم تستحق الطمع..

تدخّل (أنوبيس) لأول مرة في الحوار مضيّقًا:

- البشر أنفسهم ليسوا هدفا مباشرا لأسياد (سومر) و(بابل) و(آشور) السماوية، الهدف الأول -والظاهري- هو مواردهم بالطبع، ولكن الهدف الثاني والأكثر أهمية أن أرض البشر ليست إلا خطوة تقربهم من باقي العوالم، محطة انتقالية تسهل غزو المزيد من الكائنات غير البشرية.. فأهل (أطلانتس) يحيون مع البشر في نفس الحيز الأثيري، وهم أول من سيهددهم استعمار أسياد أي عالم سماوي لأرض البشر.. لذا سيضطرون للدفاع عن الأرض؛ فكأنهم يدافعون عن مدينة حدودية لعالمهم لا أكثر.

قالت (إيزيس) بتفكر:

- الأطلانتيون مطمع حقيقي لأي كائن حي مستعمر؛ لديهم العلم والموارد..

قاطعها (أوزيريس) هذه المرة:

- ولا تنقصهم القوة العسكرية أيضًا.

اكتست ملامح وجه (إيزيس) الجميلة بشبح من الجدية غير معتاد، كانت تفكر في الأمر برمته من منظورها الشخصي كسيدة سماوية، سيدة لديها القدرة على التنقل بين عالم (دوات) السفلي وعالم البشر الأرضي، بل ويمكنها أيضا التسلل لأي من العوالم السماوية المنتشرة -وإن حذرها (إوزيريس) من هذا خوفا عليها-، كانت تحب تشبيه العلاقة بين الكائنات الحية بشرية وسفلية وسماوية بالعلاقة بين نمل ونحل الأرض؛ فالنمل يعيش جنبا إلى جنب مع النحل، كلاهما لا يتدخل في حياة الآخر، ولكن يستحيل

للنمل رؤية النحل، بينما قد يلمح النحل النمل -عَرَضًا- بدون أن يهتم.. السماويون هم النحل والبشر هم النمل.. بينما يمثل أسياذ عالم مصر السفلي (دوات) نوعًا مختلفًا من النحل يقطن تحت الأرض، ولكنه يستطيع أيضا رؤية النمل من حيث لا يمكن للنمل رؤيته.. يخترق هذه القاعدة أهل (أطلانتس)، ويمكن تشبيههم بنحل يدب على الأرض بجوار النمل، ولكنه يظل نحلاً غير مرئي للنمل..

قالت بصوت مرتفع:

- ما يحدث الآن أن النحل يهاجم النمل!

ابتسم (أوزيريس) رغما عنه وهو يقول:

- أعتقد أن البشر هم النمل!

تدخل (تحت) ليدلو بدلوه قائلا بصوته الرفيع:

- لن يكون البشر هدفا أبدا.. لقد كانت أرضهم مجرد وسيلة لتحطيم حواجز الدهر فقط لا أكثر.. ما يحدث الآن أن أسياذ (بابل) يقومون بإعداد الغدة لاستقطاب جيوش قوية قادرة على غزو (أطلانتس) لا الأرض نفسها.. وكل ما لدينا من معلومات -بالتعاون مع ما وصلنا من معطيات عن طريق الأطلانتيين- لا يتعدى أن قائدا عسكريا سماويا من أسياذ (بابل) شديد البأس -اسمه (مردوخ)- على وشك الانقراض على (أطلانتس)، وأن ساحرا تابعا له -يلقب ب(النمرود)- هو من قام بالتسبب في كسر حواجز الدهر.

صمت ليكمل تدوينه الأبدي، بينما نقلت (إيزيس) نظراتها بين (أوزيريس) و(أنوبيس) قبل أن تقول:

- سنساعد الأطلانتيين بالطبع؛ إنهم حلفاء لنا..

بدأ (أنوبيس) ينظف كفتي الميزان وكأنه أنهى ما بجعبته من حديث ذي شأن، بينما ردّ عليها (أوزيريس) موضحاً:

- سنساعدهم بدون أن نورّط أنفسنا في الحرب، وبدون أن يقال إننا لم نساعد حلفائنا.. في الأخير إنها ليست حربنا حقاً..

سألته (إيزيس) بشغف:

- وكيف يمكن مساعدة الأطلانتيين بدون الدخول في الحرب؟!

قال بدهاء:

- ومن ادعى أننا لن نخوض الحرب؟!

- لا أفهمك!

برقت عينا (أوزيريس) لوهلة قبل أن يقول بتلذذ:

- سنستدعي أقواماً يحبون الحرب خُبْك للحياة، فرقة تم عزلها - لتمردها- منذ قرون ببركة (أُمّت) النارية بدون أن يتم السماح لها بأكل قلوب أفرادها.. المنفيين الأموات الأحياء.. سنستدعي أرواح متمردي التاسوع!



آتوم



شو



تفنوت



جب



نوت



ست



نفتيس



أوزوريس



إيزيس

التاسوع المقدس

الأصل

(يرتبط بشر (كيميت) بعالمين موازيين: عالم علوي وآخر سفلي.. وهم في هذا يتشابهون مع بشر ما بين النهرين، والذين يرتبط عالمهم البشري بعالم سماوي، حكمه أسياذ الصواعق رذحا من الزمن قبل أن يغتصب منهم الحكم أسياذ الحديد، وعالم آخر سفلي تحكمه السيدة (إرشكجال) بيد من حديد، يساعدها في الحكم زوجها (نرجال) وآخرون عديدون...

الصورة الكبرى لباقي العوالم الموازية لحضارات الأرض لا تهملنا الآن، وفيها من التفاصيل ما يطول شرحه لحد الملل.. ما يعنينا الآن هو هاتان الحضارتان البشريتان، حضارتا (بابل) و(كيميت) العتيقتين، وما يوازيهما من عوالم علوية وسفلية.. ولا ننسى هنا الحضارة الخفية الضخمة المتقدمة، الموازية للأرض كلها بجميع حضاراتها التاريخية المتعاقبة، ألا وهي حضارة (أطلانتس)، والتي هي ليست بشرية بالطبع، كما هي ليست بالسماوية ولا السفلية كحضارتنا أو حضارة ما بين النهرين. إنها فقط تتواجد مع حضارات البشر كلها، مشاركة إياها نفس الحيز المادي الأثيري الأرضي، ولكن يفصلها عنهم جدار ذهري ذو اتجاه واحد، يسمح للأطلانتيين فقط - برؤية البشر..

يعلم القليل من الكائنات السماوية والسفلية أن هناك حواجز غير مرئية تمنع اختلاط هذه العوالم، تلقب بحواجز الدهر، وهي ما تمنع أية محاولة من الكائنات غير البشرية للتدخل السافر في شؤون البشر، وذلك بجعل كل العوالم المتوازية مرتبطة بنفس

القَدَر جغرافيًا، فزوال نهر -على سبيل المثال- من أي عالم يقابله على الفور زوال نفس النهر بجميع العوالم الموازية السماوية، وهو ما يجعل أي تغيير بأرض البشر يأتي بنتائج عشوائية -وكارثية- على الكون كله، تأثير فراشة شديدة الوطء كان له تأثير فعال للغاية في حماية الأرض -المطمع الأكبر- من أطماع جميع كائنات الكون الموازي، وحماية باقي العوالم الموازية من نفسها.. مهندس الكون الأزلي حكيم بما يكفي ليؤمن الحماية لأطفاله الفانين البشر.. حتى حدث المحظون، وقام ساحر بابلي يدعى (النمرود) بتسريب سحر السماء للأرض -عن قصد- في خرق هادر للقوانين التي وضعها مهندس الكون، خرق أخل بموازين الدهر وقوّض حواجزه الأزلية، سامحًا بتحرير أطماع الغزاة المخبوءة بالصدور منذ قرون تجاه البشر وأرضهم ومواردهم.. فالآن يمكن العبث بحرية بكل العوالم، بلا خوف من تأثير جانبي إجباري قادر على تحويل أي النصر لهزيمة نكراء..)

اعتدلت (إيزيس) مبتعدةً عن جذع القصب الأخضر شديد السماكة مقارنةً بقصب الأرض. تربعت وهي تحني رأسها واحةً ذقنها الدقيقة براحة يمناها المفرودة. ألقت نظرة مباشرة وفاحصة على وجه جليساها جعلتها أكثر سحرًا وجاذبية، ولكن لم يبدو أن جليساها -المخلق فوق مستوى الأرض بقليل- يعبأ بوجودها من الأساس وهو يحك طرف منجله الأسود المعقوف مكملًا بشيء من الحيرة:

- ولكنك تعلمين كل هذا بالفعل يا سيدتي.

قالت ببساطة وبدون أن تحوّل نظرتها العابثة عنه:

- لنبدأ بما أجهله إذًا!

قال (تخوت) محدقا نحو السماء:

- ليست كل المعرفة محوًا للجهل؛ فمن المعرفة ما يسقطك أسيرةً بأعماق جهل سحيق جديد. ولكن ليس كل الجهل أسوأ من المعرفة على كل حال!

قالت (إيزيس) وهي تلوح بورقة خضراء ساقطة:

- العوالم السماوية والسفلية، أهنأك المزيد منها باستثناء العالمين الموازين ل (كيميت) و (بابل) البشريتين؟

- تعلمين أن الجواب هو نعم. تريدان معرفة هذه العوالم.

- نعم. حضارات تلك المناطق الأكثر الشرقية والغربية، الأقصى شمالًا وجنوبًا. لقد قمت برحلات بين هذه العوالم الموازية لحضارات البشر عبر التاريخ، ولكنها ظلت رحلات خاطفة لا تسمن فضولي شديد النهم، بالإضافة للمراقبة اللصيقة التي يوليها لي (أوزيريس)؛ خوفًا علي من أي ضرر قد ينالني أثناء هذه الجولات.

- علم لا ينفع.

- ولكنه يظل علقًا.

- تنقصك القناعة.

- تفيض لديك عن الحد المقبول.

أخذ (تخوت) شهيقا عميقا قبل أن يبدأ الزفير بالاستطراد مباشرةً وكأن (إيزيس) لم تقاطعه أو تسأله منذ لحظة:

- ما يهمنا معرفته هو عالمنا الموازي لعالم (كيميت) البشرية، العالم الذي كان واحدا سماويًا رَثَقًا قبل أن يتم فتقه لعالمين منفصلين إثر تمرد التاسوع. لابد أنه غضب مهندس الكون الذي يراقب كل الموجودات بلا كلل أو ملل منذ الأزل وللأبد. قرار حكيم خلق عالما سفليًا - (دوات) - وجعل قاطنيه هم الحكّام المسؤولين عن عقاب متمرد التاسوع، ثم امتدّت سلطة قاطني عالم (دوات) - نحن - لتشمل محاكمة أرواح البشر الكيميتيين بعد مفارقتهم لحياتهم قصيرة الأمد، بينما ظل العالم السماوي السابق يعج بالعامّة - مثله كعالم البشر - ولا يحتوي على سيد واحد، تملؤه آثار حياة وحلّ وترحال أسياد التاسوع الغابر، وكأنه درس باقٍ يعلم كل من لديه عقل بأن عواقب التمرد على قوانين الكون لا تأتي بأي منفعة.

قاطعته (إيزيس):

- يتصرف أسياد (بابل) هؤلاء وكأنهم تاسوع متمرد جديد ولكن بابلي. يريدون تغيير ناموس أزلي وتحدي مهندس الكون.

قال (تحت) وهو يميل بأصابعه الطويلة ليرسم خطوطًا متقاطعة على الرمال الذهبية الصفراء لحقول (يارو):

- لقد ظن هؤلاء المتمردون من التاسوع أنهم آلهة حقا ولا سلطة للطبيعة نفسها عليهم. جمعوا الجموع وأعدّوا العدة لغزو باقي العوالم السماوية، أرادوا التوشع شرقًا وغربًا وتخطي حواجز الدهر بالقوة؛ لتوسيع نطاق مملكتهم التي ظنوها أصغر من عظمتهم. ترأسهم السيد (أتوم) ملقبًا نفسه برب الأرباب، مستغلا قوته في خلق والتحكم في النيران والحرارة وكأنه شمس متجسدة. انضم

إليه سيد الهواء (شو) وسيدة الماء (تفنوت) ليكونوا حلفاء صغيرا ثلاثيا، ثلاثي مدمر يجمع ثلاث من قوى الطبيعة العاتية: النار والماء والهواء. ثم تزوج سيدا الهواء والماء لينجبا سيدة السماء الشافية والحامية ووالدتك (نوت)، وسيد الأرض المهيّب والدك (جب). ومن تزوج (نوت) و(جب) جاء الأربعة الذين كان وجودهم سبب في تغيير مصير عالمنا كله.

رددت (إيزيس) كالحالمة:

- أنا وأخي (أوزيريس) وأختنا (نفتيس)...

أكمل (تحت) بنبرة خشنة:

- ولا تنس الأخ الباقي (ست).. ما زال يملك قرابة الدم معك ومع ملكنا..

قالت (إيزيس) وقد غمرها حنين للماضي ولعالم (كيميت) السماوي الغابر:

- امتلك (أوزيريس) من الحكمة ما لم يكن من نصيب أي كائن حي بعالمنا. شاءت الطبيعة أن تهبه قوى لا تمت لعناصر الطبيعة بأي صلة، لقد كان سحر الموتى هو سر تفرده. بينما اكتشفت قواي منذ نعومة أظفاري: قدرتي على التعامل بمنتهى اليسر مع السحر؛ وهو ما ظنه (أوزيريس) أشد فتكا من امتلاك قوى كل عناصر الطبيعة، وجعلني أخفي هذه الموهبة خوفاً وطمعا. أخفيها عن الجميع سواء كانوا الأسياد الخارقين أم العامة الذين لا ناقة لهم ولا جمل في هذه المعادلات والتنافسات الكونية.

- لم تنجحي في إخفاء قدراتك عني.

- وكيف أخفي قدراتي في التعامل مع السحر عن سيد السحر نفسه ؟

- أَفْضَلُ لقب سيد العلم والمعرفة.

- هذا يعني السحر السماوي بلغة مماثلة.

- تعنين لغة البشر الموهومين.

- لم يعد وهماً بشكل كامل بعد أن التقطوا خيوطاً من سحر السماء بالفعل في (بابل).

ردد (تحت) بنبرة مختلفة:

- هذه هي الكارثة؛ ما اعتقدوه سبباً من أسباب القوة لن يؤدي بعالمهم لسبيل سوى التخلف والفناء.

- عالمنا ذاته كاد يفنى من قبل إثر صراعنا الأهلي الدموي، عندما سارع (أوزيريس) بتكوين حلف سري قوي شملنا نحن الاثنين بالإضافة لسيد الموتى (أنوبيس) وآكلة القلوب (أمّت) وشقيقتي (نفتيس) ذات الأجنحة. نجحنا في الوقت المناسب في صدّ هجوم متمردي التاسوع في مهده، منعناهم من تدمير حواجز الدهر تمهيداً لغزو باقي العوالم.

ترك (تحت) النقش على الرمال وشرّد بذهنه قبل جوارحه في الماضي القريب وهو يقول:

- كانت حرباً لم يحدث مثلها في تاريخ الكون قط.. حرب التاسوع

الأهلية والتي ذكرها التاريخ باسم حرب العروش الخاوية؛ بسبب انتهائها بزوال عرش جميع أسياد التاسوع، سواء المنتصرون أم المهزومين؛ فالمنتصرون هبطوا بعدها لعالم (دوات) السفلي، بينما تم نفي المهزومين لأعماق البركة النارية لأكلة القلوب (أمت).. انضمت (نفتيس) لك لتتحد الشقيقتان مع شقيقهما (أوزيريس) ضد الشقيق الشرير (ست) الذي وافقت أطماعه أسياد التاسوع.. إنها حرب أجيال، حرب الآباء والأبناء والأحفاد ضد بعضهم البعض بلا أدنى شفقة.. ولما كانت قوة اتحاد ستة من الأسياد يستطيعون التحكم بقوى الطبيعة- قوة غاشمة، جبهة واحدة تشمل قوى عناصر الطبيعة كلها من نار وهواء وماء وأرض وعواصف وسماء، اضطر حزب الجيل الحديث للاستعانة بقوى قادرة على معادلة ميزان القوة، بل وعكسه لصالحهم.. وهكذا تم الزج بي - (تحت)- و(أنوبيس) و(أمت) لنصبح ستة، في مواجهة الأسلاف الستة الملقبين بمرتدي التاسوع.. كانت حربًا رجت العالم رجًا، حربًا ما زلت أستطيع استدعاء تفاصيلها وأصوات التحاماتها وانفجاراتها المهلكة.. صيحات المحتضرين وأثبات المجروحين.. (أتوم) خلق شموسا مهلكة كانت تضرب بدون تمييز وتجعل حرارة ساحة المعركة تكاد تغلي.. (شو) جعل مجرد الوقوف بساحة القتال ضربًا من الخيال بما كان يقذفه من ريح عاصفة.. (تفنوت) كانت تقذف بشلالات وسيول الماء مدرارا علينا فتجلدنا بلا هوادة.. (جب) تحكّم بالأرض فكان يلقينا بجوفها ثم يغلقها علينا كسجن محكم.. (نوت) التي أطبقت علينا السماوات عدة مرات وكادت تسحقنا حرفيًا باستدعائها لأجرامها الكونية الراجعة.. ثم (ست) الذي لا يعوقه أي عنصر طبيعة من

هجومه الفردي السريع كلمح البصر على خصومه هجوما فرديا كاد يفتك من خلاله بروح (أوزيريس) شخصا، لولا تدخل (أنوبيس) -حارس ملكنا الشخصي- بتعاويذه السريعة البتارة..

لمعت عينا (تحت) وهو يرمق السماء -التي لم يعد يراها- بشغف، مستعيدا لحظات المعركة وكأنه يراها واقعا بديلا، قائلا بلهجة فيها من الحماس الكثير:

- تصادمت قوى الطبيعة مع سحرنا الذي لا نذ له.. متمردي التاسوع الستة أسياذ الطبيعة، ضد أسياذ السحر الستة.. أنا أرمي بالتعاويذ القاتلة الهجومية.. (أنوبيس) يدافع بتعاويذه الحامية.. أنت -يا عذراء الكون وسيدة أسرار- أظهرت براعة نادرة أذهلت آبائك وأجدادك في تطويع السحر للقتال، وخلقت ثنائيا متجانسا وقاتلا مع شقيقتك (نفتيس) ذات الأجنحة.. ثم جاء دحرهم على يد (أوزيريس)، الذي قهر خصومنا بفنه المميز بسحر استخلاص الأسرار من الموتى، والذي استخدمه على أول ضحايا المعركة، جثة والدكما السيد (جب)، لتصبح الأرض ملكا لنا.. ثم امتلكننا قوة الماء بعد اغتيالنا ل(تفنوت) جدتكما واستخدام (أوزيريس) لأسرار جثمانها.. حينها أيقن قائدهم ومحرضهم السيد (أتوم) أن المعركة ستكون عواقبها وخيمة في حال هزيمتهم أكثر مما تخيل، فسارع بالاستسلام قبل أن تصبح قواه -هو ومن تبقى من أسياذ الطبيعة- بين يدينا بواسطة سحر (أوزيريس) المخيف.. حينها هبط ذلك الكيان، آتيا من فوق كل العوالم، واصفا نفسه بالملاك، حاملا معه الخبر بخلق عالم سفلي سيكون ملكا لنا، وسنتولى من خلاله الحكم على أرواح أموات أرض البشر ب(كيميت) الموازية لنا، كامتياز لنا

على تصدينا للمتمردين على قوانين الكون. بينما تم إصدار الحكم من قبل مهندس الكون بنفي من تبقى من متمردي التاسوع لبركة (آمت) النارية حتى حين. وهكذا انتهى ذكر (أتوم) و(شو) و(نوت) و(ست) - مؤقتًا- بينما انمحق وجود (تفنوت) و(جب) للأبد..

عم صمت هادر بين الاثنين عقب ذكر تفاصيل معركة العروش الخاوية.. كل يتذكر جزء من المعركة بمنظوره الشخصي.. ثم لم يلبث (تحت) أن تخلص عن تحليقه وقدماه تلامسان رمال الأرض الذهبية، فقالت (إيزيس) محتجة:

- لم أظفر منك بشيء سوى الذكريات.

أولاها ظهره قبل أن يحلق نحو السماء، وكلماته تتردد بسمعتها:

- وهل هناك ما هو أعذب من الذكريات يا عذراء الكون وسيدة أسرارته؟

عودة المنفي

(أي كرم هذا الذي اكتسبته أيها الملك بعد حين من الدهر؟!)

لم يبدو على وجه الملك (أوزيريس) ما يوحي أنه قد سمع ما تفوه به السجين المتحرر لتوّه. فقط اعتدل في كرسي العرش، وهو يحدق في شرارات النار التي كانت تضيء أطراف ثوب السجين على استحياء لحوان، قبل أن تخمد وتذوي جذوتها تمامًا. بدا مهتمًا للغاية بما حدث وهو يتمتم بشرود:

- كيف تكون سيدًا متحكمًا بالثيران ويكون منفاك بقلب بركة من نار؟!

أريدت ملامح وجه السيد (أتوم) وهو يهتف محتدا:

- أأخرجتني لتهينني؟ ليست هذه بصفات الملوك حقًا.

كان فارق العمر واضحًا بين الاثنين، ولكنه لم يبدو بالفعل كالفرق بين ثلاثة أجيال؛ فقد كان عمر (أتوم) يقارب عمر (شو) والراحلة (تفنوت)، جد وجدة الملك (أوزيريس)، وِضَغَفَ عمر (نوت) والراحل (جِب) والدا الملك. ولكنه بدا فقط أشبه بشقيق الأكبر ل(أوزيريس)، بتلك التجاعيد السميكة التي تناثرت بوجهه، متكثفةً حول عينيه ومكسبة إياهما تأثير مهابة مضاعف. كانت ملامح وجهه بشرية -ك(أوزيريس)- ولكن بلون بشرة قمحي لا أخضر. كان التاج المزدوج بلونيه الأبيض والأحمر يضيء فوق رأسه، لتنعكس إضاءته على صدره المكتظ بالعضلات، بينما تدلى إزار ذهبي أنيق من جذعه حتى أسفل ركبتيه. بدا كملك لا أقل، كأحد ملوك (كيميت) الأرضيين،

ولكن بجسد ضخم الحجم كأجساد الثيران.

قال (أوزيريس) بهدوء:

- ليست إهانة، مجرد ملاحظة نطقها بصوت مسموع.

- دع أفكارك صامتة كما هي، لست مغرماً بسماعها كالمتلمقين المحيطين بك.

زمجر (أنوبيس) -الواقف بجانب الملك- بدون أن يتحرك قيد أنملة، بينما أخذت (آمت) خطوتين باتجاه (أتوم) وهي تقول بسخرية:

- أتريدني أن أعيده سيرته الأولى؟ أعماق بركتي النارية؟

لم يرد (أوزيريس)، اكتفى بإشارة صامتة من سبابته نحوها لتتوقف عن التقدم نحو (أتوم)، ثم قام من كرسيه بحركة سريعة أعقبها بالنزول عدة درجات ليصبح في مواجهة (أتوم) الذي فاقه طولاً وضخامة، ولكن بددت تلك النظرة الصارمة التي كست وجه الملك أي فارق جسدي بينهما. لقد بدا كملك حقاً كما يجب أن يكون، ملك ثائر لا يهاب أي مخلوق كان. خرجت الكلمات من بين شفثيه ببطء وهو يقول:

- لقد سفكت دم جدتي (تفنوت) بيدي ولم يطرف لي جفن، انتزعت روح أبي (جب) وكأنه لم يكن السبب في وجودي. لن يردعني رادع عن التخلص من وجودك بنفس اليسر إن تفوّهت بأي تهديد في حضرتي. أتمنى ألا يكون طول أمد فترة نفيك قد قلل من حكمتك التي كان لها الدور الأكبر في الخروج من معركة العروش الخاوية

بأقل الخسائر لتمرّ دكم الفاشل.

انقلبت سحنة (أتوم) لوهلة وتضاعفت تجاعيد وجهه وضافت عيناه، بدا أكبر سنًا بكثير، بدا الآن كجد (أوزيريس) بالفعل، ولكنه لم يلبث أن لان مبتسما بكياسة، وقال بشيء من الخبث:

- قد لا تسير الأمور على نفس وتيرتها السابقة إن عادت الكثرة. لا تراهن على السحر مرة أخرى ضد قوى الطبيعة، لا تراهن ضد قوى الطبيعة في كل الأحوال.

التقط (أوزيريس) طرف الخيط من كلماته وسارع بالقول مبتسما بقسوة:

- إذا لا داعي من استدعائك أنت وباقي متمردي التاسوع!

بدا (أتوم) مهتما وسأل بجدية للمرة الأولى:

- هل لي أن أعرف سبب الاستدعاء؟

قاطعته (آمت) بنخرة قبل أن تقول بنفاد صبر:

- اعتقدت أنك ستسأل هذا السؤال بمجرد تجسّدك خارج بركة النار!

زمر (أنوبيس) مجددا ولم ينطق، بينما بدأ (أوزيريس) يستطرد على الفور بعد أن ضاق ذرعا بحرب الألعاب الكلامية هذه:

- عندما بعث مهندس الكون الأعظم بالملاك ليقوم بنفيكم وخلق عالم (دوات) السفلي وترك العالم العلوي حصريا للعامة، أعطاني سلطة مطلقة في تيسير مقاليد هذا العالم الجديد، بما فيها مصيركم

بالمنفى. وهو ما قررت أن أغيره أخيرا، فأنتم في النهاية أقاربي،
وفيكُم أُمي (نوت) وجدي (شو)!

لم يطرف رمش ل (أتوم) وهو يصمت منتظرا المزيد، وإن بدا في
لمعة عينيه ما يوحي باستمتاعه بما يسمع. فأكمل (أوزيريس) وهو
يسير حول (أتوم) ببطء في شكل دائرة وكأنه يطوف حوله:

- هناك حرب قادمة تكاد طبولها تدق. أسيا د (بابل) السماويون
حشدوا أقوى محاربيهم من أجل غزو الأرض؛ تمهيدا للهجوم عليهم
وعلى (أطلانتس)، حلفاؤنا.

قام (أتوم) بالتعليق باهتمام هذه المرة وكأنه يتناقش مع
(أوزيريس):

- حتى ولو لم يكن الأطلانتيون حلفاءنا، لا ينبغي ترك أي فصيل
يستولي على أرض البشر، الأمر أشبه بترك جيش يستوطن داخل
حدودك وبالقرب من عاصمة حكمك.

أيقن (أوزيريس) من ردّ (أتوم) أن عقله ما زال محافظا على صفاء
ذهنه كما كان قبل النفي، وقد أراحه هذا كثيرا، ولكنه لاحظ أيضا
مخاطبة (أتوم) له بضمير الجمع (حلفاءنا) وكأنه صار معاونا رسميا
له في الحكم واتخاذ القرار. حرص على إخفاء مشاعره وهو يستطرد
بنفس النبرة المعتدلة:

- أتفق معك تماما، وهذا ما دفعنا للتفكير بإعداد جيش قوي ليواجه
أسيا د (بابل) هؤلاء والذين تصادف أنهم أسيا د لعناصر الطبيعة.

هز (أتوم) رأسه بتفهم وهو يقول:

- أخيرا فهمت.. تريد ضرب أسياد الطبيعة بنظرائهم.

- حكيم بما يكفي.

- ولكن إن كنت تؤمن بقوة سحرك، سحركم، لماذا لا تقومون أنتم بمثل هذا الهجوم؟

توقف (أوزيريس) عن الحركة، ووضع يديه على منكبي (أتوم)، قائلا بلهجة فيها شيء من اللين غير معتاد:

- أنتم من دفعتم بنا دفعا لمثل هذه الحرب الأهلية.. أجبرتمونا على قتل دمناء، هذا هو ما فعلناه كزها ولم ينقصنا بعده الشعور بالندم.. لذا كنت أتحين فرصة مثل هذه منذ حينها، فرصة أخرى لتصحيح خطأكم الغابر.. وتذكر أن مهندس الكون كان حكيما بما يكفي لنفيكم بدلا من إعدامكم، وهو ما أرى فيه ما هو أكثر بقليل من الحكمة؛ أرى فيه تبصرا ورغبة في عودتكم للتكفير عن ذنوبكم..

التفت (أتوم) بجسده لينظر لعينا (أوزيريس) مباشرة، والأخير يختم كلماته قائلا:

- ما زالت الفرصة سانحة أمامكم جميعا للخروج من المنفى.. وفور عودتكم من هذه الحرب منتصرين، أعدك -بصفتي ملك عالم (دوات)- سأعطيكم الإذن جميعا- بالعودة مجددا لعالمنا العلوي، وحكم العامة مجددا هناك كأسياد التاسوع لا متمرديه.. لكم عالمكم السماوي العلوي ولنا عالمنا السفلي، هذا وعد ملكي لا رجعة فيه..

برقت عينا (أتوم)، كان هذا أكثر مما تمنى بالفعل. ووجد الكلمات تسبق تفكيره وهو يقول:

- هذا تَفْضُلٌ لم أكن أحلم به حقًا.. ولكن هل لي أن أعلم لأيّ عالم ينتمي هؤلاء الأسياد الذين سنقوم بسحقهم؟

- أسياد بلاد ما بين نهري (دجلة) و(الفرات)..
برقت عينا (أتوم) وهو يقول:

- (سومر)؟

- أنت قديم العهد قليلا.. أصبحت الآن (بابل).. حضارات أرضية متعاقبة واكبت أسياد سماويين متتاليين..
- هذا يغير الاتفاق قليلا..

نظر (أوزيريس) نحوه بتساؤل صامت، فأكمل (أتوم):

- ذاكرتي تتوقف عند (آنو) سيد الصواعق و(أبسو) سيد الماء السومريين، لابد وأنه أتى من نسلهما ونسل غيرهما الكثير.. وما دام هناك جزء من أعدائي مجهولين، فسأحتاج لبعض الدعم..

- من تريد بالتحديد؟ لا يمكن لأحد من أسياد (دوات) ترك العالم والمشاركة في هذه الحرب.. ليس لدينا البديل المناسب على الأقل..
رفع (أتوم) حاجبيه بخبت وهو يتساءل عابثا:

- من تحدّث عنك أنت وأسياد السحر الأربعة الآخرين؟

سأل (أوزيريس) بإصرار:

- من تريد؟ تلقّظ بالأسماء.

قال على الفور وكأنه مستعد للجواب مسبقا:

- أربعة فقط.. ملك الشواش، التعبان (أبيب).. سيدة الحرب،
القواسة (نيت).. سالق عظام الآلهة الليث (شيزمو).. وسلطان الشم،
الكوبرا (أورا يوس)..

هز (أوزيريس) كتفيه وهو يقول:

- طالما لم تحتوي الأسماء أيًا من أسياد السحر فلا تثيربك عليك..
لك ما تريد.. وعليك أن تفعل ما أريد..

فرقع (أتوم) بإصبعيه الإبهام والوسطى بطريقة درامية وهو يقول
موزعا نظراته بين (آمت) و(أنوبيس):

- متى سنبدأ الزحف إذًا؟

الأسياذ الأربعة

تجسدت ثلاثة كيانات مبهمة خارج البوابة الرئيسية لقاعة عرش الملك (أوزيريس)، ثم لم تلبث أن بدأت تتضح تفاصيلها رويدا رويدا. وتمعن (أتوم) اتضاح تفاصيل الجسد لكل منهم باهتمام، الأول جسد ذكوري نحيف القوام، وريشة طويلة يتلاعب بها ربح خفي تبدو وكأنها فوق رأسه. الثاني جسد طويل عضلي برأس مفلطح صغير حيواني. والثالثة كانت أنثى قصيرة مكتنزة يبدو واضحا التاج الرفيع يكلل هامتها. التفت (أتوم) خلفه، يراقب (آمت) وهي توليه ظهرها مغادرة بلا اكتراث بعد استدعائها لباقي متمردي التاسوع من منفاهم بأعماق بركتها النارية. ثم عاد لينظر للأسياذ الثلاثة، رفقائه بالمنفى ونظرائه في السيطرة على عناصر الطبيعة.

أول من اكتمل تجسده كان (شو)، سيد الريح. وقف بقامته النحيفة وجذعه العاري، وعلى صدره تتدلى علامة مفتاح الحياة (عنخ) المتوهجة، بطرف قلادة ذهبية تطوق عنقه. تلالأت أساور ذهبية بمعصميه وكاحليه، وكأنها نُقِشت نقشا دائما بجلده. وكانت ربح خفية تتلاعب بإزاره السفلي الفيروزي، وكذلك بتاج رأسه -فيروزي اللون أيضا- المكلل بريشة رأسية ذهبية. كان متناسق القوام رغم نحافته. وكانت ابتسامة عريضة ملتصقة بوجهه الوسيم بشري الملامح وهو يقول بصوت جهوري يحمل سخرية لاذعة:

- وأخيرا خارج تلك البركة القذرة.. لمن يجب أن أوجه شكري يا (أتوم)؟

أجابه (أتوم) باقتضاب:

- (أوزيريس)!

برقت عينا (شو) بجذل للحظات قبل أن يقول بنبرة مجلجلة:

- كنت سأسألك منذ وهلة عن مكانه لأسارع باغتياله والثأر منه!

- لقد تغير الكثير في هذا العالم منذ نفينا..

اكتمل تجسد (ست)، الكائن عضلي القوام حيواني الوجه. مرتديا غطاء رأس أسود اللون يغطي وجهها مفلطحا يجمع بين ملامح الكلب والعلب والذئب، بعينيه اللوزيتين وأذنيه الطويلتين المستقيمتين. وإزارًا سفليًا أحمر ينسدل على ساقين طويلتين تنتهي بقدمين مفلطحتين ذواتا مخالب. وكان ذيله الطويل يتلوى خلفه، ويمسك بيد ذات أصابع بشرية رمحا قصيرا بارق الطرف. وكانت عضلات صدره بشرية المظهر مكسوة بالكثير من الشعر المتناثر الخفيف. اكتفى بأن علق ببرود وبصوت جاف:

- لقد سمعت هذا وكنت أظنه هذيان الانتقال من المنفى. هكذا إذا فأتتني فرصة تعويض فشلي في اغتيال (أوزيريس) بمعركة العروش الخاوية. لقد أصبح ذا فضل علينا. أليس كذلك يا سيد الشمس والنيران واللهب؟!

لم يردّ عليه (أتوم)؛ لم يكن الوقت مناسباً لتلقي اللوم والاختلاف. يكفيهم جميعاً ما نالوه من وضع شاذ أشبه بِشَبَاتٍ وإِ لسنين، لا يتحركون ولا يأكلون ولا يشربون، يكتفون بمراقبة من تلتقمهم البركة النارية من أرواح تعيسة آثمة قبل أن تمزقهم (آمت) نفسها أشلاءً بأنيابها ومخالبها، وهو ما لم يكن محبباً للنظر كثيراً؛ خاصةً

كونه النشاط الوحيد الذي كانت تلتقطه حواسهم بمنفاهم الأثيري هذا. لذا ترك (أتوم) كل سيد من الثلاثة ينقُص عن ضجره الساخط ولو ببضع كلمات.

تابع (أتوم) الجسد الأنثوي ل(نوت) سيدة السماء يتكوّن على مهل، ليُسفر عن القامة القصيرة الممتلئة، ذات الوجه دقيق الملامح أزرق لون البشرة الذي يعتليه تاج ذو قرنين ذهبيين ملتفين، والرداء الذهبي الذي يغطي جسدها كله، والمرصع بالنجوم الفضية المتألّثة. وكان شعرها شديد السواد والكثافة يهبط على كتفيها مُصَفَّرًا بحلقات ذهبية صغيرة. بدت أشبه بفتاة صغيرة بريئة الملامح غضة القوام والقسمات، رغم حقيقة كونها والدة (ست)، ووالدة (أوزيريس) و(إيزيس) و(نفتيس) أيضًا، ولكنها بدت بجانب أيّ منهم مماثلة في العمر، ولم يكن هذا بالعجيب؛ إذ كانت تمتلك -بجانب كونها سيدة السماء والنجوم والكواكب والفلك- قوة شفاء سحرية جعلتها لا تشيخ بسهولة.

وعلى النقيض من (شو) و(ست)، لم تنبس (نوت) ببنت شفة، واكتفت بإلقاء نظرة سريعة على السماء حددت من خلالها موقعهم على الفور، فتمتعت بلهجة عملية ونبرة حادة شبه طفولية:

- نحن بعالم سفلي.. يبدو أنها كانت معركة عروش خاوية حقا؛ فحتى من انتصروا علينا هبطوا من العالم السماوي الغابر، ونقلوا ديارهم ومعيشتهم لدار سفلية.

قال (شو) ساخرا:

- هذا يلطف من إحساسي بالهزيمة حقا يا ابنتي!

كما كانت (نوت) والدّة ل(ست)، فهي أيضا ابنة (شو). وهكذا كان الثلاثة يمثلون تعاقب أجيال فريداً من نوعه، يقفون قدما بقدم وكأنهم أقران لا أجيال، (شو) و(نوت) و(ست)، بينما كان (أتوم) الجد الذي يماثل (شو) في العمر- ينقل نظراته بينهم الثلاثة، وكأنه يتيقن من وجودهم حقا بالعالم المادي الحقيقي ذي الملمس والرائحة، لا العالم أحادي الأبعاد الكريه الذي نفاهم إليه بقوته الجبارة ذلك الكيان الملقب بالملاك، الساقط من أعلى سماء.

أخذ (أتوم) نفسا عميقا قبل أن يقول بهدوء:

- لدينا مهمة أوكلنا بها.. مهمة من النوع الذي يروقنا ونروقه..

قاطعه (شو) بحرارة:

- معركة! دماء وأشلاء! خصوم من عالم آخر والقضاء عليهم واستعمار عالمهم!

أكمل (أتوم):

- ولدينا وعد ملكي باستعادة حريتنا وحياتنا إن نجحنا في دحر أعدائنا..

سألته (نوت) ببرود ثلجي:

- أعداؤنا أم أعداؤهم؟

- أعداء الأمس ملوكنا اليوم.. وأعداء ملوكنا هم أعداؤنا اليوم..

تدخل (ست) ليقول بصوت كالنباح:

- أفضلهم حلفاء لا ملوكًا.

هز (أتوم) كتفيه مغمغما:

- في الحالتين أعداؤهم هم أعداؤنا.

سألته (نوت) وهي تقترب منه ببطء:

- وهل سيشاركونا هذه المعركة؟

تردد (أتوم) أمام نظرات الثلاثة المترقبة للجواب، قبل أن يقول بسرعة:

- ستكون معركة أمام أسياذ لقوى الطبيعة - مثلنا - من حضارة بين النهرين، لذا اخترت حلفاء أكثر منفعة من أسياذ سحر.

قال (شو) وهو يكاد يضحك:

- أقسم بقوى الطبيعة كلها، أننا لم نكن لنخسر معركة أمام أسياذ سحر مهما تكررت وتغيرت الظروف، لقد كان حظهم أن الاستثناء هو ما حدث بالمحاولة الأولى.

نبح (ست) وهو يقول:

- كان طرف رمحي على عنق (أوزيريس).. لا أصدق ما حدث حتى الآن.. حظ الأطفال الثلاثة - أشقائي - كان عجيبا..

أضافت (نوت) وهي ترفع يدا زرقاء لون الأصابع من تحت طرف رداثها الذهبي:

- (تحوت) و(أنوبيس) كانا مفاجأة المعركة.. سنتخلص منهما

بمجرد بدء المعركة القادمة على الفور..

زفر (أتوم) بضيق وهو يقول بعصبية:

- لسنا هنا بصد مناقشة هزيمتنا وانتقامنا.. من تتحدثون عنهم هم أصحاب قرار تحريرنا، وهم من أعطونا وعدا بالعودة للحياة الطبيعية.. لدينا ما هو أكثر أهمية.. خصوم جدد لا نعرف عنهم إلا أقل القليل..

أدار (ست) رمحه في الهواء فوق رأسه قائلاً:

- لقد فقدنا سيدين قويين في تلك المعركة.. سيد الأرض وسيدة الماء.. نحتاج لبديلين لضمان النصر..

فَرَدَ (أتوم) أصابع يمينه الأربعة للأعلى وهو يقول بحزم:

- وفرت أربعة عوضاً عن الراحلين العظيمين (جِب) و(تفنوت)..

سألته (نوت) بتشكك:

- أسياد طبيعة؟

أجابها بانتصار:

- بل وحوش حرب هجينة تجمع ما بين السحر والطبيعة والقوة..

سأله (شو) بلهفة:

- هل نجحت في استقطاب ذلك الأسد سالق العظام؟

- (شيزمو).. بالتأكيد هو معنا.. أَتَذَكَّرُ وَلَعَكَ باستدعاء الأسود في

المعارك بشكل عام، ولا يوجد من هو أشد فتكاً من الأسد الوحشي

الذي يكسر وينتزع عظام خصومه وهم أحياء، مستمتعا بسلقها
والتهامها أمام أعينهم!

تمتت (نوت):

- هذا مريض للغاية!

بينما علق (ست):

- ستمثلان ثنائيا رائعا.

ثم نظر نحو (أتوم) بتساؤل صامت، فأجابه على الفور مبتسما:

- لم أنس بالطبع تفضيلك لمساعدة بسيطة من وحوش صغيرة
سريعة فتاكة أثناء انقضاضاتك الخاطفة الفاصلة؛ لذا استدعيت لك
الكوبرا، (أورايسوس).

ابتسم (ست) بطرف فمه - للمرة الأولى - وهو يقول باقتضاب:

- هذا جيد حقا!

ثم رنا (أتوم) نحو (نوت) قائلا:

- أما أنتِ يا سيدة السماوات، فأعلم جيدا أنك لا تحتاجين لحليف..
أنتِ وحدك جيش عرمرم عاتٍ لا يبقي ولا يذر.. ولكن..

قاطعته (نوت) سائلة باهتمام لتمنعه من استكمال حديثه عن
حليفها المستجد:

- من استدعيت ليكون شريكك يا سيد الشمس والنيران؟

لم يحب (أتوم) هذه المقاطعة، ولكنه اضطر للجواب على الفور،

رغم تفضيله لترك هوية شريكه في النهاية كأقوى مفاجأة:

- سيكون معي ملك الشواش والفوضى، أصل الشر الثعبان الملفف (أبيب)..
اختفت ابتسامة (شو) للحظة، نظر خلالها نحو (نوت) نظرة خاطفة، بينما أربدت ملامح وجه سيدة السماء الزرقاء لتتجلى فيها الكراهية وهي تقول معترضة:

- تستعين بخصمي اللدود؟ كيف يكون هذا؟

كانت عداوة سيدة السماء وسيد الفوضى لا تخفى عن أحد، وكثيرا ما دارت بينهما نزالات من أجل السيطرة على السماء، ظلت نزالات تبادل كل منهما النصر فيها مع الآخر فترة، ولم تستطع (نوت) حسم المعركة بشكل نهائي إلا باستعانتها بالسيد (رع)، أحد أسياد الطبيعة الذي جاء بقاربه السماوي وحاميته (نيت) القواسة، ليتم دحر (أبيب) حتى حين، وتسيطر (نوت) على السماء بما فيها للأبد. والآن يقوم (أتوم) بجلب (أبيب) حليفا لهم في المعركة القادمة وكأنه يجهل تاريخ عداوتهما السابق. ولكن سارع (أتوم) بالتفسير:

- لقد انتهت عداوتكما بانتصارك وسيطرتك على السماوات.. هذا شيء لا جدال فيه ولا تغيير.. ولكني فكرت في المنفعة العامة، الصورة الأكبر من مسافة بعيدة.. الإطار الأشمل.. تخيلي حربا يمتلك فيها أحد الأطراف زوجا من الأسياد لهما نفس القوة، أليس هذا معيرا للخيال؟ أليس هذا ضمانا للنصر؟

رمقته (نوت) ولم ترد.. حاولت قراءة عقل (أتوم).. تعلم جيدا أنه

أكثر خبثا مما يبدو عليه.. وأنه يضر أهدافا أكثر بكثير مما يبدىه..
وأن وجود سيد طبيعة مماثل لها في القوة ليس بالأمر الجيد من
ناحياتها، ولكن هل تملك فرصة الاعتراض؟

قالت بعد تفكير عميق:

- سأوافق على وجوده بشرط واحد..

- تمت الموافقة عليه..

قالها (أتوم) ببساطة، فقال (شو) بسخرية:

- تبيع الهواء يا (أتوم) ببراعة!

حدقت (نوت) في عيني (أتوم) بشيء من القسوة، فقال وهو
يتراجع خطوة للخلف مباعدا ما بين يديه وكأنه يسحب سهما من
كنائته ويمبته على قوسه:

- معك (نيت) القواسة بالطبع.. حليفك السابقة ضد (أبيب)..

زفرت (نوت) بضيق -ممتزج ببعض الارتياح- وهي تقول:

- حقا يا (أتوم) كما قال (شو).. أنت بارع في بيع الهواء!

ثم قالت بتسليم:

- هذا عادل بما فيه الكفاية..

أضاف (ست) مؤمنا:

- اختياراتك تضمن لنا النصر يا (أتوم).. أحيانا أشعر بالخوف من
مدى قدرتك على قرائتنا ككتب مفتوحة الصفحات أمام عقلك..

أطلق (شو) ضحكة ساخرة جديدة، في الواقع لم يكف عن إطلاق ضحكات مجلجلة منذ تجسده من بركة (آمت)، وهو يقول منها الحوار:

- والآن أصبح لكل سيد طبيعة أليف حيواني جبار.. متى سنبدأ الزحف إذا؟!

ما قبل الحرب

- لماذا تركتهم يحاربون معركتنا يا أخي؟
- ليست معركتنا بشكل مباشر.. ظننت الأمر واضحاً لك الآن..
- يحملون اسمنا في النهاية بهذه الحرب.. أسياذ عالم (دوات)..

زفر (أنوبيس) مبعدا نظراته عن عيني معشوقته (إيزيس) التي تستطيع قراءته كورقة بردي منقوشة. يعي جيداً ما يدور بداخلها من صراع، ويكاد يشتم رائحة غضبها المكبوت من عدم مشاركتهم لمتبردي التاسوع الحرب الوشيكة ضد أسياذ (بابل). كان يجلس القرفصاء بالفراغ محلقاً فوق قمة قصره الملكي، بينما كانت (إيزيس) لا تكف عن الحركة حوله، تكاد لا تخفي توترها، مبددة كل ما كان يحيط بقمة القصر من سحب خفيفة متناثرة.

قال بإيجاز:

- الأطلانتيون لن يشاركوا في هذه الحرب!

شهقت (إيزيس) بذهول، قبل أن تقول باعتراض:

- ولكنها حربهم أكثر منها حربنا.. هم من يقع الخطر الأكبر عليهم؛ كونهم عالم موازٍ لعالم البشر، وليس عالم سفلي مثل عالمنا.. انتقال الغزاة بين عالمين موازيين أكثر سهولة بكثير من الانتقال لعالم سفلي أو علوي حتى.

هز (أوزيريس) رأسه مكملًا:

- يمكن الانتقال مباشرةً من عالم لآخر موازٍ ف لمح البصر وبلا

شروط إن امتلك الكائن القدرة السحرية اللازمة.. ولكن الانتقال لعالم سفلي أو علوي يستدعي التحرك عبر نقاط محددة وبشروط معينة.. بوابات.. هذه قواعد فيزياء الأكوان كما تعلمناها منذ الصغر.. لهذا لا يستطيع أسياياد (بابل) الهجوم مباشرةً على عالمنا السفلي أو عالم (أطلانتس)، لا يملكون خريطة البوابات اللازمة للانتقال، وإن امتلكوا معرفة أماكنها حتى يحتاجون لفتحها. الأمر معقد وغير عملي لغزاة مباغتون.. هذا يوضح مدى أهمية سيطرتهم على عالم (كيميت) البشري، فهو -عمليًا- مفتاح الولوج لعالمنا، وكذلك ل(أطلانتس). خاصةً وأنهم -كما أكد لنا (تحت)- فقدوا ساحرهم - (النمرود)- القادر على الانتقال من أرض البشر ل(أطلانتس) بسهولة، فالآن سيتطلب منهم الانتقال ل(أطلانتس) فتح بوابات، تمامًا كالانتقال لعالمنا..

قالت (إيزيس) متفكرة:

- خسارة ساحرهم هذا مكسب كبير ل(أطلانتس).

أضاف (أوزيريس):

- لولا غيابه لرأيت جيوش (أطلانتس) تبادر باستباق الهجوم على أسياياد (بابل) لحماية عالمهم من هجوم مباغت مدمر.

توقفت (إيزيس) عن الحركة، وحدقت في وجه (أوزيريس) أخضر اللون وهي تقول رافعة سبابتها:

- لن يكون هجوم أسياياد (بابل) على أرض البشر مباغتًا؛ بل يمكن التنبؤ بقدومه وإعداد العدة لقدومه عند المداخل المؤدية من العوالم

السماوية للأرض. البوابات محدودة وأماكن تواجدها معروفة لأي ساحر مبتدئ أو حتى حكيم لديه المعرفة.

أوماً (أوزيريس) برأسه موافقاً قائلاً:

- بديهي أن متمردي التاسوع سيقومون بوضع خطة بناءً على هذا الأساس الثابت، ولكن لا تنس أن هناك من الأسياد من يمكنهم الانتقال مباشرةً بين العوالم بلا حدود أو شروط.. مثلك تمامًا.. فكما هناك (إيزيس) المصرية التي تعبر حدود ما بين العوالم بمنتهى السرعة والسرية، هناك أيضًا (إينانا) البابلية ذات السمعة ذائعة الصيت بزياراتها المتكررة لعالم البشر؛ والتي تظل مجهولة السبب حتى الآن، والتي لن تكون من أجل التمتع بحيوانات الأرض وبهائمها بكل تأكيد..

لمعت عينا (إيزيس) وهي تسرح بنظرها نحو السماء، وكأنها ترى ما لا يراه أخوها، وقالت بولّه:

- سيدة الصواعق البابلية، كم أتمنى مواجهتها في نزال فردي..

زَمَّ (أوزيريس) شفّتيه قائلاً بلهجة عملية:

- سينال متمرّدوا التاسوع هذا الشرف..

ثم أضاف وشبح ابتسامة قاسية يلوح على شفّتيه:

- من يدري، قد تنالّيه أنتِ -شرف منازلتها- إن نجحت هذه السيدة في جندلة أبطالنا..

خرجت من طور شغفها الحالم وهي تنظر لوجه شقيقها قائلة

وعلامات خيبة الأمل تزين ملامح وجهها الجميل:

- لا أظن هذا.. أسياد الطبيعة من متمردي التاسوع شديدي القوة..

ثم استعادت بذاكرتها أحداث معركة العروش الخاوية وهي تقول هازة كتفيها:

- لقد أظهروا قوة جبارة لم نتوقعها جميعا.. ولولا براعتك -كقائد- ثم كساحر متفرد- لَمَا نجحنا في دحرهم..

اعتدل (أوزيريس) من جلسته المتراخية، صار واقفا الآن -محلقا- بين بقايا السحب التي نثرتها حركة (إيزيس) المستمرة، وقال بلهجة فيها شيء من القسوة:

- لن أخفيك سرا، حياة متمردي التاسوع لا تهمني في شيء.. كان قرارا دبلوماسيا أكثر منه حربيا بإشراكهم في هذه الحرب، إن انتصروا فقد جئبونا معركة قوية، ونجحوا في إنهاء خطر الغزاة الطامعين، وأمكننا أخيرا الفصل في مسألة مصيرهم النهائي بعد النفي؛ إذ صاروا أسيادا صالحين لا يترددوا في القيام بواجب الدفاع عن مليكهم، وسيظلون جميعا مدينين لمليكهم بأمر عودتهم لحياة طبيعية بعد نفي طويل الأمد. فرغم كل شيء فإن كلمة الشرف لا تنقص قائدهم (أتوم)، ويمكننا الاعتماد عليها في شأن عدم معاودتهم للتمرد مجددا.

رددت (إيزيس) بتلقائية:

- هذا إن خرجوا من معركتهم التالية بدون خسائر جديدة.

هز (أوزيريس) رأسه موافقا شقيقته. فسألته باهتمام:

- ما الخطة إذا؟ ما المكان الذي يُتَوَقَّع أن يخرق أسياذ (بابل) من خلاله الحاجز الأرضي؟ وأين سيتمركز متمرذوا التاسوع؟

قال (أوزيريس) مجيبا:

- هذا ما لن نعرفه حتى بدء الحرب.. سنكتفي بمراقبة بوابات الانتقال وسنكون مشاهدين لا أكثر!

معركة أجرام الأرض

الأرض.. منطقة الأهرامات الثلاثة بأواخر الحضارة المصرية القديمة..

توسط القمر بدرًا غلالة السماء المظلمة، فأشاع فيها نورًا، وبدد جزءًا كبيرًا من سواد الليل المحيط بالصحراء القاحلة، وانعكس ضياؤه الفضي على سفح الأهرامات الثلاثة الضخمة، التي كانت تنتصب ككيانات عملاقة فوق هضبة كثيب الرمال الهائل. ثم تلاشى الظلام المحيط بالهرم الأكبر - وحده - في لحظة واحدة وبشكل كامل، مع سطوع ضياء منير غمر درجات الهرم وجعله مرئيًا بالكامل. صار الهرم بناءً ضخماً مضاءً بالكامل من الخارج، في تناقض غير مريح للعين مع ظلام الليل والسماء والرمال. بناءً مُضاءً بأشعة من فضة جعلت غطاء الهرم الذهبي يتلألأ، نور جاء مصدره من الأعلى، من السماء.

كان جسد السيد البابلي (سين) يهبط ببطء من فوق السحب الخفيفة المتناثرة حول قمة الهرم الأكبر، بعد أن برز من الفراغ، عابراً إحدى نقاط التماس بين عالمي (بابل) السماوية والأرض. وكان جسده يضيء وكأنه مصدر ضوء مستقل بذاته، مصدر ضوء فضي شديد السطوع والنقاء. بدا كقمر ثانٍ بهذه الليلة الدموية، ولكنه كان أكثر ضياءً من قمر السماء بكثير.

متجههم الوجه، ألقى نظرة متأنية على الهرم الأكبر من الأعلى. بدا سيد القمر البابلي -مقارنةً بالهرم العملاق- وكأنه حجر ضئيل لا يمكن ملاحظته من بعيد لولا إضاءته. زاد من سرعة تحليقه بشكل

مفاجئ ليصبح في مواجهة أحد جوانب الهرم الأربعة. كان يتأمله بتركيز، برأس مائل لإحدى الجانبين وعينان لا تطرفان وكأنه يدرسه. والواقع أن الانبهار هو ما كان يغمره في هذه اللحظة. فرغم كل ما أملاه - هو وكهنته السماويون - على عقول البشر من أهل (بابل)، ولكنه لم يز من قبل شيئاً يمثل هذه الضخامة وروعة البناء. وأيقن - قبل بداية المعركة الموشكة - أنهم سيواجهون أسياداً مخضرمين، ولكن لم يزدده هذا اليقين إلا تشوقاً للتحدي القادم، وهمس بسخرية لنفسه:

- سيكون تدمير أثر مبهر مثل هذا الهرم أمراً يرثى له، ولكنه أمر (مردوخ).

أشار بأصابع يديه نحو الهرم الأكبر المضيء، دمدد ببعض كلمات فتألق قمر السماء. استحالت عيناه قطعتين من الثلج ناصع البياض وهو يحرك ذراعيه باتجاه الهرم، فارتعش قمر السماء وكأنه يستجيب لقدرة (سين)، وبدأ ينفصل عنه قمر آخر، محاق حالك السواد، ثم ابتلع سواد هذا المحاق ضياء القمر الأصلي ليعم ظلام شيطاني لم يبتره سوى ضياء الهرم. ارتجف المحاق بالسماء ليبدأ الهرم الأكبر نفسه يماثله ارتجافاً، مع نمو صوت صرير حجري آتٍ من أسفل الهرم باضطراب. بدا وكأنه سينفصل عن قواعده ببطء ولكن بعبات.. وهنا ظهرت (نوت)، سيدة السماء والفلك وربة الموتى الشافية...

تجسدت بقامتها القصيرة المكتنزة في مواجهة (سين) مباشرة، ولم تضيع وقتاً؛ إذ كان ما فعله سيد القمر البابلي من دمار موشك

سريعا وشديد الوطء، فقامت بضم قبضتيها، وملامح وجهها تكفهز بشدة متناقضة مع شكلها الطفولي، كانت تبذل جهدا شديدا لتعيد لقمر السماء الأصلي سطوعه، وخلال لحظات عاد القمر بضياءه ليبدد المحاق الذي خلقه (سين) منذ قليل، مبددا معه تأثيره المدمر على الهرم الأكبر نفسه.

التفتت (نوت) نحو (سين) الذي لم يبدو عليه الصدمة لرؤيتها. توقع ألا يتم ترك الهرم الأكبر الأرضي بلا حماية، لهذا أراد أن يبدأ النزال بقول ساخر، ولكن باغتته (نوت) -العملية- بأن أشارت بأطراف أناملها نحو السماء ثم الأرض بتتابع سريع، فانفصلت طبقتان أفقيتان عن الأرض والسماء في آن واحد، وسارعت كل طبقة بالاقتراب من الأخرى بغرض سحق جسد (سين) فيما بينهما، وكأن (نوت) أطبقت السماء والأرض عليه. سارع (سين) بخلق قمر فضي هائل حول جسده، فتحطمت الطبقتان على القمر، محطمة إياه معهما، ودفعت قوة الارتطام جسد (سين) بعنف، فحلّق للخلف لمسافة لا بأس بها، قبل أن يعتدل بسرعة وقد بدأ الغضب يرتسم على ملامح وجهه.

ولكن (نوت) لم تتوقف لأخذ أنفاسها حتى، فبينما كان (سين) يعتدل من قوة الصدمة، ولم يكد يلقي نظرة خاطفة على (نوت)، حتى كانت الأخيرة تباعد ما بين يديها لتخلق بين أصابعها مجموعة مصغرة من المجموعة الشمسية بكواكبها وأقمارها وأجرامها، ثم حركت أصابعها لتندفع الأجرام كلها نحو (سين)، وكانت الأجرام السماوية تتضخم بسرعة مذهلة أثناء اندفاعها نحوه، بسرعة تنم عن أن حجم أصغر جرم سيمائل حجم الهرم الأكبر فور وصوله لجسد

(سين). كتم (سين) أنفاسه وهو يخلق قمرين ضخمين متطابقين أمامه، ثم أدار كل منهما بسرعة في عكس اتجاه الآخر ليخلق موجة طرد مركزي عنيفة، صدت اندفاع هجوم الأجرام السماوية الموشك، وأجبرتها على العودة لمرسلتها بنفس السرعة، ففرقت (نوت) بسبابتها والوسطى لتخلق أمامها مباشرة ثقب أسود دودي لا يكف عن الدوران، التهم الأجرام كلها وطردها خارج عالم البشر.

كان (سين) يلهث وهو يقول بلهجة حاول جعلها لا مبالية قدر استطاعته:

- مخبولة.. كانت هذه الأجرام ستظل تتضخم بعد ابتلاعي لتبتلع عالم البشر كله في لحظات.

هزت كتفيها وهي تقول باستخفاف:

- لدي القدرة على خلق عدد من العقوب السوداء يكفي لابتلاع مجرات كاملة لا مجموعة شمسية واحدة صغيرة. لا تقلق على البشر. عليك بالقلق على حياتك!

ثم خلقت حشدا من النجوم بيمنها، وآخر بيسراها. وقامت بتنظيم كل حشد في هيئة ستار رأسي، فانتصب عن يمينها ويسارها ستاران عموديان من نجوم زرقاء ترمي بشرر مستمر وكأنها كرات من لهب أزرق عاتي. ثم قذفت بالعمودين النجميين صوب (سين) وهي تبسم ببساطة بدون أن تتلفظ بحرف، ليطوق الستاران جسد (سين) يمينا ويسارا، قبل أن يغير كل منهما اتجاه هجومه ويتجه نحو جسد (سين) بغية سحقه بينهما. أيقن (سين) أن ما ينقض عليه الآن ليسا سوى عمودين من كتل نارية متفجرة كفيلة بتمزيق

جسده لأشلاء احتراقاً إن لمساه. وفكر بسرعة البرق أن هذا الهجوم يستخدم قوة أفقية، بخلاف هجوم إطباق السماء والأرض والذي كان يستخدم قوة عمودية. بإمكان قوة قمره الحامي دحر القوى العمودية لا الأفقية، يبدو أن سيدة الطبيعة المصرية التي تواجهه تعلم هذه المعلومة.

انحنى مباعدا ما بين ذراعيه، صائحا بشيء من الانفعال:

- أقمار الجليد.

انبثق من الفراغ حوله عدد من الأقمار الثلجية ناصعة البياض تراصت في شكل دائرة، كان كل قمر منها يدور حول محوره بسرعة خالفاً أمواجاً من ثلج. كانت الثلوج تطير من أقمارها كالقذائف حول جسد (سين) في كل اتجاه بعيداً عنه، فبدأت حركة هجوم العمودين النجميين تتباطأ مع اصطدام الثلج بها وطمسه لنجومها النارية. وخلال لحظات اختفت كل نجوم الستارين ليصبح كل منهما مجرد ستار جليدي ثابت. فألقت (نوت) نظرة بطيئة على المشهد المتكون أمامها، جسد (سين) متقوقعا حول نفسه، وحوله أقمار تنفث الثلج في شكل دائرة، وعن يمينه ويساره انتصب عمودين شاهقين من ثلج. فأومأت بإعجاب وهي تتمتم:

- سيكون موتك خسارة. لا تستسلم بسهولة أيها الغازي البابلي!

تألقت يدا (سين) قبل أن تنطلق منهما طاقة فضية متألقة، طاقة مدمرة ساحقة استهدفت (نوت) مباشرة وهو يقول بسخرية:

- من تحدّث عن الاستسلام أيتها الطفلة؟!

سارعت بخلق ثقب أسود أمامها، امتص كل الطاقة التي يحتويها هجوم (سين) المدمر، ثم اختفى ليظهر ثقب آخر أبيض فوق رأس (سين) مباشرة، اندفعت من قلبه -الذي تموج فيه كل الألوان- الطاقة التي اختزنها الثقب الأسود منذ لحظة لهجوم (سين)، وقالت باستخفاف:

- طفلة؟

بوغت سيد القمر البابلي بهجومه يرتد عليه، كانت الطاقة قوية وكان الهجوم خاطفا، حاول تحريك العمودين الثلجين الجائمين حوله ليعملا كستار حامي من الطاقة المدمرة، انفجر العمود الأول مع تلامس الطاقة الفضية له، بينما تخطت الطاقة الفضية العمود الثاني -كانت أسرع منه أو كانت حركته متأخرة جزءًا من الثانية- لتصيب (سين) مباشرة في صدره ووجهه. كانت الصدمة عنيفة، تمزق رداؤه وجزء من عضلات صدره لتسيل قطرات الدم الأصفر على جسده، بينما نالت الطاقة من وجنته وعينه اليسرى وجزء من شعره المجدول، فمالت رأسه للخلف، وقد صار تجويف -تتقاطر من داخله دماء صفراء- يحل محل عينه ووجنته اليسرى الآن، وطارت جدائل شعره لتتناثر فوق رأسه كغيمة سوداء صغيرة. حاول استخدام قوة الشفاء فلم يجدها فعالة. زمجر محاولاً فهم ما يحدث، خلاياه تحترق وجسده ينهار كما لم يحدث من قبل، من المفترض أن ينتهي شفاء إصاباته خلال ثواني. بينما كان يحتضر، اقتربت منه (نوت) ببطء حتى توقفت أمامه. وانحنى لتهمس في أذنه:

- لا يمكن لأي مخلوق استخدام قدرة الشفاء في وجود الربة

الشافية شخصيًا. لست ندا لي.. لقد أخطأ أبي (شو)..

نوت

بالماضي البعيد، بعالم (كيميت) السماوي ما قبل تمرد التاسوع ومعركة العروش الخاوية، كانت (نوت) فتاة صغيرة العمر، تتلمس بدايات تفجر قدراتها في التحكم بعناصر الطبيعة، يساعدها أبوها (شو) بخبراته وحكمته. لم يكن هناك تاسوع بعد، وإنما مجرد ثالوث: (شو) وزوجته (تفنوت) وحليفهما (أتوم).. ما زالت الابنة (نوت) صغيرة، لم يكن أخوها (جب) قد وُلِدَ بعد. نظر العامة -قليلي العدد آنذاك- لهذا الثالوث بمهابة تجعلهم في مصاف الآلهة، بقدراتهم في التحكم في الشمس وحرارتها بواسطة (أتوم)، والماء وكل ما يرتبط به من بحار وأنهار ومحيطات بواسطة (تفنوت). والرياح وما يحمله بواسطة (شو). ثالوث الطبيعة الأزلي النار والماء والهواء.

كان الجميع بانتظار الفتاة الصغيرة وما ستأتي به من قدرات خارقة إلهية. لفت نظر (شو) -منذ نعومة أظفار ابنته (نوت)- قدرتها الاستثنائية على الشفاء، فرغم أنه عمليًا يستحيل خدش أحد الأسياد سواء (أتوم) أو (تفنوت) أو (شو)، ولكن بدا مبكرا جدا أن (نوت) قد تكون قابلة للخدش، ولكنه سيكون خدشا مؤقتا يلتئم بنفس سرعة الإصابة به، وكأن جسدها يتكون من خلايا حية تمتلك قدرة عجيبة وفائقة السرعة على الشفاء، ولكن انتظر أبوها الطموح شيئا أكبر وأكثر تفردا، قبسا من قدرات الآلهة.

حتى جاءت تلك الليلة، والجميع نيام، قام (شو) باصطحاب ابنته للأعلى محمولين على بساط من ريح، وجلسا سويا بين السحب. لاحظ نظرتها نحو السماء ونجومها، لم تكن نظرة مراقبة عادية، بل

كانت تلتهم السماء بعينيها، واللهفة تكاد تتفطر من نظراتها التي تبدو ترى ما هو خلف القبة السماوية المظلمة المرصعة بالنجوم.

سألها بترقب:

- ماذا ترين؟

أجابته ساهمة:

- أرى أقل مما يجب أن أرى. خلف السماء سماوات.. وبين النجوم مجرات. أسمع شهيقا وزفيرا يتردد بخفوت بين السدم الكونية لكل العوالم.. وأكاد أشم عبق ألوان الأجرام التي تلفظها الثقوب السوداء خارجها. هذا بديع.. هذا يفوق قدرتي على الاستيعاب. أريد الاتحاد بالسماء، بكل ما فيها، وأكاد أجزم أنها بانتظاري، تريد مني فقط التحرر من ماديتي المحدودة، والانطلاق نحو فضاء لا ينتهي..

شعر (شو) بقلبه يرقص طربا من اكتشاف (نوت) بنفسها لقدرتها الاستثنائية، وراعه ما تعنيه بكلامها، فإن كان (أتوم) أول الأسياد وأقواها بقدرته على التجسد كشمس عاتية، فالابنة الصغيرة تبدي نيتها على الاتحاد بالسماء وكل ما فيها من أجرام ونجوم وشموس وأقمار، إنها لمقدرة هائلة لا يمكنه تخيل وجودها حتى.

وضع راحته على كتف ابنته، تلاعبت أنامله بخصلات شعرها الأسود الكثيف المسترسل على ظهرها كصفحة سماء ليلية ناصعة، تَطَّلَع لملامح وجهها مليا، الوجه الممتلئ ذو الملامح المنمقة الصغيرة من أنف وشفيتين وجبهة، بينما تناقضت عيناها الواسعتان المكحولتان مع كل ما عداها من ملامح وجه دقيقة. كان تناقضا

يجعل وجه (نوت) يبدو وكأنه عينان، عينان أسرتان جذابتان بلون أسود يجعلان من يراهما يقع في أسرهما مفتونا، ولكنه ظن الآن أن هاتين العينين ستحملان ما هو أكثر من الافتتان، ستحملان الرعب لكل من يجروا على تحديهما بالمستقبل.

قال لها هاسما:

- اتركي العنان إرادتك.. اسمعي الكون وتجاوبي معه.. كوني سماء
يا (نوت)..
..

أغمضت (نوت) عينيها.. شعرت بروحها تنسل من جسدها برفق لتنتقل بسرعة نحو السماء. رأت بروحها ما حجبته حواسها المادية ضيقة الأفق.. احتضنتها السماوات وناجتها النجوم ودارت حولها الأقمار، رأت الموجودات ترحب بها بلهفة من كان ينتظر منذ الأزل. كانت رحلة قصيرة الوقت بالنسبة ل(شو) ولكنها استغرقت حيوات ل(نوت).. ولما عادت (نوت) تفتح عينيها شعر الأب أن الابنة لم تعد كما كانت أبدًا، لقد صارت على صلة بكيثوننتها الكاملة منذ الآن.. ولم يكن صعبا استنتاج أنها ستكون سيدة السماوات وما فيهن..

ومنذ تلك الليلة ذاع صيت (نوت) كسيدة للفلك والسماء. لم يكن الخبر جيداً لسيد قوي قديم العهد يدعى (أبيب).. الثعبان الأسود وأصل كل الشرور.. لم يكن من ضمن حلف ثالوث أسياد الطبيعة، وكان يدّعي أن وجوده سبق وجود أيّ من أسياد هذا العالم.. لم يمثل خطراً للثالوث؛ إذ كان لكل منهما المكان الذي يبسط سيطرته عليه، (أبيب) يجوب السماء بسرعته الخارقة حافظاً ظُرُقَاتِها كظهر يده، والثالوث يسيطر على العالم ما تحت سماء (أبيب)، أو كانت سماء

(أبيب) حتى أعلنت (نوت) عن كونها سيدة السماء، سماء (نوت)..

أعلن (أبيب) الحرب على (نوت)، وصار يترقب كل انطلاقة لها نحو السماء لينقض عليها قاصدا اغتيالها. لم يستطع (شو) أو (تفوت) مساعدة ابنتهما (نوت)، كانت الحرب خارج حدودهما، وحدهما (أبيب) و(نوت) كانا قادرين على ولوج سماوات لا يقدر أحد غيرهما على رؤيتها.. سيدان متفردان يحاربان خارج حدود العالم المرئية للجميع.. ورغم أن قدرات (نوت) كانت أقوى بوضوح من (أبيب)، ولكن تفوق الأخير بخبرته التي تجعله أكثر تمرسا بدروب السماوات، فكان قادرا على ضرب الضربة ثم الاختفاء كالريح، ولكنها ظلت ضربات موجعة أكثر منها خطيرة، وحتى الخطير منها كانت تتعافى منه بسرعتها الخارقة في الشفاء.. انتظرت (نوت) بلهفة لحظة مواجهته مباشرة فتقضي عليه على الفور، ولكنه كان خصما مراوغا بامتياز..

طال الصراع بدون أمل لمنتصر حتى ظهر السيد (رع)، أحد مكافئي (أتوم) ممن قادرون على التحكم بالنيران وخلقها، ولكنه كان يعيش حياته شاردًا يكتفي بالتنقل بين العوالم من أجل إرواء فضوله لا أكثر. وكذلك (نيت).. القواسة.. سيدة سماوية شاردة أخرى أزعجت غارات (أبيب) وما تُحدثها من أذى فوضوي بالسماوات.. كان هناك الكثير من الأسياد الشاردة التي تعج بها السماوات والأرض، والذين لا يُعرف لأي منهم نسبًا، ويكتفون بالحياة على الهامش بدون التدخل بالعالم النظامي السماوي الذي يحكمه الثالوث.. بالنسبة لأسياد السماء الشاردة، كان يزعجهم -ويخيفهم- التعبان (أبيب) كثيرا، ولكنهم اضطروا لتجنبه، حتى ظهرت (نوت)

وجاهرت بعداوته، وخاصمته على امتلاك السماء، بل وكانت له ندا مستحقا في صراعهما المستمر.

أعطاهما (رع) قاربه السماوي، ووهبتها (نيت) نفسها كحارسة شخصية قادرة على القنص بأسهمها الجبارة.. ولقا انقض عليها (أبيب) خلصة وأراد الفرار كعادته، بوغت بالعتيد (رع) يتتبعه كظله، فقد كان يعرف من متاهات الطرق ومخابئها مثل ما يعرف (أبيب).. وهكذا وجد (أبيب) نفسه محاصرا للمرة الأولى وجها لوجه أمام (نوت)، يكافح فقط لتفادي سيول أسهم حاميتها (نيت) التي لا ترحم.. لم تقم (نوت) توجيه أي كلمات لخصمها، وبادرت -بمجرد مواجهته- بإلقائه في غيابات جُب متاهة أبدية من ثقوب سوداء متعاقبة لا تنتهي بثقب أبيض واحد يصلح كمهرب.. موقنة أنه حتى (أبيب) سيستغرقه الخروج من هذه المتاهة حيناً من الدهر.. لتخلو السماء ل(نوت) الفتاة، سيدة السماء الجديدة..

كانت تحب الجلسات المطولة مع أبيها (شو)، وتُكْرِ من إلقاء الأسئلة عليه حول ماضيهم وحول ذاتها.. ولكنها لم تتجاهل السيد (أتوم) أيضاً، الأقوى والأقدم، وكانت تحب الاستزادة من خبرته ونصائحه..

سألت (أتوم) ذات يوم في نقاش دار فوق قمة الهرم الذهبي الأكبر:

- هل سأكون أقوى أسياد العالم إن امتلكت خبرتك؟

ابتسم لها ولسؤالها الساذج، وأجاب بسؤال آخر:

- لأنك تملكين أقوى عناصر الكون تعتقدين باستحقاقك لتكوني

الأقوى؟

- أعتقد هذا.

- فتاة صغيرة أنتِ حقا يا (نوت).. قوية، ولكن تنقصك الخبرة..

ثم تنهد قبل أن يسترسل:

- لكل عنصر من عناصر الطبيعة قوته المتفردة، وربما يكمن أحيانا مصدر التفوق في البساطة.. ينتج النصر من كيفية تطويع قدراتك بأفضل وسيلة ممكنة وقادرة على ردع خصمك.. فالماء والهواء -ببساطة- لهما الأفضلية في القوة على النار، والنار تسيطر بسهولة على التراب والأرض، ثم ينجح التراب في ردم الماء وإنهاء وجوده، بينما يسهل على الريح بعثرة التراب وتحويله لزوايا وعواصف.. فهل يعني هذا أن هناك عنصرا أقوى من الآخر في المطلق؟!

صمتت (نوت) محاولة هضم منطق أبيها، ثم فشلت فاكتفت بهز رأسها مغمغمة:

- لنتظر الخبرة وما ستفعله بي من تغيير.

ثم سارعت بالسخرية قائلة:

- ولكن لا شك أن السماء -كقوة طبيعية- لها اليد العليا على كل الأجرام بما فيها الشمس والقمر.

صاح بها مهددا بابتسامة واسعة، وقد فهم تلميحتها له كالشمس:

- لا تجربيني!

قالت بشيء من الجدية:

- قد تكون أنت -الشمس- ندا قويا للسماء، ولكني لا أعتقد أن القمر سيصمد أمامي طويلا..

قال (أتوم) بسرعة وكأنه كان في انتظار إثارة هذه النقطة:

- لا تستخفي بالقمر.. إنه أكثر قوى الطبيعة فتكا وقدرة على المراوغة في نفس الوقت.. سيد القمر الكيمتي (خونسو) مسالم وليس من النوع الذي يميل لفرض قوته أو يحب السلطة والحكم، وإلا لكان له شأن آخر.. شخصيا، أتهيب من فرضية نزاله، لديه من الخبث ما يفوق القوة.. ومن القدرات المخبوءة ما يجعله خصما مخيفا حقا.. والخصم الذي يستحق أن تخشيه هو من تعلمين عن قدراته أقل القليل، وبالتالي هو قادر على مباغتتك من حيث لا تعلمين، وهذه هي النقطة التي قد تكون فيها نهاية أي خصم لأي سيد للقمر من أي عالم..

برقت عيناها بتحدٍ وقالت بلهجة جذلة:

- سأذكر كلماتك هذه عندما أنازل سيدا للقمر يوما ما! سأذكرها وأنا أزهرق روحه!

معركة أجرام الأرض الجزء الثاني

اعتقدت (نوت) أن (سين) سيلفظ آخر أنفاسه أسفل قدميها، ولكنها تعجبت لما رأت ابتسامته العريضة رغم إنهاكه، وسمعتة يقول بلهجة فيها فضل من القوة:

- ثقوب سوداء تخترق المسافات؟ طريقة عبقرية للموت وتليق بي. تذكرني بطريقة موت جبار الماء. ولكن يعوقها شيء واحد؛ ألا وهو عدم رغبتني في الموت!

تَلَقَّت حولها وهي تشعر بشيء عجيب يتغلغل بالآثير ويجعله خانقا. ثم لمحت القمر الفضي الذي تجسد فوق رأسها، وكان يدور ببطء. كان يدور عكس اتجاه الدوران الطبيعي. لمعت عيناها بفهم قبل حتى أن يدور شريط الأحداث الأخيرة بطريقة معكوسة، وخلال ثواني وجدت نفسها تقف بالخلف -زمنيًا- مُزَعَمَةً، تهمّ بخلق ثقبها الأسود لمقابلة شعاع (سين) القاتل. ولكن (سين) لم يقم بهذا الهجوم بعد أن رأى في المستقبل أنه سيكون سبب هلاكه. فعاد بالزمن بتعويضته المحرمة ليعيد الأمور لنصابها، وها هو يقف سليما معافى لم يمسه سوء. لقد عاد بالزمن للخلف!

ابتسمت (نوت) بإعجاب للحظة، وتذكرت كلمات (أتوم) بخصوص خبث سيد القمر وتفضيله لإخفاء قدراته. ثم قالت وهي تشير للقمر الذي يدور عكسيا:

- هذا جيد.. تعويذة سحرية تتلاعب بدوران القمر فتعود بالزمن للخلف.. تجيد -وتجرؤ- على استخدام تعويذات محرمة، ولكنك

أغفلت شيئاً شديداً الأهمية..

أنهت بلهجة تفوح بالقسوة وهي تدير أصابعها حول نفسها:

- أنني سيدة الفلك كله!

توقف القمر الفضي عن الدوران.. ارتجف.. ثم عاد يدور في اتجاه الدوران الصحيح.. فعادت الأحداث تجري كما جرت مسبقاً.. (سين) يطلق شعاعه.. (نوت) تستقبله بثقب أسود، ثم تطلقه من ثقب أبيض في مواجهة (سين).. إن كان (سين) يجيد العودة بالزمن للخلف فهي قادرة على دفعه للأمام مجدداً..

ولكن مجدداً أثبت (سين) أنه ليس بالخصم الهين؛ فقد تحرك هذه المرة بسرعة مناسبة لوقوف العمودين الثلجيين في مواجهة الأشعة، ليدوي انفجار هائل نجم عن تصادم الأشعة الهاربة من الثقب الأبيض مع جليد العمودين الحاميين.. وينجو (سين) من محاولة (نوت) الجديدة لقتله.

ولكنه أيقن أنها خصم فريد من نوعه.. خصم يملك قوة رهيبة لم يتوقعها. فتحرك بسرعة..

كان يعلم أنها ستبادر بهجوم جديد.. أسلوبها هجومي منذ أول لحظة، بينما اكتفى هو بالدفاع، منتظراً لحظة مباغتتها بانقضاضة سريعة قاتلة.. أيقن الآن أنه لا يجب ترك العنان لخصم مثلها لتهجم كما شاءت. وأنه لا فرصة له في النصر بوجود قدرتها على خلق ثقوب سوداء قادرة على توجيه أسلحته نحو صدره شخصياً.. لهذا بدأ بحرمانها من ثقوبها الدودية الماكرة القاتلة.

طار بسرعة نحو السماء.. برقت عيناه وصار جسده كله كتلة من كيان فضي براق.. تألقت عدة بقع بالسماء بتتابع.. دار كيانه الفضي حول نفسه رأسيا قبل أن يعود ليقف في مواجهة (نوت) وقد استعاد تجسده، وإن صارت هالة فضية لامعة تدور حول جسده، ومن أطراف الهالة كانت تومض أشعة فضية رفيعة باستمرار مندفعة نحو نقاط بالسماء كالنجوم.. كان من الواضح أن الهالة مرتبطة بعدد هائل من المواقع بالسماء.. وما أدركته (نوت) -من استمرار دوران الهالة- أنها تغير باستمرار من موقع (سين) الفعلي بواسطة تغيير موقعه الفلكي الموازي.. سحر قمري جديد وفعال في منعها من توجيه ثقوبها السوداء نحوه.. بمعنى آخر، إنها لم تكن تستطيع تحديد مكان (سين)، إنها تستطيع فقط أن ترى أحد تجسدياته في المكان الذي يريد أن يراها فيه.. اختبرت دفاعه الجديد فأشارت لأحد نجوم السماء فأتاها شعاعه المهلك طوعًا، منقضا على (سين)، ولكن أصاب هجوم النجمة الفراغ لَمَّا اختفى جسد (سين) وهالته الفضية، ليظهر الاثنان بموقع آخر عن يسار بقعة التجسد السابقة، وكأنه انتقل آنيا من مكان لآخر في لمح البصر.. فلما تأكدت (نوت) من فعالية سلاح (سين) الجديد، كان سيد القمر يقوم بهجوم سريع مضاد وقاتل..

استدعى أقماره السبعة.. وجعل كل قمر يدور في اتجاه يخالف الآخر.. وكان هو في المنتصف، مركزا لكل الأقمار التي لا تكف عن الدوران.. راقبت (نوت) الأقمار السبعة بتركيز متأهبة لما هو قادم.. كان (سين) سريعا للغاية وهو يوجه الأقمار كلها نحو خصمه.. هجوم سباعي من سبعة محاور مختلفة.. تحركت الأقمار لتغادر فلكها، ثم أحاطت ب(نوت) في لمح البصر.. ثم انقضت كلها في أقل من لحظة

على جسد (نوت) الضئيل المحلق فوق مستوى الرمال الصفراء
بمسافة كبيرة..

كان الضجيج رهيبا.. أصدر دوران كل قمر حول نفسه احتكاكا
أثناء اختراقه للهواء جعله كشهاب منقض.. كتلة فضية تتلأأ النيران
بأطرافها كأذنان برتقالية شعواء.. شعرت (نوت) بموجة التخلخل
الناجمة عن الخلل الكوني الذي تسبب في خلقه هجوم الأقمار
السبعة ذات الذيل النارية، موجة تخلخل جعلتها تشعر بجسدها
يندفع للخلف قسريا نحو الهرم الأكبر.. ابتسمت بقسوة وقد راقها
هذا الهجوم العنيف، وصاحت بملء فيها وهي تخلق ثقب أسود
خلفها وتسارع بولوجه والاختفاء بداخله:

- (نيت) القواسة!

بمجرد ابتلاع الثقب لسيدته (نوت)، اختفى تماما، لتصيب هجمات
الأقمار السبعة الفراغ، وينجم عن الاصطدام قنبلة أقل ما يقال عنها
أنها ذرية.. أضاء الانفجار سماء (كيميت) البشرية كلها، ورآه كل
البشر ب(كيميت) في تلك اللحظة بدون أن يفهم أحدا تفسير ما
يحدث، اخترقت قوة الانفجار حاجز الأبعاد لوهلة وأضاء سماوات
عدة عوالم.. وكان الانفجار من القوة أن NSF جزءا كبيرا من جدار
الهرم الأكبر الذي كان خلف (نوت)، وتطايرت الصخور في كل اتجاه
كقذائف منجنيق عملاق يقذف ذخيرته بجنون.. واضطر (سين)
نفسه للتقوقع بداخل قمره الحامي ليحمي جسده من فيضان
الصخور المهلك.. فلم يلمح القواسة (نيت)، التي كانت تتربص خلف
الهرم بناءً على تعليمات سيدتها الحريصة، فاستخدمت (نيت) ستار

الصخور كتشتيت لهجومها السريع على (سين)..

كانت تطلق سيلا لا ينبض من أسهم ذهبية جبارة، ضخمة وسريعة ولا تخطئ هدفها، هدفها بالسما أو بالأرض.. وهكذا، لما انفض مولد الصخور الشاردة وأزال (سين) حماية قمره، فوجئ بأن كل الخيوط التي كانت تربط هالته المتذبذبة بالسما قد تم بترها بأسهم (نيت).. وبأن موقعه قد صار واضحا تماما كما بدأ النزال.. شعر بنفسه - مع فقدانه لوسيلة تشتيت موقعه - كمن صار عاريا مع سماعه صوت (نوت) تصيح من خلفه، فور ظهورها من قلب ثقب أبيض لامع، بالتزامن مع سماعه لصوت هسيس أشعة نجوم غادرة تنقض من الخلف:

- وداعًا أيها القمر البابلي!

الريح والبرق

في بقعة معينة فوق سطح المحيط الأطلنطي بعالم البشر، بقعة شهدت عبور العديد من مختلف كائنات الكون في اتجاهين متضادين عبر التاريخ، من وإلى بُعد عالم (أطلانتس) الخفي. كانت هذه البقعة هي المفتاح لدخول والخروج من (أطلانتس) وعبور حاجز ما بين العالمين البشري والأطلنطي، ولكن لم يعلم سر هذه البقعة إلا القليل من خارج كائنات (أطلانتس).. وكان منهم الساحر البابلي الراحل (النمرود)، وبالتالي استخدم سيده -(مردوخ)- هذا السر للانقضاض على (أطلانتس) مباشرةً باستخدام أحد أقوى أسلحته، أسياذ الصواعق.

تجسد كل من (نينورتا) و(إينانا) من الفراغ، تحيط بهم موجات كهربية كثيفة. كانت الخطة بسيطة وسريعة ولا تتضمن أي خطر، فقط استخدام قوة الصواعق الكهربائية في خلق قبلة متقدمة قادرة على تمزيق الحاجز، وجعل البوابة لولوج عالم (أطلانتس) مفتوحة عن آخرها لجميع أسياذ (بابل). كانت حركة الاثنين سريعة ويشوبها كثير من التوتر، وكأنهما مجبران على هذا الفعل، أو يخشيان التورط في ما هو أكثر من مجرد فتح بوابة بين الأبعاد. خلق (نينورتا) كرة ضخمة من الصواعق، ثم تفجرت كل عضلاته وعبس وجهه وهو يستخدم كل قوته لتضخمها أكثر وأكثر وأكثر.. فاق حجمها ارتفاع قامته، ثم تضاعف تضخمها لتبدو كشمس ليل صغيرة.. ضمت (إينانا) قبضتها وخيوط الفضة تنعكس على ملامح وجهها المتجهمة، وتجعلها تبدو كتمثال حجري شديد الإتقان، إيذانًا بإلقاء صاعقتها

المفجرة لكرة الصواعق، والمؤججة للانفجار الكوني الرهيب.. شرارة مفتاح الحاجز..

بدأ حجم كرة الصواعق يصغر ببطء.. اتسعت عينا (إينانا) بعدم فهم، فَرَدَّتْ عليها نظرة (نينورتا) المماثلة.. ضاعف من قوته لتكبر الكرة لوهلة، قبل أن تهتز بحركة سريعة مرتجفة وتنزلق وكأنها تسقط نحو الماء.. هتفت (إينانا) بتعجب:

- ماذا يحدث؟!

حاول (نينورتا) السيطرة على كرة الصواعق ولكن عبثا، ربما كان باستطاعته استعادة حجمها وتضخمها مجددا، ولكن ما فوجئ به هو أن الكرة كانت تتزحزح من مكانها نفسه بقوة هائلة، قوة طبيعة، قوة لها صوت صرير عاتي يصم الآذان.. قوة الريح.. وبينما كان جسد (شو) النحيف عاري الجذع يظهر أمامهما، كانت كرة الصواعق تسقط بقلب ماء المحيط، فتتلاشى صواعقها على الفور وتتحول للأشياء.. لمعت عينا (شو) وهو يحدق في أطراف أصابع سيدي الصواعق، ثم قال بمنتهى الجذل:

- يالي من صاحب حظ حسن.. سأواجه أسياد طبيعة مثلي، لا مجرد سحرة ولاعبي حظ..

اقتربت (إينانا) من شقيقها متممة، وعينها تراقب الزوايا الهوائية التي خلقها وجود (شو) بالمكان وأحالاته لجنون من صرير وصفير وعواء:

- سيدا للريح.. لم يكن هذا ضمن الاتفاق..

اتسعت ابتسامة (شو) أكثر قائلا بسخرية:

- خائفة أيتها الصغيرة؟

رمقه (نينورتا) بنظرات من شرر وهو يقول بخشونة:

- لم نأتِ غزاة، إنه مجرد اتفاق لا ناقة لك فيه ولا جمل.. دعنا نفعل ما جئنا من أجله ولن يتأذى أحد..

- تهديد سخيف يا سيد الصواعق.. وكلمات لا تحمل وزنا أكثر من وزن قائلها.. عندما تفجر قبيلتك اللطيفة هذه سيصير الطريق مفتوحا لعالم (أطلانتس) لأي كائن في الكون كله، أهذا عدل؟ أهذا حقا لا يحمل ذرة من نية للغزو؟

تبادل (نينورتا) و(إينانا) نظرة سريعة، بدت (إينانا) -لدهشة (شو)- مقتنعة بكلماته، بينما ارتدى (نينورتا) قناعا من صخر وهو يقول بخشونة أكثر:

- ولماذا تهتم؟ تفوح منك ريح (كيميت) الصحراوية لا ريح (أطلانتس) المائية.. أم أنك مجرد خادم تحرس هذه البوابة التي لا تقع ضمن حدود عالمك؟

اكفهر وجه (شو) وزالت عنه سخريته وهو يقول:

- حاذر مما تقول يا بني.. كنت أعرف في الماضي السحيق سيدا سومريا للصواعق كان نذا لي، ولكنك تبدو حفيدا له في أفضل التخمينات.. لذا لن يكون التغلب عليك ممتعا أو يحمل أي فخر لي.. ابتعد عن هذه المعركة وحافظ على حياتك..

همست (إينانا):

- (آنو)! إنه يتحدث عن جدنا (آنو)!

تجاهلها (نينورتا) وقال ل(شو) بغلظة:

- صدق أو لا تصدق.. نحن هنا من أجل هذا السيد أيضا.. سيد
أسياد الصواعق العظيم (آنو).. وإن لم تتزحزح من مكانك سألقي بك
في غياهب اليم ليبتلعك ماء أسيادك الأطلانتيين أيها المرتزق..

صاح (شو) بغلظة وهو يشير نحو (نينورتا) براحة يمينه:

- اعتبره تهديدي الأخير يا طفل الصواعق!

زأر الهواء وماج البحر.. انفصل عن سطح المحيط قطعة هائلة
من الماء محمولة على ريح خفي.. ثم ضربت بكل قوتها جسدي
(نينورتا) و(إينانا).. لم تكن مؤذية بقدر ما كانت مهينة.. وكأنها
صفعة عملاقة من ماء وهواء ضربت وجهي سيدي الصواعق.. زأر
(نينورتا) ولكنه لم يطلق صاعقة واحدة، ولا حتى (إينانا)، بل على
النقيض سارع كلاهما بمنع إصدار أية شرارة كهربية واحدة مهما
بلغ صغرها.. الماء موصل جيد للكهرباء، وهذا قاتل كما يعلمه حفيدا
(آنو)، وكما يعلمه سيد الريح فيما يبدو..

تبادل (نينورتا) و(إينانا) النظرات السريعة.. لاحظ (شو) أن
نظراتهما لم تحمل ذرة من خوف منه، بل شعر بنظرات كليهما
تحمل تحديا لا يراه مناسبا لقوته، ولكن غمره فضول لمعرفة سبب
إحجامهما عن نزاله، والمتناقض مع قيامهما بمحاولة فتح بوابة
(أطلانتس)، إن لم يكن غرضهما بالفعل الغزو..

غمغمت (إينانا):

- جئنا لفتح البوابة بالفعل مهما كانت تبعات هذا الفعل.. لم نأت لفعل شيء آخر مهما كانت قدرتنا على النجاح فيه.. لسنا مرتزقة ولا غزاة.. ضع هذا في عقلك قبل اتخاذ القرار..

- ولكنها خطوة تحمل رائحة الغزو والشر والقتل بالفعل كما قال سيد الريح الكيمتي.. لن نخادع أنفسنا..

- هناك فرق بين اتفاق بسيط وبين الانخراط في أتون حرب شعواء بين عدة عوالم..

- لقد زج بنا في الحرب شئنا أم أبينا.. لقد لوثنا قدمينا بالفعل ولم يعد هناك طريق للعودة..

- دائما هناك طريق للعودة.. هذا إن تغاضيت عن كبريائك يا أخي..
بدت المرارة جلية في نبراته وهو يقول:

- لم يعد كبرياء مجرد سيد.. تتحدثين عن كبرياء كبير أسياد الصواعق الآن.. وإن أردت تنفيذ وصية الجد (آنو)، فلا بد من تغليب رقتك جانبا وإفساح المجال لدماء أسياد الصواعق بعروقتك.. حتى هو لو كان هنا لفعل المثل من أجل تنفيذ رسالته السماوية كأول الأنبياء، أليس كذلك؟ ولن أخفيك سرا أن العنف هو السبيل الذي كان يجب أن يتخذه منذ البدء لا الجنح للسلم ومحاولة تغليب العقل، لو فعل هذا لربما كان ما زال حيا حتى الآن..

- سنصبح أنبياء الدم إذًا كما قال (مردوخ)؟

- لقد وَعَدْنَا السيد الطافر بما هو أكثر من مجرد لقب..

تذكرت (إينانا) وعد (مردوخ) لهما لقاء تأدية الجزء الخاص بهما في هذه الحرب.. ولم تستطع تكذيب أن الثمن يستحق بذل الدماء بالفعل حتى ولو كانت دماء تراق على يد أنبياء.. حاولت استدعاء روح وحكمة جدّها (أنو) في هذه اللحظة، ووجدت نفسها تسأله مغلقة العينين وكأنها تنتظر جواباً غيبياً:

- أتريد الدم حقاً يا جدي؟ الدم من أجل السلام؟ أهذا ممكن؟

أتأها الرد من حيث لا تتوقع.. كان (شو)، سيد الريح، الذي بدا ممتعضاً للغاية من هذا الحديث الجانبي الذي حملت تفاصيله الريح الخفية لأذنيه.. فأطلق ضحكة ساخرة وهو يقول:

- هكذا إذا؟ سأعفيكما عن سماع الكثير من التفاصيل عن جدكم (أنو)، ولكن ما أريدكما أن تعرفاه أنه كان دمويًا كما لم يكن سيداً من قبل في كل العوالم وإلا لما خضع له أسياذ طبيعة وسحر ووحوش في آنٍ واحد، ولو واثته نصف فرصة لاقتحم عالمنا وأراد احتلاله.. هل يمكن لسيد أن يصبح حاكماً لعالم بدون أن يكون دمويًا؟! يا لكما من ساذجين حقاً! لا داعي لمزيد من الجدل العقيم، سأريحكم من عناء الفكر وأشعل أنا الشرارة التي كنتم تريدان إشعالها..

وأمام نظرات سيدي الصواعق المذهولتين، قام بإطباق راحتي يديه على الفراغ ثم باعد بينهما، ليخلق كرة من هواء تائر تدور بسرعة رهيبه.. قام بتحريكها بذهنه لتقف أمامه مباشرة.. ثم قذفها بقوة نحو سطح الماء وهو يضخمها في الحجم.. وبمجرد ملامستها للماء عبس وجهه وهو يزار.. انفجرت وهي تزيج الهواء حولها في

كل مكان بانفجار هائل خلخل المكان، خالقا بقعة لا مادية لا تحوي
إلا الفراغ.. ومع الانفجار تمت فتح البوابة لأطلانتس، تماما كما أراد
(مردوخ) من سيدي الصواعق منذ البداية..

واتسعت ابتسامة (شو) بخبت وهو يقول:

الآن، لقد أعفيت أناملكما الملكية -الطاهرة- من الدم؛ وتم فتح
بوابة أطلانتس بدون إراقة قطرة دم واحدة، أو حتى عَرَق.. فهل
سيكفي هذا وتعودان لعالمكما فخورين بالإنجاز؟ أم أنكما ستحاولان
أن تكونا أنبياء دم بالفعل كما كان سلفكما الرهيب (آنو)؟!

شو

لم يكن (شو) دائم السخرية هكذا.

منذ ما يستطيع التذكر من طفولته، كان ابنا مدلا للطبيعة. لم يعرف له والدا أم أم، كان الريح والده ومعلمه، والطبيعة أمه وملأه الوحيد. وكأنه فتح عيناه على الدنيا لتستقبله -أول ما تستقبله- هبة ريح رقيقة كَضْمَة أم لرضيعها. مدلاً؛ أراد دائما امتلاك كل شيء، ولم يقنع بقدرته الرهيبة على تطويع الريح وذراته كجنود باطشة. فلما قابل (أتوم)، قابلت رغباته الاستعمارية هوى في نفسه، ها هو سيد آخر غاشم القوة يريد استعمار المزيد من العوالم، فإن عالم (كيميت) السماوي لم يعد كافيا لتحقيق طموحاتهما. عَشِقَ القوة الكامنة في سيدة طبيعة أخرى، أحبها واقترن بها، السيدة (تفنوت) ربة الماء وكل ما يرتبط به. كان ثالوثا يمثل بطش الطبيعة بكل ما تحمله الكلمة من معاني.. النار والماء والهواء.. واكتملت القوة بظهور ابنته (نوت) وقهرها للسماء وتنظيفها من الأسياد الشاردة.. ثم كان (جِب)، ابنه بعد (نوت)، فصل الختام بقدرته على السيطرة على الأرض وترباها وصحاريها وتضاريسها.. لقد انتهى كل ما يمكن السيطرة عليه بهذا العالم، وَوَجِبَ البحث عن عالم آخر، وبسط نفوذهم عليه.. ولكن كان لأغلب أحفاده رأيا آخر..

من الأحفاد، لم ينجحوا إلا في ضم (ست) إلى حزبهم ذي التطلعات الغازية، بينما وقف ضدهم ثالوث آخر من الأحفاد: (أوزيريس) و(إيزيس) و(نفتيس)، ثم عَضَّهم جيل آخر جديد من صلبهم: (أنوبيس) و(تحتوت).. وهكذا وقف الخَلْفُ ضدا لرغبات السَلَفِ

الاستعمارية، ولم ينل الأجداد شفقة بأحفادهم، ولم يقبلوا حتى الحديث معهم بعقلانية، وأعلنوها حربا على الجميع، معارضتهم من الداخل، من دمهم، قبل ضحاياهم من العوالم الأخرى..

كانت معركة العروش الخاوية أشبه بقيامة مصغرة.. حربا أثبت فيها الأحفاد أنهم قد ورثوا الكثير من قوة الأجداد والآباء.. واستطاع حزب (أوزيريس) دحر -بل وقتل- اثنين من متمردي التاسوع -أجدادهم وأبائهم- قبل أن يسارع (أتوم) بإعلان استسلامه هو وحزبه.. والقبول بوضع الحرب لأوزارها قبل أن يسقط منهم سيد جديد ميتا.. وقد سقط بالفعل منهم اثنان، زوجته (تفنوت) وابنه (جب)، وهو ما يعني خسارة فادحة شخصية ل(شو) قبل أن تكون خسارة لمتمردي التاسوع وطموحاتهم.. ورغم أنه أراد الاستمرار في الحرب حتى النهاية رغم اضطباغها بلون الانتقام الأعمى المائل للخسران المبين، ولكنه رأى في تصرف (أتوم) الكثير من الحكمة.. ففي النهاية لا يزال لديه ثار ضد أحفاده وأبنائهم، ثار من دم لن ينجح الزمان في محوه من ذهنه.. ثار لا يحتاج إلا للانتظار فقط لا غير، وحينما يأتي وقت الانتقام، لن يبالي لرغبات أي كان، حتى ولو كان (أتوم) ذاته..

ما تلا الحرب كان دراميا لأقصى حد: تَنَزَّل ملاك من السماء ونفيه لهم لأعماق بركة (آمت) النارية.. تَزْك العالم الكيمتي العلوي أطلالا ونُفِّي -يصر على أنه نفي لا غير- حزب (أوزيريس) لعالم آخر جديد سفلي يسمى (دوات)، حيث نال المنتصرون شرف -يا لها من سخرية من ذاك الملاك- إدارة عالم يتولى الحكم على الأموات من بشر (كيميت).. من يومها اكتسب (شو) تلك اللمحة الساخرة الدائمة،

وكانه يهرب من مرارته بالسخرية.. يخفيها مردتيًا قناعا يجعلها غير مرئية.. ولكن خلف هذه السخرية كان يجثم الانتقام الدموي في سبات عميق، ينتظر فقط اللحظة المناسبة لإطلاقه من عنانه وإحالة العالم كله لجحيم مستعر.. أي عالم..

كان يحب (نوت) ويحترم قواها، ويرى أنه على يديها ستكون بداية جديدة لطموحاتهم .. كما رأى في سرعة وخفة وشراسة (ست) ما يجعله الجواد الرابع لأية معركة قادمة، بل وتوقع أن يكون هو من يغتال (أوزيريس) إن طالت معركة العروش الخاوية أكثر.. استفاد من (أتوم) القدرة على اتخاذ قرارات حكيمة لَخْطِيَّة قد يجعلها الكبرياء ضربا من الجنون، بالإضافة لقوته الخرافية في التحكم بالنيران كشمس متجسدة.. ولكنه رأى قدره الشخصي بمنتهى الشفافية، سيكون هو من يُشار إليه بالبنان في كل العوالم، قدر (نوت) و(ست) و(أتوم) هو السيطرة على عالم (كيميت)، بينما قدره هو -سيد الريح- سيكون السيطرة على عوالم أخرى.. لهذا، رأى في (آنو) -سيد أسياد الصواعق السومري- خصما جديرا لإشباع هذه الرغبات، بما ذاع عن صيته بين عدة عوالم كسيد دموي لا نذ له، نجح في إخضاع أحد أشرس العوالم في الكون كله. سيكون هو من يقضي عليه وعلى نسله، ويصير سيد الريح الكيمتي هو من أنهى وجود أسياد للصواعق في الكون كله.. بل وربما طمح لما هو أكثر؛ امتلاك قوة الصواعق!

معركة البحر الهامس الجزء الأول

لم يترك (شو) الخيار ل(نينورتا) و(إينانا)، غشت فورة كبرياء دم
أسياد الصواعق على ما تبقى من عقلانية بأرواحهم. تألق يدا (إينانا)
بشرارات كهربية وهي تقول ل(نينورتا):

- هذا المتكبر يريد الموت.. لنمنحه ما يريد.. الموت على يد أسياد
الصواعق!

لم يردّ عليها شقيقها.. أشار للسماء فوق رأس (شو) لتتكف جبال
من السحب بكبد السماء.. ثم استحالت عيناه جمرتان من صواعق
وهو يهدر:

- مطر الصواعق!

انفطرت السحب وصارت ترتدي الأزرق الآن.. ثم تفجرت منها
سيول من الصواعق مدارا.. أضاء المكان كله ليصبح نهارا مقيما من
بروق للحظة واحدة، قبل أن يعم هزيم الرعد، وتنطلق قوة صافية
من الصواعق من السماء للأرض، مستهدفة جسد سيد الريح الساخر،
(شو).

راقب (شو) ما يحدث بابتسامة هازئة، فلما انقضت عليه الصواعق
عاجلها بأن كور شفتيه وأغمض عينيه، ثم نفخ بكل ما يملك من قوة.
ولم يكن ما خرج من بين شفتيه ريحا، بل كانت أعاصير مزلزلة.

هوت الريح الصرصر على الصواعق فشتتها كما لو كانت هشima
واهيا. حتى السحب بددتها الريح وجعلتها تتناثر في كل مكان حتى

تتلاشى. صار (شو) مركزا لأعاصير ظلت تدور حول نفسها مدمرة كل ما تطاله بأطرافها. شعر (نينورتا) و(إينانا) بجسديهما تتلاعب به الريح، فتقذفه ذات اليمين وذات الشمال تارةً، ونحو السماء وباتجاه المحيط تارةً أخرى. وانتهى الأمر بأن ركّز (شو) الريح كله عليهما من الأعلى، ليجد سيدا الصواعق جسديهما يغوصان بقلب المحيط اللجي العميق حالك الظلمة، بلا حول منهما ولا قوة.

لم تستغرق كبوتهما وهلة قبل أن ينشق سطح الماء مع عودة ظهور سيدي الصواعق المباغت من أعماق المحيط.. شيعهما (شو) بنظرة ساخرة وهو يقول بلهجة قوية:

- الريح أقوى من الصواعق.. الريح هو سيد الصواعق ومنبعها.. لا أمل لكما يا أحفاد (أنو).. كم كنت أتمنى لو حالفتني حظ أكثر وتمكنت من النزال معه سيد الصواعق الحقيقي حيًا..

نفض كل من (نينورتا) و(إينانا) قطرات الماء عن جسديهما ليتمكننا من خلق الصواعق مجددا بدون ضرر ذاتي، فأضاف (شو) وهو يشير للمحيط:

- في رأيكما، لماذا اختار سيدكما إرسالكما لهذه البقعة بالذات؟ فوق الماء.. حيث يكمن سر التصدي لصواعقكما بسهولة..

ثم تألقت عيناه وهو ينهي بقسوة:

- لأنه يريد التخلص منكما..

قال (نينورتا) بعينين من برق:

- لا سيّد لنا أيها المهرج!

ثم همس ل (إينانا) وجسده يستحيل كتلة حية من الصواعق:

- تيقظي لما بعد الزجرة ودافعي عن جسدي.

ثم انقض على (شو) كصاعقة متجسدة تدور حول نفسها، وهدير الرعد المصاحب يضم الصمت المحيط. تراجع (شو) خطوة للخلف وهو يتمتم بإعجاب:

- هذا جيد.. هذا جريء..

خلق بيديه جبلا من الريح في لحظة.. ثم تراجع بوثة للخلف مرة أخرى ليخلق جبلا آخر من زوايع.. وبدا كراقص بارع وهو يثب للخلف عدة وثبات، خالقا مع كل وثبة جبلا من العواصف العاتية.. اخترق جسد (نينورتا) البارق جبل العواصف الأول كنصل سيف يبتز ورقة.. ثم اخترق جبلا آخر ثم ثالث.. بدأت سرعته تقل ودورانه يضعف مع تحطيمه للمزيد من الريح. وعندما شتت جسده الفضي اللامع جبلا عاشرا كانت ملامحه قد بدأت تعيد تجسدها، بينما ظل (شو) يتراقص للخلف أكثر خالقا مزيدا من جبال الريح، مترقبا لحظة انتهاء الزجرة وانهيار جسد خصمه الموشك..

بددت الريح قوة الصواعق، ووجد (نينورتا) نفسه يقف يلهث، وبينه وبين خصمه سلسلة من جبال عاصفة.. أطلق (شو) ضحكة مبتورة ظافرة وهو يشير لجباله كلها لتتنقض على (نينورتا)، وهو موقن من تمكنه من سيد الصواعق الأخير.. ففوجئ ب (إينانا) تظهر فوق مستوى جباله كعفريت متسلل، تصيح بنبرة مخيفة وهي تخلق من أطراف أصابعها سوطا من الصواعق، وتهوي به على جسد (شو)

مباشرةً.

نخر (شو) بغيظ وهو يختفي.. لم يختف فعليا ولكنه انسل محمولا على الريح ليفر بعيدا عن مرمى سوط الصواعق السريع والمباغت والمهلك.. فرغم كونه هجوما محدودا وبسيطا ولكنه كان فعالا للغاية إن أصاب الخصم في جسده مباشرة.. ربما فعال كالزجرة نفسها..

وبينما كان (نينورتا) يستعيد قوته، صاحت (إينانا) بكل قوتها، مكتسبة نبرة ساخرة مشابهة لنبرة (شو):

- سيد الريح يفر؟ هذا مناسب لمن يكثر من الكلام بلا أفعال!

حاول (شو) الحفاظ على ابتسامته الساخرة بينما باطنه يغلي.. إنه يواجه اثنين من أسياد الصواعق دُفعة واحدة.. عليه أن يكف عن التقليل منهما ويهاجمهما بكل ما يملك من قوة.. خاصة وأن الفتاة أثبتت أنها أقوى مما تبدو عليه، ولا تعوز الفتى الجرأة.. عليه أن يقضي عليهما قبل أن يكتسبا مزيد من الثقة..

تدّرع بدرع من الريح أحاطت بجسده كله.. هكذا أصبح منيعًا من الصواعق.. ثم عبس وجهه للمرة الأولى في القتال وهو ينخفض ليلامس سطح الماء.. لمس الماء بأنامله وهو يدمدم بكلمات جعلت الماء يتوتر ويتراقص.. ثم انفصل عن الماء إعصار هائل من الماء المحمول على الريح.. تراجع (شو) ليفسح المجال لإعصاره الفريد بالنمو أكثر في الفراغ فوق الماء.. كذلك تراجع (نينورتا) و(إينانا) وهما يتابعان إعصار الماء المتراقص أمام أعينهما.. ثم استعاد ابتسامته الساخرة الواثقة وهو يهمس:

- قبلة الموت من سيد الريح!

محملا بمئات الصواعق، ومسلحا بموجات (تسونامي) عملاقة، ومصاحبا بهدير رعدي مزلزل، انقض الإعصار المتلوي ككابوس مميت على سيدي الصواعق.. كابوس يحمل كل ما يمكن أن يفتك بسيد صواعق.. ماء وريح عاتي، وصواعق!

كانت لمحة من نظرة هي ما تبادلاه (نينورتا) و(إينانا) قبل أن تهمس:

- الماء آمن..

فهمها شقيقها على الفور وسارع بالحدو حذوها وحلق منخفضا خلفها باتجاه سطح البحر. الماء آمن بالفعل إن لم يقم أحدهما بإطلاق صواعق.. الماء آمن فلا يمكن للإعصار المرور خلاله بنفس سهولة مروره بالهواء.. الماء آمن - ببساطة - لعدم احتوائه على ريح يمكن ل(شو) استخدامه كسلاح قاتل.

اخترق الاثنان سطح الماء بينما يهدر الإعصار المائي فوقهما بعنف. صاح (شو) بسخط وهو يرى الإعصار يصيب اللاشيء فوق سطح الماء، ويكتفي بخلق جزء مقعر فوق الماء أسفله مباشرة. ظل هذا الجزء يغوص عميقا لأجزاء من الثانية قبل أن يعود أدراجه ويرتفع سطح الماء المتوتر معه ومع انقشاع الإعصار.. وإيدانا بظهور إعصار من نوع جديد.. إعصار من الصواعق.

بمجرد هجوع الإعصار برز (نينورتا) و(إينانا) طائرين فوق المحيط، ولكن من جهتين متضادين.. كان (نينورتا) يطير نحو يمين

(شو) وهو ينفذ الماء بحركة سريعة، ويعقبها بخلق ستار رأسي من سحب ركامية سوداء فوق رأسه، بينما حلقت (إينانا) يسارا وقطرات الماء تتطاير من جسدها وشعرها، ثم برقت عيناها باللون الفضي وهي تستعد لخلق صاعقة جسد جبارة كما فعلت بمعركتها السابقة، وذاكرتها تستدعي كلمات من أبيها (إنليل) عن أصل الصواعق ومدى قدراتها، هامة لشقيقتها:

- لنحرمه من مصدر قوته.

صَقَّ (شو) بيديه بقوة خالقا قوة طرد مركزية جبارة من الريح، هو مركزها، بينما اندفعت دوائر من الريح والصفير لتنفذ على كل ما حوله بلا استثناء.. نجح الريح في تشتيت سحب (نينورتا) المتراكمة، في حين ظل جسد (إينانا) ثابتا كمنارة من البرق بقلب عاصفة ريح، ثم أطلقت زمجرة خشنة وهي تُطلق السنة البرق المتتالية من أطراف أصابعها.

تراجع (شو) بخفة وهو يراقب البرق الذي لم يلمسه، قبل أن يفهم أنها لم تكن تستهدفه.. طعنت خناجر البرق سطح الماء أسفله بطريقة مدروسة في شكل دائرة.. وبينما يراقب ما يحدث بترقب كان (نينورتا) يفعل المثل فوق رأس (شو) مباشرة بعد أن فهم ما تقوم شقيقته بفعله.. ورئت كلمات الأب (إنليل) في أذنيه وكأنه حيًا في هذه اللحظة: ((لصواعق قوة خاصة ضد كل عنصر من عناصر الطبيعة، لا تنس هذه المعلومة مهما بلغ خصمك من القوة)) فقام بخلق السنة من البرق صنعت دائرة من الشرر بالسماء..

فوق رأسه لمح (شو) دائرة البرق.. وتحت قدميه تمغن بدائرة برق

أخرى تدور شراراتها فوق الماء.. لمعت عيناه بالفهم عندما اقتربت دائرتا البرق من بعضهما البعض ببطء، وكأنهما يودًا سحق جسده.. ولكن لم يكن هذا مقصد (نينورتا) و(إينانا).. بدأت الدائرتان تبتعدان عن بعضهما البعض بعض فترة اقتراب مؤقتة، وقامت بامتصاص كل ذرة هواء موجودة فيما بينهما.. عملية تفريغ هواء فيزيائية بحثة..

صاح (شو) بألم ممتزج بالغضب لأول مرة بالنزال وهو يشعر بروحه تنسحب منه مع امتصاص الهواء من حوله، ومن جسده.. انطلق صوت أزيز رفيع مع تضاعف قوة البرق بالدائرتين فزادت قوة شفت الهواء.. بدا (شو) كالمحتضر ووجهه ينتفخ وعيناه تجحطان وجسده يبدأ في التفكك من بعضه بعد أن استحال الوسط الذي يحتويه فارغا من الهواء.. فضاء.. ضرب من العدم..

برق جسدا (نينورتا) و(إينانا) أكثر مع دفعهما للمزيد من الطاقة ضد مقاومة جسد (شو) اليائسة.. ثم فجأة انتهى كل شيء بالتزامن مع زئير سماوي طغى على كل ما حوله، ليبرز الأسد (شيزمو) من كبد السماء، محلقا فوق بساط من الريح. كائنا واقفا منتصب الظهر على قدمين، بجسد عضلي ذهبي مشعر مدجج بالدروع الزرقاء، وجه أسد غاضب كثيف شعر الرأس، ويمسك بقبضته حربة زرقاء متألقة الطرف.. وكان لا يكف عن الزئير..

بحجم يفوق حجم (نينورتا) الضّعف انقض الأسد الطائر، سابقا هجومه بقذف الحربة نحو خصمه.. اضطر سيد الصواعق للتراجع وتفادي ضربة الحربة، ففوجئ بأنياب الأسد تهوي مباشرة على صدره.. ضرب صاعقة سريعة محدودة باتجاه الأسد ألقتة للخلف

قليلا.. وأخذ يلهث وهو ينظر للجرح السطحي بصدرة والذي جعله يرى دمائه من خلال درعه.. هوت (إينانا) على (شيزمو) بسوط الصواعق السريع، أصابه في صدره وقذفه للخلف أكثر مقلوبا رأسا عن عقب للحظات، قبل أن يعتدل على بساط الريح الملاصق له.. وينظر لخصميه بغضب وهو يقترب ببطء من سيد الريح (شو)، الذي استعاد روعه مع اختفاء دائرتي البرق فوقه وتحتة، وبدأ يتنفس بنهم بعد أن كاد أن يلقى حتفه منذ قليل اختناقاً ممزق الأوصال والخلايا، لولا تدخل الأسد ومنعه لسيدي الصواعق من تدمير سيده.. نظر (شو) ليديه وهو يقبضهما ويبسطهما بتأني، ثم ألقى نظرة سريعة على (شيزمو) وهو يغمغم وقد فقد ابتسامته:

- كان هذا وشيكا حقا.

ثم رمق خصميه بلحظ عينييه بمقت، قائلا ببطء:

- سأكف عن محاولة قتلكما.. سأقوم بقتلكما على الفور!

الجميلة والوحش

كان سيدا ببلاد ما النهرين السماوية ما قبل (سومر)، السيد (بابا)، منذ زمن بعيد، عندما كانت المملكة كلها تعيش فيما يشبه نظام المدينة الدولة؛ أي أن لكل مدينة حكمها الذاتي وكأنها دويلة مستقلة، لا تخضع لحكم أحد، ولا يوجد لها سيد واحد مسؤول عنها. كل راعٍ ببيته، وكل مسؤول عن رعيته لا أكثر. كان لهذا النظام أوجه حسنة وأخرى سيئة، ولكنه لا يتذكر هذه الأيام إلا ويشعر بأنها كانت الأفضل في التاريخ، فإن لم يكن في تاريخ المملكة فعلى الأقل في تاريخه هو، قبل أن يتم قتله بالطبع.

عندما اندلعت نيران جشع وطمع الأسياد وحبها للنفوذ والسيطرة، لم يكن (بابا) من مشعلي هذه الحرب، ولكنه كان ممن اكتوى بلفح ظلمها. تجنّب الحرب -حرب الأسياد الدموية الأولى- ولكنه لم ينجح في منع ويلاتها الشخصية عليه. فكما فرّ العامة للبراري والقفار والصحاري خوفاً من بطش قتال الأسياد عليهم، استكان القليل من الأسياد السلميين ببيوتهم اجتناباً للحرب. لم يكن (بابا) ضعيفاً، كانت لديه قدرة فريدة، كان بإمكانه التنقل من مكان لآخر بلمح البصر بدون أن يحرك قدماً، طي المسافات كما يُطلق على قوته. ولكنه آثر البقاء بمنزله مع زوجته وطفليته، وانتظار ما ستسفر عنه الحرب.

انفجر الجزء الخلفي من بيته، كان انفجاراً عنيفاً هز المنزل بأساساته، مصاحباً بدويّ مختلط من أزيز وزمجرة وفحيح، كان جزءاً من نزال دموي بين سيدين بالتأكيد. أشار (بابا) لزوجته وطفليته بالبقاء بمخبأ سفلي مجهز لهذه الظروف، واختفى في لمح

البصر ليعاود التجسد خلف المنزل ليستكشف ما نال المنزل من أضرار. رأى ثلاثة من الأسياد يتحلقون حول سيد مصاب، يحرقون جسده محيلين إياه لجثمان من رماد. انتبهوا ل(بابا) وقدراته عندما رأوه يظهر من الفراغ. لم يجد وقتا للتحدث أو عرض السلام. هاجموه بمنتهى السرعة والوحشية. كان هجوما غادرا لدرجة أنه لا يذكر كيف نالته الإصابة المميتة. ولكنه يتذكر أنه قاموا بجزّ جسده المحتضر المخن بالجراح ليقتذفوا به أمام مدخل منزله. ليفاجأ بجث زوجته وطفليته معلقة كجثامين مصلوبة فوق باب المنزل الذي صار خرابا. رغم سرعته كانوا أسرع منه بكثير. ورغم حيظته لم ينجح في درء خطر الموت عن أهله. وبينما كان (بابا) يطلق صيحة لوعة مع مرآه لجث أفراد أسرته، انتهى كل شيء بفصل رأسه عن عنقه، ليجد نفسه في مكان آخر، عيان بلا جسد تطويان المسافات بأسرع مما كان يفعل في حياته. كان يعبر لعالم الأموات روحا بلا جسد. ليندمج بعالم (أرالو) السفلي للأبد روحا بلا جسد.

ذات يوم، بوغت روح (بابا) بالسيدة (إرشكجال) -سيدة العالم السفلي- شخصيا تتجسد أمامه، تعرض عليه عرضا لا يمكن رفضه. قالت له نضا بصوتها الرفيع الأشبه برنين الأجراس:

- بعدلي أقدم لك العرض الذي تستحقه روحك. لعالمي السفلي وردت روحا طازجة لجسد سيد وحشي رهيب. للأسياد الوحشية أجسادا لا يمكن فصلها عن أرواحها مثلكم أيها الأسياد بسهولة؛ لذا لن يكون تحكمك في جسده يسيرا في البداية، وأصدقك القول قد تفشل، ما لم تكن رغبتك في العودة للحياة شديدة القوة.

ردت روحه بوحشية لم تعهدها إبان حياته الغابرة:

- سأقتلهم جميعا.. لن أغادر منهم أحدا.. إعطيني سبيلي للانتقام..
أريد تذوق دماءهم..

ابتسمت (إرشكجال) وهي تهز رأسها باستحسان.. وقامت بإرشاد روحه لمستقرها الجديد بعد بعته من الموت.. جسد الوحش الرهيب صريع حرب الأسياد الدموية الأولى، الوحش (خومبا)، ليولد من جديد وحشا أشد ضراوة بجسد وروحين، الوحش (خومبابا)..

لم يكن ترويض روح السيد الوحشي الرابضة بين جنبات جسده -الحيوانية- عسيرا، استطاع أن يخضعها لسيطرته ويبقيها في ركن قصي تكفي بالمشاهدة، وقام هو بما يريد من سفك للدماء.. يشعر أن الروح الحيوانية ذاتها اقشعرت من هول انتقامه من الأسياد القتلة.. وبعد أن نال انتقامه شعر بأن الهدف من بعته قد تم بنجاح، فانعزل بغابات مدينة (الوركاء)، يعيش مُقْتَاتًا على لحوم ودماء تعساء الحظ ممن يعبرون الغابة عرْصًا..

حتى كانت لحظة ظهور البشرية الخرقاء الضئيلة (نينشوبور)، وصيفة سيدة الصواعق (إينانا).. لم تبدو عليها ذرة خوف، لم يغمرها إلا رغبتها في نيل مساعدته من أجل سيدتها.. اجتازت الغابات التي اشتهرت بأن من يلجها لا يخرج منها، فقط من أجل سيدتها.. كان حينها قد بلغ تقززه من نفسه حدا دفعه للتفكير في إنهاء حياته البائسة التي لا غرض لها إلا انتقام سريع ثم حياة طويلة بلا معنى.. كيان هجين بائس بجسد جبار وروحين متنافرين.. كيان أيقن أن صفقة سيدة العالم السفلي كانت خاسرة بكل المقاييس؛ فما نوع

الحياة التي تتوقف فقط على الانتقام؟!

كان ظهور الوصيفة الرقيقة شديدة العزم بمثابة نقلة في حياة (خومبابا).. شعر بأن تنفيذ رغباتها ينير حياته المظلمة، ويعطي عبثا عطرا لخبث مردود حياته الطويلة.. وهكذا وافقها.. وافق الوحش الرهيب الهجين على الخضوع للبشرية الضعيفة.. خضعت روحه لروحها، ووجدت روحه فيها ملاذا لفترة تيه لم تكن لتنتهي إلا بنهاية حياته للمرة الثانية..

عندما استدعته للمرة الأولى، بقلب معركة قمة الزقورة، كانت سيدتها وشقيق سيدتها -أسياد الصواعق- على وشك الدخول في معركة شديدة العنف ضد سيد طافر.. ذو اللون الأرجواني وحزام الجماجم (مردوخ)، وكهنته الناريون ذوي البأس.. لم يقابله من قبل ولكنه يعرف قدراته التي لا حد لها، ولكن لم تنابه ذرة خوف واحدة.. قوته لا حدود لها.. وحتى إن جاءه الموت فليس بالشيء السيئ، وليست المرة الأولى أيضا لوفاته.. ولكن انتهت المعركة بظهوره، ووعدهم (مردوخ) جميعا بلقاء قريب، وهو الوعد الذي وفى به بالفعل، ليقابلهم بعد انتهاء معركة أجراس الرعد الضارية ضد أسياد الحديد وسيدة العقارب، ويقوم بعرض انضمام حزبهم القوي إليه، مقابل شيء وعد به سيدي الصواعق.. ولما كان واضحا أن السيد الطافر يفي بوعوده، قَبِلَ آخر أسياد الصواعق عرضه.. لم يعلم (خومبابا) ماهية العرض الذي جعلهما يوافقا على الانخراط في حرب كونية لا ناقة لهما فيها ولا جمل، ولكن من الواضح أنه يستحق دخولهما حربا جديدة ضد أسياد (كيميت) -السماوية والسفلية- ذائعة الصيت بضراوتها..

(وهكذا، وللمرة الثانية، تقوم سيدتي الجميلة (نينشوبور)
باستدعائي.. سيدتها في خطر، وهذا يعني ضرورة تدخل من
جديد..)

معركة البحر الهامس الجزء الثاني

بزمجرة كالهدير كان (خومبابا) يخترق الأبعاد.

أفسح سيدا الصواعق مكانا بينهما للوحش المجنح، ولكنه خالف توقعاتهما وهو يباغت (شيزمو) بانقضاضة مدروسة. اتسعت عينا (شو) بدهشة وهو يرى الوحش هائل الضخامة، يخفق بجناحين مهترئين فيطوي المسافة حتى أسده (شيزمو) في جزء من اللحظة. كان (خومبابا) يعلم يقينًا أن وجوده ليس في حسابان سيد الهواء وأليفه الوحشي، لذا قام باستغلال هذه المفاجأة أحسن ما يمكنه. حتى توقيت ظهوره كان مدروسا للغاية، كان يراقب متمهلاً حتى تحين اللحظة المناسبة، لحظة مفاجأة سيد الريح لخصميه بظهور (شيزمو). قد يكون ظهور الأسد مفاجأة، ولكن سيكون ظهوره هو -وحش غابات (الوركاء)- مزللاً فارقاً في نتيجة النزال.

بوغت الأسد بالوحش يفتح فكيه عن آخرهما وينشبهما في عنقه. حاول التقهقر ودفع خصمه للخلف ولكن سارع (خومبابا) بإطباق فكيه على العنق بكل قوته. زار الأسد، انتفض ثم خار. هز (خومبابا) رأسه يمينا ويسارا بدون أن يفلت عنق الأسد، وخلال لحظة كان الرأس يميل للخلف ساقطاً بعد أن تمزقت عنقه بشكل يرثى له. ورفع (خومبابا) عقيرته للسماء مطلقاً خواراً وحشياً مرعباً، وجثة الأسد (شيزمو) تهوى من حالق لترتطم بسطح الماء المظلم، قبل أن تغوص بقلب الماء كجلمود صخري.

عبس (شو) وضافت عيناه بكزه وهو يغمغم:

- لقد كان وحشي الأثير! لتتل منك الهوجاء!

ثم صرخ وهو يدور حول نفسه متحولاً لإعصار متجسد من ريح.
تمتت (إينانا) بفزع وهي ترى الإعصار الحي ينقض على (خومبابا):

- لقد استحال لعنصر طبيعة، سيكون هجوما مهلكا!

ردّ (نينورتا):

- ولكنه سيكون بعده معرضا للهلاك!

تراجع (خومبابا) أمام انقضاضة الهوجاء. رغم صغر حجم الإعصار مقارنة بحجم الوحش الرهيب ولكنه شعر بقوة الهجوم، وأيقن أنه سيكون هلاكه إن لمسه فقط. انقض الإعصار فقابله الوحش بنفث النيران من منخرينه. نيران قادرة على دك الجبال دكا. انعكس وهج اللهب -الذي امتزج فيه الأصفر بالأحمر بالأزرق- على وجهي (إينانا) و(نينورتا)، ورسم صورة متحركة بالألوان على صفحة الماء السوداء. كان لاندفاع ريح (شو) صرير وصفير، وللفح شجرة نار (خومبابا) أجيج ولظى. وبرغم عنف اندفاع لسان النار اخترقته عاصفة (شو) الهوجاء، ببطء بادئ ذي بدء، ثم بسرعة. ربما زاد (شو) من قوة انطلاقته، وربما بدأت قوة نفث اللهب في التراخي، ولكن المؤكد أن الإعصار الحيوي صار الآن قاب قوسين أو أدنى من اختراق حلق الوحش المعرض وأتونه المستعز.

حدث الأمر سريعا، بنفس سرعة هجوم الوحش على الأسد. وقبل أن تستوعب (إينانا) ما يحدث كانت خناجر الريح تتفرق من الإعصار لتخترق مصدر أجيج أتون النيران بين قاعدة جمجمة الوحش وقمة

حلقة. وكما حدث للأسد الرهيب بالضبط مالت رأس الوحش للخلف منفصلة عن العنق والجسد كله، وفقد جسده تماسكه وبدأ يميل ليسقط في الماء، خلف جثة الأسد.

التقط (نينورتا) آخر كليمات تخاطبية قذفها وغي الوحش بين خلايا دماغه. وربما هذا ما جعل لهبه يتراخى قليلا في قلب هجوم (شو)؛ تركيزه على إرسال الرسالة لسيد الصواعق مهما تكلف الأمر.

وبينما كان (شو) يستعيد تجسده شيئا فشيئا، كان (نيورتا) ينقض عليه برمح طويل من الصواعق، قاذفا إياه بكل قوته على الجسد نصف المتجسد، مسترجعا صوت (خومبابا) الخشن بعقله: (هجوم سريع بسلاح بعيد المدى قبل اكتمال تعافيه). كان جسد (شو) في هذه اللحظة يتكون من نصفين، نصف أيمن من جسد حي، ونصف أيسر من زوابع صغيرة ملتصقة، في سبيلها لتعود لخلايا خلال أقل من لحظة، قبل أن يصلها رمح الصواعق المباغت.

لم يكن (شو) غافلا عن العَرَض الجانبي القاتل لهجومه، ووضع بالفعل خط دفاعي. فبالتزامن مع هجومه الأخير، كان قد ضرب سطح الماء أسفل سيدي الصواعق بقبضات من الريح دفعت الماء للأعلى كأعمدة متراقصة متجاورة. وبينما كان الوحش (خومبابا) يحتضر تمددت أعمدة الماء بفعل دَفْعَةٍ من ريح خفي لترتفع قليلا. وبينما كان جسد (شو) يتراجع مستعيدا تجسده، قام الريح بتشكيل أعمدة الماء كما تشكّل الأصابع الصلصال، وجعلها تنقض على جسدي (نينورتا) و(إينانا) وهي تدور بسرعة وخفة، قبل أن تحيط بالجسدين ككرتين من الماء الذي لا يكف عن الدوران. كل كرة قادرة

على ردع أي قوة صواعق وردّها لمرسلها كهدية قاتلة. لم يكن يعلم أن سيد الماء (إيسو) المهيّب كان قد استخدم نفس تقنية الردع هذه إبان حرب الأسياد الدموية الأولى، ضد (آنو) سيد الصواعق الرهيب الراحل، واستطاع شلّه بها لفترة من الوقت بقلب المعركة الغابرة.

كانت خطة الردع هذه لتنجح بامتياز، لولا سرعة هجوم (نينورتا). لم يكن (شو) ليتوقع - في أسوأ الاحتمالات الجامحة - أن يضحي الوحش بآخر قطرات من قدراته لينقل وعيه رسالته ل(نينورتا). من المفترض أن يبدأ أي هجوم ضده بعد موت الوحش، وليس قبل موته حتى ولو بجزء من الثانية. لهذا بدأ (نينورتا) هجومه قبل أن يبدأ (شو) تجسده، قبل أن يبدأ احتضار (خومبابا) حتى. وهكذا انطلق رمح الصواعق قبل أن تحيط كرة الماء بجسد (نينورتا). واخترقت جسد سيد الريح غير المتجسد بشكل كامل.

اتسعت عينا (شو) و(إينانا) في نفس اللحظة، كلاهما نطقتا بذهول مطبق وعدم تصديق. نظر (شو) بعين واحدة باقية للرمح الذي برز طرفه من ظهره، وشعر بألم رهيب ممتزج بتغلغل الصواعق بين جزيئات الريح المكونة لجسده. (هذا مؤلم لدرجة يصعب وصفها. مؤلم نفسيًا وجسديًا في آن واحد. هل نجح حفيدا (آنو) في اغتيالها حقًا؟!). لم يجد جوابا لسؤاله بسبب احتراق خلايا مخه بسيالات من البرق المتلطي. وانتهى وجوده لتنبثق من جسده زوايع مندفعة من ريح تدافعت في كل مكان. بينما غمغمت (إينانا) وهي تراقب:

- لا أصدق هذا. لقد قتلناه!

تابع (نينورتا) زوايع الريح التي ظلت تحوم بالمكان قبل أن تهيم على وجهها في الأفق، وكأنه يريد التيقن أنه مات حقاً ولا يقوم بخدعة جديدة. ثم قال وهو يلتفت نحوها:

- لم يكن خصماً سهلاً.. كدت ألقى حتفي منذ قليل لولا تدخلك.. ولم نكن لنتصر لولا تضحية وحش وصيفتك الجبار نافث النيران..

امتعض وجه (إينانا) الجميل وهي تتذكر وصيفتها (نينشوبور) وما قد تشعر به عندما تعلم بموت وحشها الأليف، ثم قالت بهدوء:

- لم يكن الوحش قوياً بقدر ما كان ذكياً ومضحياً..

والتقطت شذرات من مشاهد انتقلت من عقل الوحش أثناء احتضاره. مشاهد تعتقد أنها تفجرت لا إرادياً مع موت الوحش. مشهد لجثة طفلتين وأمهما. وجه أنثوي قاسٍ أكثر منه جميلاً. انتقال بين عالم الأموات للأحياء. انتقام ودماء وأشلاء وجثث. وجه (نينشوبور) الباكي بقلب غابات (الوركاء). ثم لا شيء.. ولكن كان هناك شعور انساب عبر الأثير بعد المشاهد، شعور الوحش المحتضر في آخر لحظاته، والغريب أنه لم يكن شعوراً بالألم أو الغضب، بل كان شعوراً بالراحة الخالصة.. الراحة التي لا يمكن تمنيتها..

أضافت لشقيقها شاردة:

- ولكن الأكثر أهمية أنه كان مُخْلِصاً.

قال (نينورتا) بإيجاز وكأنه لا يؤدّ الخوض في هذا الحديث:

- أو كان -ببساطة- يريد الموت.

سقطت جثة الوحش بالماء بصوت انفجار هائل، لتتبع جثة الأسد في مصيرها الأبدي بقاع المحيط التي تعكر سطحه الأسود بقطرات دموية صفراء. وتناثرت قطرات الماء -بعد انحلال كرتي الماء المحيطتين بسيدي الصواعق- على جسديهما. مسحت (إينانا) الماء عن جسدها وهي تعود لتردد بشرود:

- لقد كان يتلاعب بالماء وكأنه السيد الغابر (إيسو).. أو حتى ابنه (إنكي)..

قاطعها (نينورتا) بشيء من الغلظة وهو يهزها من كتفيها:

- لقد انتهينا من هذا.. كان جبارا، كان ماكرا قادرا على تطويع الماء بقوة الهواء، وكأنه سيّدًا لِعُنْصُرَيَّ طبيعة لا عنصر واحد فقط.. ولكنه لم يكن نذًا لأسياد الصواعق.. وقد عاش يحلم بنزال ضد سيد أسياد الصواعق السالف فنال منه حَلْفُهُ، نحن.. لقد نال الميتة التي كان يتمناها، تماما مثل وحش وصيفتك.. ميتة له أن يفخر بها بعالم (أرالو) السفلي بين أرواح القتلى!

- لا يوجد شرف في الموت!

- أختلف معك يا شقيقتي.. وإلا لماذا ما زلنا نتذكر موت السيد (آنو) بمنتهى الإجلال، ولا نكف عن التردد أنه مات يحارب بجسد لم يكف عن إطلاق صواعقه حتى آخر لحظات حياته.. حتى والدنا (إنليل) أبى أن يموت إلا ويأخذ معه روح خصمه المرتزق في نفس اللحظة.. أحترم سيد الريح الكيمتي هذا ولكني لا أتمنى أن يعود لينازلني من جديد، ويكفيه هذا شرقًا..

صمتت (إينانا) تهضم كلماته، ووجدت نفسها تسأل ببطء:

- والآن ماذا؟

نظر (نينورتا) حوله.. لقد تم إنجاز المهمة التي كلفهما بها (مردوخ)، ألا هي فتح البوابة الأرضية ما بين العوالم الثلاث المتوازية: (بابل) و(كيميت) و(أطلانتس).. ولكنه ظل ينظر حوله بشك، هناك شيء ما لم يرقه في الهدوء المحيط بالمحيط، الهدوء الذي كان أشد خطرا من أعنف صخب في مثل هذه اللحظة.. وكأنما تقرأ (إينانا) نظراته قالت:

- لا يوجد أحد.. ولا أي كائن من أي عالم باستثناء الغابر سيد الريح..

هز رأسه قائلا:

- لقد قمنا بتنفيذ الجزء الخاص بنا، وحن وقت (مردوخ) ليسدد الدين، كما اتفقنا معه لا يوجد لنا أي دور حربي بعد فتح البوابة.. لنعد أدراجنا الآن، لنعد ل(بابل) السماوية ونترك التفكير فيما هو قادم بهذا العالم لمحبي الغزو.. لقد انتهى دورنا في هذه المعركة وأن أوان عودتنا لعالمنا ومملكتنا.. لدينا مملكة تنتظرنا وشعب لنخدمه وأسياد لنحكمها..

بدا التردد على وجه (إينانا) وهي تقول:

- ولكن ما قاله سيد الريح عن (مردوخ)، هل حقا أراد الزج بنا بقلب معركته رغما عنا؟

قبل أن يفتح فمه ليرد حدث ما يعتبر ردا عمليا، دائرة أرجوانية

انبعثت فوق رأسيهما تماما، اللون الأرجواني المميز ل(مردوخ)،
وكأنه يقول لهما انتهت مهمتكما وعودا أرداجكما مشكورين، هكذا
فكر سيدا الصواعق وهما يتجها ببطء نحو البوابة، وشيء كثير من
ريبتهما ب(مردوخ) ونواياه تتبخر، جاهلين أن هذه البوابة التي
أرسلها لهما السيد الطافر لا تتجه نحو (بابل) السماوية مطلقا!

القطب الشمالي

لم يكن ما رآته عينا (نينورتا) و(إينانا) شيئا توقعه أي منهما.. لم يروا لمحة تدل على انتقالهما لعالم (بابل) السماوي.. بل كانت بالأسفل مياه محيط هائل مظلم، تشبه لدرجة كبيرة البقعة التي دارت فيها معركة البحر الهامس منذ قليل. ولكن امتازت هذه البقعة بوجود أربع جزر متناثرة كأذرع صليب حول جبل ينتصب بالمنتصف مهيبا فوق سطح الماء، بينما يتدفق الماء هادرا بين الجزر من خلال قنوات أربعة، ليتجمع كله بالمنتصف وتتكرر أمواج المد العنيف على سفح الجبل..

وكان هناك كائن بشري الهيئة يجلس فوق قمة الجبل، ويرتدي ما يرتديه الملوك.. وكان ضخم الجثة كالثيران..

تبادل (نينورتا) و(إينانا) نظرات متعجبة.. الدائرة الأرجوانية نقلتهم لبقعة أرضية أخرى.. (مردوخ) يراوغ.. يراوغ للمرة الثانية إن صدق الراحل (شو) في شكوكه التي نفثها بعقليهما.. ولكنهما اكتفيا من هذه الحرب ولن يرفع أيهم سلاحا في وجه أي كائن كان، فهل سيكون لذلك الجالس فوق قمة الجبل المظلم رأيا يختلف؟!

اقتربا ببطء من قمة الجبل، وقد حجب الظلام ملامح وجه الكائن الضخم، ولكنه لم ينجح في إخفاء نظرة عينيه اللتان كانتا تشتعلان كجذوتين بمحجرين غائرين، وتضيئان وجهه الذي كان ينطق بالغضب المتجسد..

اعتدل الكائن بحركة سريعة فتأهب سيدا الصواعق، حلق ببطء

ليقترب منهما. اشتعلت يداه بنيران مفاجئة وهو يرفع ذراعيه للأعلى.. بدا كمشعل حي وهو يضيء ما حوله، ولما اقترب بما يكفي توقف، وقال محققا في وجهيهما:

- نجحتما في قتل سيد الريح إذا..

قال (نينورتا) بلهجة قوية:

- هو من أراد هذا.. لم نريد حربا..

هز محدثهما رأسه -المكللة بتاج مزدوج- أسفا وهو يقول:

- قائدكما يتلاعب بكما.. لقد زج بكما في مواقف متتالية لن يكون لديكما فيها اختيار غير القتال أو الموت.. هل أنتما من السذاجة التي تجعلكما تتخيلا أنه من الممكن اختراق عالم البشر وفتح بوابة بين العوالم ثم العودة بدون إراقة قطرة دم واحدة؟!

كادت (إينانا) تجيبه غريزيا بالإيجاب (نعم كنا بهذه السذاجة) ولكنها أحجمت في آخر لحظة وقد تماكنت نفسها، بينما كان رد (نينورتا) القوي الذي لاحظ إمام خصمهم الجديد بالتفصيل بالمعركة السابقة، حتى الحوارات التي قيلت أثناءها:

- لا قائد لنا ولا سيد!

قال السيد الكيمتي بتعاضف مصطنع:

- تبدو ان قليلي الخبرة على حرب كونية مثل هذه التي انخرطتما فيها. شاب وفتاة أخضران. أحفادي يفوقانكما عمرا وخبرة يا آخر أسياد الصواعق!

وجدت (إينانا) الفرصة لتسأله:

- ومن أنت أيها الجد العجوز؟

اشتعل جسده بغتة كشمس منتصف ليل وهو يقول بنبرة جافة
فيها من الغرور ما يفيض:

- أنا الأول ولست الآخر.. الكامل ولكن المتجدد.. أول أسيا
(كيميت) السماوية وأبو الآلهة عند بشر (كيميت).. أنا (أتوم) كبير
التاسوع!

قال (نينورتا) ببرود، وعيناه تشتعلان بالبرق ردًا على نيران (أتوم):
- لا نريد بك شرًا..

اختفى البرق من عيني (نينورتا) لتحل محله نظرتة الحائرة.. نظر
نحو (إينانا).. رفعت يدها لتخلق خمسة خيوط من الصواعق من
أطراف أناملها، ولكنها لم تلبث أن خمدت كلها في لحظة.. تراجعت
بذهول، و(أتوم) يطلق ضحكة ساخرة ظافرة قصيرة أعقبها بقوله:

- عالمكم السماوي البابلي حديث الوجود نسبيًا.. سحرتكم
وحكماؤكم ينقصهم الكثير.. عالمكم ضعيف وفقير ينقصه الكثير من
المعادن التي تفيض بها كل العوالم السماوية الأخرى وحتى أرض
البشر، معادن هي مصادر للدمار إن وُجِدَت بعالمكم..

تذكر (نينورتا) و(إينانا) معدن الحديد الأرضي الفتاك، وكانت
(إينانا) تعلم من وصيفتها عن مادة حرير الأرض السحري. حديث
(أتوم) لا يجانب الصواب للأسف.

كان يكمل وهو يومئ برأسه نحو الجبل الذي يتوسط الجزر
الأربعة:

- هذا الجبل ليس من صنع الطبيعة.. لقد صنعه لي حليف حديث
العهد كان عدوًا لي منذ عهود خلت.. ساحر قيمتي أريب هو الأمهر
بين كل العوالم.. ساحر يملك من المعرفة وبراعة السحر ما جعله
يقوم بخلق هذه المادة السحرية التي تسبب خللاً بالآثير، خلل ينجم
عنه توقّف عمل الصواعق تماما، وتُبطّلها كما لو كانت نسيا منسيا..

ثم مال برأسه بطريقة تميلية قائلا:

- يا لبؤسكما.. ستموتان ميتة العامة، لا ميتة أحفاد سيد أسياد
الصواعق ذائع الصيت بكل العوالم.. وجّل ما يمكنكما استخدامه
للدفاع عن حياتكم البائسة هو قبضاتكما العارية، في مواجهة هذه
القوة الغاشمة.

قرن آخر كلماته بأن فرقع بإبهامه ووسطاه لتشتعل السماء مع
بزوغ الكرة الضخمة التي تتأجج بنيران مشتعلة فوق رأس (أتوم)،
ومع إضاءة السماء لم تستطع (إينانا) كبّح شهقة ذهول مع تجلّي
ذلك الزاحف الأفعواني العملاق الذي كان راقدا بين السحب يراقب
ما يحدث، وكأنه جبل سماوي ناهز ضخامة جبل الماء حجما، بجذع
سميك عضلي ملتف لا يمكن رؤية آخره، مغطى بحراشف زرقاء،
ووجه أشبه بوجه تنين لا مجرد أفعى.. أشاح بوجهه وكأن ضوء
الشمس الحمراء أزق مهجعه، رافعا عقيرته مطلقا خوارا وحشيا
ذكرهما بخوار الوحش (خومبابا)، وتمنّت (إينانا) في سريرتها ألا
يكون قادرا على نفث النيران معله.

حاول (نينورنتا) عدة مرات إطلاق صواعقه عبثًا، وكأنه لا يصدق ما قاله (أتوم) منذ قليل، بينما أذعنت (إينانا) لحقيقة الأمر، أنهما الآن لا يملكان أية قوة خارقة، وندمت أشد الندم على فقدانهما لأبطال الهالات المقدسة الثلاثة، والذين كان وجودهم سيعدل كفة ميزان القوى. حتى (خومبابا) لم يعد موجودا لتتوقع دخوله ساحة المعركة لإنقاذها. لقد فقدوا الكثير حقا خلال هذه المعارك المتتالية من أجل استعادة عرشهم المسلوب، ولكن كانت كل خسارة تعادل مكسبا مقابلا لا يمكن إنكاره..

هنا توقف تفكيرها للحظة، لم تكن كل الخسائر من أجل استعادة العرش، لقد كانت تضحية (خومبابا) من أجل قتل (شو)، وهو ما ورطهما فيه (مردوخ).. ووجدت نفسها تتساءل باستنكار بصوت مرتفع سمعه شقيقها وخصماها أيضا:

- هذا خطأ.

نظر نحوها (نينورتا) بدهشة وقد كف عن محاولة إطلاق صواعقه يائسا، فأضافت بسرعة:

- (مردوخ) يتلاعب بنا.. لقد أيقنت هذا الآن.. فكما أرسلنا لفتح بوابة (أطلانتس) عالمًا أنها بقعة تقع فوق سطح الماء -نقطة ضعفنا كأسیاد صواعق، لابد أنه قد نال غرضه من وجودنا الآن وصارت البوابة مفتوحة، فأرسلنا لحتفنا هنا.. انظر حولك.. ماء من جديد.. يمكنني التخمين أنه توجد بوابات أخرى لا تقع بالقرب من الماء، ولكنه يختار فقط البوابات المائية. إنه يريد قتلنا أو على الأقل استنزاف قوانا..

اتسعت ابتسامة (أتوم) التي تفوح بالإعجاب من فطنة (إينانا)،
بينما سأل (نينورتا) ببديهية:

- ولماذا يريد هذا؟ كان بإمكانه مساعدة أسياد الحديد وسيدة
العقارب في حربهم ضدنا منذ البداية. لماذا يتكبد كل هذا العناء
والتعقيد؟

- لديه جيوشه الشخصية الأثيرة التي لا يؤد خسارتها بكل تأكيد..
ثم هناك أمر آخر، نحن شوكة في حلقه، فسيد الحديد لن يتنازل عن
حقه في العرش بعد انتهاء هذه الحرب.. ولا أعتقد أن هناك من يؤد
أن تدب الفُرقة بين أفراد فريقه لدرجة الاقتتال، فالأفضل أن يرسل
فريقا منهما لحتفه، ولكن بعد أن ينال من هذا الفريق أقصى ما يمكن
نيله من استفادة في حربه..

- وسيد الحديد مريض التنين؟

- لا بد أن لديه ما يجعله يفضل بقاءه حيًا..

ثم أكملت بشروء:

- منذ ظهور (مردوخ) المفاجئ بمعركتنا الأخيرة، بدا لي ببديها أنه
ظهر في اللحظة التي كنا قاب قوسين أو أدنى من قتل سيد الحديد
هذا.. وكأنه ظهر لإنقاذه أكثر من أي غرض آخر..

تدخل (أتوم) ليقول بهدوء:

- ما الذي دفعكما لدخول هذه الحرب منذ البداية؟ خوفا
من (مردوخ)؟

قال (نينورتا) بخشونة:

- لا نخشى أحدا أبدا..

قال (أتوم) بأسف:

- أعتقد أنه عليك أن تخشاه.. إنه سيد طافر كما علمت من سيد المعرفة الكيمتي، وهذا يعني مستوى مختلف من القوة..

هز (نينورتا) كتفيه بلا مبالاة قائلا:

- هذا ما تقوله.

فخ الثعبان (أبيب) ملك الشواش ليتدخل في الحوار لأول مرة قائلا ل(نينورتا) بصوت عظيم يتردد صداه بالسماء كالأجراس:

- لديك ثقة عجيبة لا يمكن أن تصدر عن كائن ميت.

حدق (نينورتا) بوجهه الحيواني الكريه وهو يقول بعينين كانت من المفترض أن تشتعلا بالبرق في وضع آخر:

- لن أستسلم.. سأقاتل حتى آخر رmq..

قال (أتوم) بهدوء:

- عليك أن تكون أكثر حكمة يا سيد الصواعق.. لقد كئث -عن نفسي- في موقف مشابه من قبل، واضطرت لإعلان استسلامي غير المشروط.. الحكمة هو أن تعرف متى تكف عن القتال..

أراد (نينورتا) أن يعترض ولكن سبقتة (إينانا) بالقول مندفعة:

- أتفق معك يا سيد (أتوم).. خاصة وأنه لا منفعة لنا من الاستمرار

في تنفيذ اتفاقنا مع السيد (مردوخ)، فأنا على يقين أنه كان اتفاقا من طرف واحد منذ البداية.. إنه مخادع بقدر ما هو قوي.. الأفضل لنا أن نعود لعالمنا السماوي ونقاتل الطرف الصحيح لا الطرف الذي لا تجمعنا به أية أسباب للحرب.. لسنا غزاة أبدا بل نحن مطالبى حق مشروع..

فتح (نينورتا) فمه ولكنه سارع بمطّ شفّتيه والتزم الصمت مرغما، تاركًا (إينانا) -السياسية- تتولى دفّة النقاش.

اتسعت ابتسامة (أتوم)، وهو يقول لها:

- ولماذا العودة لعالمكم؟

- لدينا ثأر وعرش مسلوب.

- من سلبه منكم؟

- أسياد الحديد.

صمت (أتوم) ولم يعقب.. ألقى نظراته الخبيثة الصامتة نحو (إينانا) ثم نحو (نينورتا)، ولكنه كان الصمت الأشدّ بلاغة من أية كلمات.. أيقن سيّد الصواعق أن حربهما بعالمهما السماوي ستكون ضد سيد الحديد، والذي -بالتأكيد- لن يعدم طلب العون من (مردوخ).. هذا الحلف -سيد الحديد و(مردوخ)- موجود الآن ومتأهب للحرب.. والأكثر أهمية أن لديه أعداء أيضا متأهبين لقتاله، أعداء شديدي القوة إن اتخذنا سيد الريح كمثال، أو هذا السيد خالق الشمس وثعبانه الجبار.. ووجدت الفكرة تحب لذهنها في نفس اللحظة التي تفوّه بها (نينورتا) قائلا:

- لماذا لا تتلفظ بما تضرره سريرتك؟ تريدنا الانضمام لفريق (كيميت) السماوية ضد (بابل) السماوية..

لم يكن سؤالاً بقدر ما كان تقريراً، ولكن هز (أتوم) رأسه موافقاً قائلاً بابتسامة عريضة:

- سيكون هذا التصرف هو قمة الحكمة، وسنستفيد جميعاً من هذا التحالف الجديد القوي.. سأصارحكما بشيء، (شو) كان صديقي وحليفي منذ زمن، وهو ليس بالخصم الهين، لقد انتصرتما عليه بذكاء أكثر من القوة، وهو ما أثار إعجابي، فرغم حزني لخسارة سيد الريح كسيد جبار، فسيسعدني أن أستبدله بكما، زوج من الأسياد الجبارة.

قالت (إينانا):

- فهمت مبكراً رغبتك بعدم قتالنا منذ البدء.. فبوجود هذه المادة السحرية التي تعوق قوانا كان بمقدورك قتلنا في أول لحظة بدون كل هذا الحديث الاستعراضي..

- يطلق البشر على هذه المادة اسم المغناطيس، ولكن قام (تحت) بإضافة بعض التعويضات عليه.. لقد خططنا جيداً لكل شيء..

تنهد (نينورتا) وقال بتسليم:

- حسناً.. نحن معكم.. سنساعدكم ضد الغزاة من عالمنا..

- بدون شروط؟

- وماذا أفادتنا شروطنا مع (مردوخ)؟!

- لا تثق في أسياذ (كيميت)؟

- لا أثق إلا في نفسي وشقيقتي.

- لماذا إذا صدقت (مردوخ)؟

صمت (نينورتا) وقد اكفهرت ملامح وجهه، فأجابت (إينانا) بشفقة:

- لقد كان عرضه مغريا بشدة، ووددنا المقامرة وأحببناها.

سأل (أتوم) بفضول:

- وما العرض الذي جعلكما تقومان باختراق عالم آخر وفتح بوابة بين العوالم من أجله؟ ما الذي يستحق كل هذا؟

قالت (إينانا) بحنان غامر:

- قال إن بمقدوره إعادة جدنا (أنو) سيد أسياذ الصواعق لعالمنا!

اتسعت عينا (أتوم) بانفعال، وحتى الثعبان (أبيب) أبدى تحركات أفعوانية متوترة بذيله لما سمع اسم الراحل (أنو)، وسأل (أتوم) بسرعة:

- وهل لديه هذه المقدرة؟

- ليست لديه.. الكائن الوحيد القادر على فعل هذا هو سيدة عالمنا البابلي السفلي.. الأمر معقد ويحتاج لعدة شروط وظروف خاصة، لا بد أن يكون بعث كائن ميت له مبرراته القوية وإلا تم سلب سيدة الجحيم منصبها.. ولكنه أوضح لنا أن بينه وبينها ما يشبه العهد الذي بمقتضاه ستقوم بتنفيذ أي ما يطلبه (مردوخ) منها كمقابل لمعروف

فعله لها من قبل..

- وصدقتما هذا بمنتهى السذاجة؟! صدقتما أن سيدا غازيا مهووس بالقوة سيساهم في عودة أقوى سيد بابلي في التاريخ كله للحياة؟!

- أردنا أن نصدق!

أشار (أتوم) ل(أبيب) بالانصراف، فاستدار المعبان وانطلق يتلوى بين السحب ودروب السماوات حتى اختفى، ثم قال لهما (أتوم) بنبرة مرحبة:

- سننتقل الآن لبقعة أخرى حيث يتم نقاش خطوة الحرب القادمة.. لا أطلب منكما إلا الثقة بي وبالساحر (تحوت)، وبالمك (أوزيريس) بالطبع ومليكته (إيزيس)..

سألت (إينانا) بلهفة:

- هل سنقابل (إيزيس) قرينتي الكيمتية حقا؟

لم يجبها.. كان شاردا بقوة في شيء ما قالته له (إينانا) منذ قليل.. معلومة أضافتها -عَرَضًا- جعلته على يقين أن (مردوخ) كان سيغدر بهما إن عادا لعالمهما، ولكنه فضّل الاحتفاظ بأفكاره حتى حين حتى لا يشكت تفكيرهما.. ولكن كان لديه ما يجب أن يعرفه (أوزيريس) و(تحوت) عن حلف (مردوخ)، والذي سيقرب كل الموازين.. لقد صارت الحرب كونية بالفعل!

حماة كيميت

تَنْزِلُ (مردوخ) ببطء من قلب حلقة أرجوانية أفقية، تكوّنت بشكل مفاجئ فوق قمة الهرم الأكبر. إحدى بواباته للانتقال بين الأبعاد والعوالم. سَلَطَ نظراته العدائية الصريحة على (نوت) الواقفة فوق جثة (سين) الممزقة. تراجعت سيدة الفلك الكيميتية للخلف بحذر بينما شحذت (نيت) قوسا جديدا وجذبت الوتر بتحفز. شعرت (نوت) بقلق لا مبرر له مع ظهور (مردوخ). شيء ما في حزام الجماجم المتألق الذي يدور أسفل قدميه كان مألوفا بالنسبة إليها، ولكنها لم تستطع إيجاد الرابط. لم يضيع وقتا، سارع بالقول بصوت جهوري خشن:

- هذا الهرم لي أيتها الصغيرة!

فكرت (نوت) أن هذا الوافد الغامض يعلم بمكانة الهرم وقدرته السرية كمركز لكل بوابات العوالم من وإلى أرض البشر. ولم تكن خفية نيته البادية بقسمات وجهه ونظراته ونبرة صوته، هذا ليس مجرد أحد غزاة أسياذ (بابل)، إنه القائد والزعيم لهذا الغزو. جرأة منه القدوم مباشرة لهدفه بدون تحايل وخداع وخطط، رأت أن ما يفعله ينضح بالسذاجة أكثر من الجرأة، فالقائد لا يضع نفسه بالمقدمة وحده بأكثر بقاع المعركة اشتعالًا، ولا يغامر بمواجهة سيدة جبارة لا حدود لقدراتها مثلها، أو على الأقل لا يفعل هذا وحده.

ابتسمت ببرود، وقالت:

- إن أخذت الهرم الأكبر انتصرت بالحرب. أتظنني طفلة حقا لأتركه

لك بدون قتال؟! بمجرد استيلائك عليه ستستطيع وضع قدمك
-وأقدام كل من معك من غزاة وجيوش- بقلب أي عالم، (كيميت) أو
(أطلانتس)، بطريقة عين فقط.

قال باستهزاء:

- معرفتك محدودة بالعوالم الأخرى.. ألا تعرفين أن هناك كثيرا
من العوالم الأخرى باستثناء (كيميت) و(أطلانتس)؟ عوالم شهية
وخصبة وغاوية، عوالم تدعوني بكل جوارحها لأتسلم مقاليد حكمها
من أسيادها التافهين.

ثم أضاف وهو يرفع سبابتيه يميناً ويساراً مباعداً ما بين ذراعيه:

- ولكن هذا لا ينفي أنني سأدمر عالمك وعالم حلفائك كخطوة
أولية، قبل الانطلاق لاستعمار عوالم أكثر جموحاً، سماوية كانت أم
سفلية.

تألقت عينا (نوت)، وأضاءت نجوم السماء بشكل منذر وهي تقول:

- تتبجح كثيراً.. ماذا إن انتهى ذكرك الآن وهنا؟! ستكون روحك
مصدر سخرية لكل كائنات جحيمكم البابلي.. وسيكون لقبك هو
السيد الذي تحدث أكثر مما قاتل!

ابتسم قائلاً:

- أعتقد أن هذا سيكون حال روحك بعد أن أستأصلها من جسدك
الضئيل!

صاحت بغضب وهي تنتزع بقدراتها ضوء النجوم وترمي به نحو

(مردوخ):

- كفى ثرثرة فارغة!

نظر (مردوخ) شذرا باستهانة نحو خيوط الطاقة الزرقاء اللامعة التي انقضت عليه من السماء، نفس الخيوط التي اغتالت (سين) منذ لحظات. قال (مردوخ) لنفسه إن سيد القمر كان ماكرا أكثر منه قويا، لم يكن ندا لسيدة الفلك. كانت مقامرة منه دفعه ب(سين) لخط المواجهة بأكثر مناطق الحرب خطورة؛ استنادا لتقدير (مردوخ) المتدني -منذ البداية- لمستوى قوة سيد القمر بمالوث الطبيعة شمس قمر ماء، وقد خسر المقامرة بامتيان، ولكنه فكر أن اللوم لا يقع عليه في فشل اختياره، وإنما على (شمس)، الذي ضحى بوجوده من أجل شقيقه الأضعف، أو (إنكي)، الذي تهاون في معركته الأخيرة، أو ربما كان فقط سيء الحظ لمواجهته لسيدي الشمس والقمر في آن واحد.

ضم (مردوخ) قبضته اليمنى فانبعثت من أناملها الخيوط الأرجوانية، انسلت الخيوط لتواجه خيوط النجوم القاتلة وتمحوها كخيوط من بخار بمنتهى اليسر. ثم أكملت الخيوط مسيرتها نحو السماء لتتسارع بغتة لدرجة جعلتها تختفي، لتظهر فجأة بعيدا بقلب السماء بين النجوم سحيفة البعد، وخلال لحظات تم استبدال النجوم بانفجارات شمسية متتالية، واستحال الأفق لقوس أرجوني ساطع.

تمت (نيت) القواسة بلا وعي منها، واللون الأرجواني ينعكس على وجهها ووجه (نوت):

- لقد فجر النجوم السحيفة في أقل من لحظة.. هذا مخيف.

توقفت (نوت) لتفكر، بينما لم يعطها (مردوخ) شيئاً باستثناء
ابتسامة عريضة ساخرة. سألته وقد عدلت عن فكرة قتاله لوهلة:

- أنت سيد للفلك؟

لامست قبضتا (مردوخ) بعضهما البعض، وقال وهو يحدق بهما
وقد اتسعت عيناه بنشوة خالصة:

- قد يكون استيعاب ما سأقوله صعباً لأحد الأسياد العاديين،
ولكني أملك أفضلية القوة على المادة.

همست (نوت) وهي تتابع بعينيها الأفق الأرجواني:

- هذه المادة السحرية هي سر قوتك.

شد قامته وهو يقول بغلظة:

- أنا سر قوة نفسي!

عادت (نوت) لتستعد للقتال وهي تسأله:

- ماذا تريد إذًا؟ بديهي أنني لن أستسلم لك، والمنطقي أنني
سأحاول قتلك الآن.

- لم أتوقع منك استسلاماً، ولكني أنتظر تَبْصُرًا يجعلك تحافظين
على حياتك؛ لأنني أميل لكسب حروبي بأقل دماء ممكنة، وأحاول
قدر ما استطعت كسب الجنود المميزين في صفي، فحروبي الكونية
لا زالت في مهدها. استقطاب سيد أو اثنين من كل عالم أقوم بغزوه
ستكون فكرة جيدة، جيش يتجدد باستمرار الغزوات الكونية. ولا
أخفيك سرًا احتياجي لسيدة قوية مثلك بعد خسارتي لسيد القمر.

اعتبريه دّين وعليك تسديده بسبب حرمانى منه على يدك.

نذت عن (نوت) ضحكة منفعة، ثم كبحتها وهي تقول متعجبة:

- يا لثقتك بنفسك! أفصل الموت على أن أكون جنديّة تحت لواء
غازي كريبه مثلك!

- ستنالي الموت إن أردتّه، لا تتعجلي. ولكن إن أردت الحياة
فليس عليك قتالي، هذا مفهوم.

- ماذا أفعل إذا إن أردت الحياة ولكني أرفض الانضمام لجيشك؟
بل وسأستمتع بقتالك وقتلك؟ هل لديك حل لهذه المعضلة أيها
العبقري؟

مظ شفتيه بأسى، ثم مدّ أنامله نحوها قائلاً وقد استحالت ملامح
وجهه قناعاً خشبياً جامداً:

- هذا لتحسين أسلوبك في الحديث مع سيدك!

حاولت (نوت) التراجع تفادياً لسيل الخيوط الأرجوانية الذي
هاجمها، ولكنه كان أسرع مما توقعت. كان يتحرك بسرعة الضوء
تقريباً مُقلِّداً الزمن نفسه. ولكنها لم تكن الهدف. أحاطت الخيوط
بجسد (نيت) القواسة، ثم استحكمت على جسدها النحيل فكبَلته
تماماً. وقبل أن تحرّك (نوت) ساكناً، وبينما تحاول (نيت) التملص من
قبضة المادة الأرجوانية، ضمّ (مردوخ) قبضتيه لتتقلص الخيوط في
جزء من الثانية، ممزقةً جسد (نيت) -كشفرات شديدة الحدة- لقطع
صغيرة لم يتجاوز حجم أكبرها حجم قبضة اليد. ماتت قبل أن تدري
أو تشعر حتى بما يحدث!

اقشعر جسد (نوت)، كان هذا الاستعراض للقوة أكثر وحشية وبشاعة مما ينبغي. استحال جسدها كتلة من الأجرام السماوية التي تدور حول محور ثابت. ثم أضاءت شمس وأقمار بقلب هذا التكوين ليتضاعف عدد الأجرام التي تدور في عدة أفلاك متجاورة. تحول جسد (نوت) المادي لمجرة شمسية كاملة صغيرة تألفت من عناقيد من مجموعات شمسية، مجموعات شمسية تدور حول محورها مثل دوامة تحتوي كل ألوان الكون. عوالم مصغرة. وتألفت خيوط من ضياء زرقاء وحمراء وصفراء وخضراء انطلقت تسطع في كل مكان بجنون. فوضى صامتة من كل ألوان الدنيا.

ابتسم (مردوخ) بمرح وقد اكتست عيناه بهذا المزيج الكوني الفريد من ألوان الكون. مال برأسه جانبا مسبلا عينيه، وتنهّد -بينما المجرة الجسدية تنقض عليه- قائلا باستمتاع:

- كم هذا محبب للنظر! بديع! ولكن ينقصه لون واحد!

تحركت الأجرام والكواكب، تدفعها شمسها وأقمارها، وتتخللها أحزمة من الكويكبات الضالة، وتخرقها سيول النيازك والمذنبات والشهب المحترقة. وتحيط بها نجومها لتكسبها غلافا حاميا باللون الأزرق العميق. ضج المكان بضوضاء مزعجة امتزج فيها صوت احتكاك معدني بصوت شوشرة استاتيكية مع هدير نيران. تضخمت المجرة باستمرار وهي تنقض على (مردوخ)، الذي أيقن أنه يتلقى هجوم سيدة الفلك الأسمى، قدرتها الخارقة الطبيعية متجسدة.

ولكنه بدا هادئا وهو يشير لبقعة بجانبه لتتجسد على الفور كرة صغيرة بحجم رأسه وباللون القرمزي المميز. أدار أصابعه لتدور

الكرة حول نفسها بسرعة جنونية بدءًا من الصفر في جزء من أجزاء من الثانية. ازداد القرمزي قتامة وبدأت سرعة دوران الكرة تخلق شرارات حولها جزاء الاحتكاك بالهواء، وكأنها جرم مادي.

تغيّر اتجاه هجوم (نوت). مالت المجرة المتجسدة بقوة جذب الكرة القرمزية ذات سرعة الدوران الخارقة التي جعلتها تبدو مشوشة للرؤية. تحوّل اتجاه الهجوم بشكل كامل لتنقض المجرة على الكرة التي استحالت لكرة من اللهب لفرط سرعة دورانها. ثم تقلّص حجمها فجأة لتصبح لا شيء، بالتزامن مع انفجار صامت أضاء المكان كألف نجم. ضياء نجوم تحتضر. وكان عنف الانفجار ساحقًا لدرجة مزقت شمل المجرة المهاجمة من أجرام، وجعلتها تتناثر في كل مكان مثل نافورة من شظايا الكواكب والكويكبات، وحتى الضوء ألقى بأشلائه مُحوّلًا المكان لانفجارات متتابعة خلاصة من النور بأقصى درجات ضيائه.

كان (مردوخ) محتتميا بدرعه القرمزي الذي خلقه ليقيه شرّ هذا الانفجار الكوني، وتابع باهتمام جزيئات الانفجار العظيم لبقايا (نوت) وهي تتجمع من جديد ببطء، تتقارب من بعضها البعض وتنضغط حتما في نفس الوقت. وراقب (مردوخ) الجسد الذي استعاد هيئته الخارجية كجسد (نوت)، ولكن بجزيئات وذرات قوامها الأجرام السماوية. ثم انبعثت الخيوط الزرقاء اللامعة من عشرات ومئات البقاع بالسماء لتتركز على هذا الجسد وكأنها ترممه وتعيد تكوينه وتركيبه، وخلال لحظات عادت (نوت) -الفتاة القصيرة الممتلئة- تقف أمام (مردوخ) بدون شائبة أو جرح أو حتى خدش. وكانت تلهث بمنتهى الانفعال وهي تقول بمجرد تجسد

لسانها وأحبّالها الصوتية وقبل كامل استعادة تجسدها:

- هذا استثنائي. تملك القدرة على خلق مادة مضادة، بل وتركيزها بسرعة خرافية -لم يمكنني إدراكها- لتجعلها مصيدة جاذبية فريدة عاتية لا فكاك منها. لقد قمت -حرفيا- باصطياد انقضاظتي التي لا يوجد لها مثيل، القَد الكوني، وتمزيقها بمنتهى البساطة.

قال (مردوخ) بنفاد صبر:

- كان اندفاعا غير مدروسا مني بسبب غضبي، كدت أفقدك بالفعل لولا قدرتك الخارقة على التجدد. لن أعيد طلبتي مجددا، هل أنتَ معي؟

قالت بدون ذرة تردد:

- معك ضد عشيرتي؟ مستحيل! قد أتناقل مع بني عالمي فيما بيننا، بل وقد نقتل بعضنا البعض.. ولكن ثق بي، ستنصالح ونوحد قوانا من أجل عالما ضد أي تهديد خارجي. سننازر -فقط- من أجل كسر غرور غازي متغطرس مملك من عالم آخرا!

قال (مردوخ) مستفزا إياها:

- وما أنتِ إلا غازية.. فرد من حلف من الغزاة الكيمتيين -متمردى التاسوع- أرادوا ما أريده أنا بالضبط من قبل.. لا تتعجبي فلدي من المعرفة الكثير، لا أقوم بغزو عالم قبل دراسة تاريخه بمنتهى الدقة. أحفظ تاريخكم لدرجة معرفتي أن تجاوزكم للحدود وصل لدرجة لتفجير حرب أهلية مات فيها الكميرون من الأسياد، فقط من أجل الهدف الأسمى وهو غزو الكون. لستِ القديسة يا سيدة الفلك،

أنا -بعالمي-لست سوى قرين للسيد (أتوم). قرينه في الطموح والتطلعات للغزو والاستعمار. وأنتِ مثلك مثل (سين)، مجرد جنديّة في جيش طموح.

تألّق الهرم الأكبر بلون ذهبي شديد السطوع. تراجعت (نوت) وهي تدرك أن البوابة على وشك لفظ زوار جدد لعالم البشر من عالم آخر. برز ثلاثة أسياد متجهمي الأوجه: اثنان منهما لا تعرفهما، شاب وفتاة بجداول شعر من برق متأجج، بينما بالمقدمة (أتوم)، يقول بسخرية: - لقد سمعتك تتلفظ باسمي أيها السيد الطافر محب العرثرة الفارغة، الماكر الذي لا كلمة له ولا عهد.

ثم أضاف وابتسامته تتسع:

سأجيبك بدلا من سيدة الفلك.. لقد انتهى عهدنا السابق كغزاة وصرنا حماة لعالمنا.. لدينا عهد مع ملكنا.. عهد لا أنوي الحنث به! ستواجه حماة (كيميت) الآن لا متمردي التاسوع!

الأسيرة

توقفت عينا (مردوخ) عند (نينورتا) و(إينانا) وهلة، قبل أن تنفرج
ابتسامة بزاوية فمه وهو يقول:

- أرى أن عرضي لكما قد تم رفضه.

قال (نينورتا) بصرامة:

- تبدو صادقا بشدة عندما تكذب.. هذه هي أقوى مهاراتك!

استنكر بطريقة درامية قائلا:

- ألا تريدان العجوز (أنو) مبعوثا حيا من جديد؟

ردت (إينانا) هذه المرة:

- العظيم (أنو) ما زال موجودا فينا.. في آخر أسياذ الصواعق.. نعلم
علم اليقين أنه لن يتم بعثه، بنفس درجة يقيننا أنك دفعتنا بقلب
هذه الحرب من أجل التخلص منا لا أكثر، بعد قيامنا بفتح بوابة
(أطلانتس) بدون خسائر من طرفك.

استكمل (أتوم):

- لا توجد أمامك فرصة الآن أيها الغازي.. بانقلاب أسياذ الصواعق
انتهى الأمر.. غد لعالمك ولن يمسك أحد بِشَرٍّ، لك كلمتي والتي
تختلف حد النقيض عن صدق كلمتك!

قال (مردوخ) بسخرية:

- وأين سيتجه أسياذ الصواعق بعد استسلامي؟ لا تسير مملكة

بأكثر من سيد يطالب بشرعية حكمه، ولدى المملكة بالفعل أسيا
شرعيون.. أسيا الحديد. وهذا يقودنا لمعركة جديدة ودماء وأرواح
مسلوبة. الحرب هي الاختيار في كلا الحالتين ولكن بفرق بسيط، من
الخصم؟

ثم تأقت دائرة أرجوانية خلفه، بالتزامن مع قوله مشيرا بسبابته:
- وهنا، يبدو أن الخصم في النهاية سيكون هو من جاء الأمر
لأسيا الصواعق بقتاله منذ البداية: متمردي التاسوع الكيمتي! وكل
ما يحدث الآن ليس إلا مماطلة من القدر.

شهقت (إينانا)، وتصلبت ملامح وجه (نينورتا) مع ظهور التنين
(موشوسو) من قلب دائرة (مردوخ) السحرية، كان يزار بعنف وينفت
النيران بعشوائية باتجاه السماء. تحفزت (نوت) وهي تتأمل هذا
الوافد الجديد الوحشي، بينما ركز (أتوم) نظراته على السيد المدمج
بالدروع الحديدية الممتطي لمتن التنين، سيد الحديد الأخير
(نينازو).

ولكن ما قبض صدر (إينانا) ودفع الدماء الساخطة لوجه (نينورتا)
كان جسد الوصيفة (نينشوبور)، والذي كان يمسكه (نينازو) بقبضته
اليمنى بعنف من العنق، تاركا جذعها وساقها يتأرجحان بسرعة في
الفضاء، بالتزامن مع صيحاتها المتألمة. والتي تحولت لصيحة واحدة
قوية فور رؤيتها ل(إينانا):

- سيدتي! لا تستسلمي!

شعرت (إينانا) بخيانتها لوصيفتها. لقد تتابعت الأحداث بسرعة،

ومع تغيّر الجانب الذي تنضمّ إليه كان لابد من وضع وصيفتها في الاعتبار. لقد نست أمرها تمامًا، أو ربما كان (مردوخ) هو الكائن الذي لا ينسى شيئًا أبدًا، ويجيد التعامل بكل أوراقه بحنكة لا تخلو من قسوة.

صاح (نينورتا) بقسوة تجمد الدم بالعروق:

- لقد تم سفك الكثير من الدماء البريئة بهذه الحروب. اترك هذه الفتاة وإلا سيكون انتقامي منك شخصيًا.

رفع (مردوخ) أحد حاجبيه قائلاً باستهانة:

- وكأنه تهديد مخيف!

ثم أكمل بلهجة آمرة:

- الآن، آمركما - آخر أسياذ الصواعق - بقتال وقتل أسياذ (كيميت). تم التجاوز عن خيانتكما مقابل الحفاظ على روح هذه الوصيعة عديمة القيمة رحمةً مني. ولكن إن قوبل أمري بالرفض سأرد على تمردكما بتعليق رأسها فوق قمة الهرم الأكبر! هذه الفتاة السخيفة التي كانت جزءًا من الخدعة التي تمكنتم خلالها -من قبل- من اغتيال ساحري الأعظم في كل العوالم؛ (النمرود).

اشتعلت عينا (نينورتا) ببرق الانتقام متذكّراً محبوبته الراحلة (نانشي) مفسرة الأحلام، التي ذبحها (مردوخ) قبل تحولها لهالة إلهية، وهو يقول ببرود الجليد:

- وأخذت حينها روح فتاة بشرية بريئة بالمقابل.

تراجعت (نوت) للخلف نحو (أتوم) وهي تشعر ببدء المعركة الضارية، وقد بدأت تفهم بشكل كبير ما يحدث الآن بين الغازي وجيوشه والحماة وحلفائهما أسياد الصواعق. وجدت نفسها تفكر في (نيت) القواسة، وتضعها محل هذه الوصيفة الرهينة. لم تجد في أسر (نيت) ما يدفعها لخيانة عالمها، ولكن يبدو أن هذه الأسيرة تساوي الكثير لأسياد الصواعق، والذين هم بدورهم لا يبدو أكثر من متمردين متعددي الولاء.

توتر (أتوم)، فمقة (مردوخ) تنم عن أهمية هذه الأسيرة، بالإضافة لانفعال سيدي الصواعق البادي. وهياً نفسه لبدء المعركة بغض النظر عن الخصم. بينما تبادل (نينورتا) و(إينانا) نظرات تفوح بالكثير والكثير من المعاني. فالوصيفة ساعدتهما عدة مرات وأنقذت حياتهما بواسطة وحشها الراحل، الوحش الذي ضحت بولوج غابات (الوركاء) وحدها من أجل ترويضه، وحش يخشاه الأسياد ذاتهم. عليهما دَين ناحيتها لا يمكن تسديده حتى ولو بالتضحية بحياتهما، ناهيك عن علاقة (إينانا) الشخصية مع وصيفتها والتي يمكن وصفها بأخوة في الروح لا الدم. الموقف معقد والاختيار لا يمكن حسمه في لحظة. يريد كلاهما إنقاذ (نينشوبور) بوسيلة مراوغة تتيح لهم عدم الانقلاب على (أتوم) وحزبه، فقد كان حكيماً أيضاً وأظهر لهم حقيقة كذب (مردوخ)، في حين كان بمقدوره قتلها بسهولة عند جبل المغناطيس.

سأل (نينورتا) نفسه بضيق: (ماذا كنت لتفعل يا أبي - (إنليل) الحكيم- إن كنت مكاني؟) بينما أسرت (إينانا) لنفسها: (جدي العظيم (أنو)، أفض علي من حكمتك بما يكفي لأجيد الاختيار)

وللمرة الأولى يشعر سيدا الصواعق أنهما صغار في حاجة لشخص كبير يسدي لهما النصيحة.

أطلق (مردوخ) ضحكة ساخرة وهو يرى ترددتهما، وقال بعينين استحالتا كرتان من الظلام:

- سأجنبكما مرارة الاختيار، ولكن لتتعايشا مع حقيقة أن التردد كان سيدكما عندما تعلق الأمر بإنقاذ شقيقة لكما، أو لتحاولا التعايش إن استطعتم حتى لو كان النصر حليفكما!

ثم أشار نحو الدائرة القرمزية التي انبعث منها التنين وراكبه، فتضاعف حجمها عدة مرات قبل أن يخترقها الوحش هائل الضخامة، سيد غابات (الوركاء)، (خومبابا) أليف (نينشوبور). تعلق نظر الوصيفة به بالأمل في البداية، ولكنها فشلت في التخاطر معه. وجدت محاولة التحدث معه عقليا ثقابل بسد منيع صامت. هذا ليس وحشها الأثير الأليف الذي كان ليدمر العالم من أجلها. وبينما تسيل دموعها الصامتة اليائسة، كان (مردوخ) يقول:

- هذه هي هدية سيدة الجحيم البابلي لي، في النهاية لم يكن كل ما تفوهت به كذبا. من أجل تعويذة سيد القمر المحرمة كان لابد لها من التدخل فيما يصب في مصلحة الفتك بحلفاء (سين) كعقاب لفعلته، فهو لم يعد حيا للأسف ليتم عقابه شخصيا.

تمت (نوت) بذهول:

- هذا كان الغرض من الدفع سيد القمر بأكثر بقاع المعركة قوة. دفعه للقيام بالتعويذة المحرمة وسط يأسه.

- كنت أعول كثيرا على قدرتك على دفعه لأقصى الحدود. أحترم قوتك الباطشة.

ثم قال بتلذذ باد، وعيناه تراقبان خفقان جناحي الوحش المهيّب الذي فاق حجمه حجم التنين نفسه:

- ناهيك عن لذة أن تموت الفتاة على يد حاميتها الأثير، وأمام عيني أسياذ الصواعق مشلولي الأجساد.. كم هذا شاعري!

قال (أتوم) بهدوء مثير:

- هذا تحايل جديد من قبلك. ألا تستطيع الحرب بشرف أيها الغازي؟

- المهم في أي الحرب أن تنتهي بالانتصار، كل ما عدا ذلك مجرد تفاهات يجيد المهزومون التفوه بها لتبرير ذل هزيمتهم.

انقض (خومبابا) على الوصيصة فاتحا فكيه عن آخرهما، قذفها (نينازو) بعيدا كدمية خرقاء ليستهدفها (خومبابا)، وهو يقول ببرود:

- لا أحب التعرض لنيران كائن غير (موشوسو) عن قُرب!

حاولت الوصيصة مرات التواضل معه، ولكن كان الأعمى يستطيع أن يرى أن الروح المتعطشة للانتقام -التي روضتها من قبل- اجثُثت من هذا الجسد، الجسد الذي لم يعد يحتوي إلا الروح الحيوانية الأولى. تستطيع ملكة الجحيم (إرشكجال) التعامل مع الأرواح بحسب ما يتراءى لها، ويبدو أن الروح -التي كانت قريبة للوصيصة من قبل- لم تعد بين جنبات الوحش، إنها متواجدة الآن بين جدران جحيم (بابل) السفلي، بينما صار (خومبابا) وحشًا فقط لا غير. كما

كان إبان حرب الأسياذ الدموية الأولى.

قال (مردوخ) بجذل:

- أريدها أشلاء من رماد!

شارفت (نينشوبور) على فقدان الوعي، وهي لا تكف عن الهمس:

- لا تقتلني أرجوك.. ليس أنت! ليس أنت.. ليس أنت.. ليس أنت.....

اشتعل الموقف مع انقضاء (نينورتا) و(إينانا) المباغت على (خومبابا) من أجل إنقاذ (نينشوبور). بينما قالت (نوت) ل(أتوم):

- هذه ليست معركتنا.

قال (أتوم) بحسم وهو يخلق شمساً حمراء قانية بين يديه:

- أصبحت معركتنا، فأسياذ الصواعق حلفاؤنا الآن.

تحركت (إينانا) أسرع من أي سيد آخر، تدفعها الرغبة في إنقاذ وصيفتها وأختها الروحية. خلقت سوطاً من البرق وهي تطير بكل سرعتها نحو الوحش (خومبابا)، وقبل حتى اكتمال تجسد السوط بين أصابعها كانت تنهال به على الوحش ليلتف حول عنقه ويكبله بقوة. جذبت مقبض السوط للخلف رغبةً منها في دفع الوحش للخلف ومنعه من حرق (نينشوبور). أشار (مردوخ) بسبابته لينطلق خيط قرمزي بئار فيقسم سوط البرق من منتصفه. خلق (نينورتا) بروقاً من السماء بلا سحب، انهالت كلها على رأس (خومبابا)، فخلق (مردوخ) -المتيقظ- حاجزاً قرمزيّاً من دائرة أفقية -ثمائل الدائرة التي يضع قدميه عليها- فوق الوحش مباشرةً، وقاه شر سيل

الصواعق كمظلة خارقة.

صاحت (نينشوبور) برعب يائس مع مرآها لأتون اللهب يتوهج ما بين الفكين المتباعدين عن آخرهما. أغمضت عينيها وانقبض صدرها في نفس اللحظة التي قذف فيها (أتوم) شمسه الحمراء نحو (خومبابا)، نحو رأسه بالتحديد قاصدا تدميرها، تحرك (مردوخ) -الذي كان يتابع كل محاولات اغتيال وحشه المبعوث حيا بمنتهى التركيز- ليلقي بكرة قرمزية متوهجة في مسار هجوم شمس (أتوم) الحمراء، تلاقت الكرتان ليدوي انفجار هائل. أيقنت (نينشوبور) أنها كانت المحاولة الأخيرة لإنقاذها، وقد باءت بالفشل، فأغمضت عينيها بتقبل تام لمصيرها، مكررة والدموع تنهمر حتى ذقنها: (ليس أنت.. ليس أنت.. ليس أنت..)، مع اندلاع اللهب من حلق الوحش بالفعل، وصرخة (إينانا) بيأس غامر.

غمغمت (نوت):

- ليس كل شيء يفلح باستخدام القوة ضد سيد ماكرا!

بوغت الجميع بلهب (خومبابا) يصيب لا شيء، فراغ حل محل وجود الوصيفة السابق. زمجر (خومبابا) بغضب حيواني وهو يبحث عنها، انبثق ثقب أبيض خلف (إينانا) مباشرة، أطلت منه (نينشوبور) معافاة لم ينال جسدها خدش، ولكنها كانت تسقط من ارتفاع إثر فقدانها وعيها من الرعب. فسارعت (إينانا) بالتحليق لتلتقطها بين ذراعيها، واقترب منها (نينورتا) ليسأل وهو ينظر لجسد الوصيفة المستكين بين ذراعي شقيقته:

- أهي بخير؟

أجابت (إينانا) ودموع تترقرق بعينيها:

- هي بخير.. لقد رأيت الثقب الأسود خلفها قبل أن تختفي.. لقد التقطتها سيدة الفلك بعد فشلنا كلنا..

ثم التفتت نحو (نوت) مبتسمة شاكرة بصمت، فأعطتها (نوت) هزة رأس سريعة متفهمة، قبل أن تلتفت نحو (مردوخ) بوجه عابس. ضربت الفكرة العابئة عقل (أتوم) في هذه اللحظة: (لقد أنقذت سيدة الفلك وصيفة سيدة الصواعق التي قتلت لتوها سيد الريح، والد سيدة الفلك! لو تعلم لاكتفت بالمشاهدة.. يا لها من فوضى!)

استشاط (مردوخ) غضبا، صاح بسخط:

- كان يجب قتلك بدلا من محاولة استقطابك!

استدار الوحش (خومبابا) وقد اعتبر كلمات (مردوخ) السابقة أمرا مباشرا بقتال سيدة الفلك. بينما لكز (نينازو) بطن تنينه وهو يأمره بالانقضاء مباشرة على أسياذ الصواعق.

في حين انقض (أتوم) بدون تردد على (مردوخ). السيد الطافر واشتعلت شرارة معركة الهرم الأكبر، المعركة الفاصلة.

معركة الهرم الأكبر

اللمسة السوداء

استحال جسد (أتوم) لكيان من نيران مستعرة تراقص فيها الأصفر والأحمر. تضاعف حجمه، نبت له زوج من الأجنحة النارية المنتصبة. ثم انقض على (مردوخ) كإعصار من نار، صائحا بصوت غليظ تردد صده بين السماء والأرض:

- إنها لظى!

تراجع (مردوخ) غريزيا، ودائرتة القرمزية التي يقف عليها تترك قدميه لتعتدل منتصبة رأسيا أمام جسده كستار حامي. ارتطم هجوم (أتوم) الأسمى، لظى، بدائرة (مردوخ) الحامية. كان انفجارا رهيبا مزق الدائرة لتتطاير الخيوط القرمزية في فوضى عارمة، بينما تابع جسد (أتوم) انقضاضته المهلكة نحو جسد (مردوخ). أعادت الخيوط القرمزية تشكيلها بسرعة خرافية لتصبح أغلالاً، امتدت لتحيط بالجسد الناري وتحاول كبح جماح هجومه الساحق للأمام.

نجحت الأغلال في منع تقدم جسد (أتوم) بالفعل، فاعتدل (مردوخ) وهو يقول بسخرية:

- لقد خاطرت بهجومك الأقوى قبل بدء القتال. وفشلت. الآن
س.....

لم يكن (أتوم) يسمعه، امتدت ذراع نارية من جسده، تجسّد بين أصابعها صولجان من لهب أزرق متأجج. تألق الصولجان فانبعث منه خناجر نارية استهدفت الأغلال القرمزية ومزقتها. وخلال لحظة عاود (أتوم) انقضاضته النارية ليصطدم بجسد (مردوخ).

كانت المفاجأة مذهلة للسيد الطافر. زلزلته اللظى قاذفةً بجسده للخلف ليسقط أرضاً بمنتهى العنف، وذرات الرمال تتطاير من حول جسده جزاء عنف الارتطام. متألماً من إصابته الخطيرة حاول الوقوف مجدداً، والدماء الصفراء تنزّ من جروح متفرقة غزت جسده. فسارع (أتوم) بتكرار الهجوم مرة أخرى، موقناً أن هجمة مثل هذه لم تكن تحتاج للتكرار ضد أي سيد آخر؛ كان ليكون جثة متفحمة. وأيقن (مردوخ) -الذي لم يكن بكامل وعيه من تأثير الهجوم الكاسح- أن جسده لن يتحمل هذا الهجوم مرة أخرى.

انقض إعصار (أتوم) الناري مرة أخرى أرادها المرة الأخيرة. أغمض (مردوخ) عينيه لتتجسد أمامه دائرة انتقال ما بين العوالم، ويبرز منها أحد كهنة النار وقد استل سيفاً ضخماً يفوق طول نصله ارتفاع رأسه التي انسدلت قلنسوة حمراء عليها مخفية ملامح وجهه. هوى بالنصل حالك السواد على جسد (أتوم) الناري المندفع، فقصم النصل الإعصار الناري وأحاله لنصفين طار كل منهما في اتجاه مضاد للآخر.

ومع وفود كهنة النار تباعاً من خلال دائرة السحر، وتحلّقهم حول جسد سيدهم (مردوخ)، كان كل من نصفي إعصار (أتوم) يقترب من الآخر ليعاودا الالتحام، ثم استعاد تجسده الأصلي بوجه متجههم، محدقاً في كهنة النار بسخط، فقد كان قاب قوسين أو أدنى من الفتك بالسيد الطافر وإنهاء الحرب لولا تدخلهم. بينما بدأ (مردوخ) يستعيد وعيه، وهو يتمتم بغیظ مسترجعاً مشهد تمزّق أغلاله القرمزية:

- لقد مزق المادة المضادة، هذا لا ينبغي أن يكون قابلاً للحدوث!

اقترب أحد الكهنة منه، ترقرق جسده وصار بُخارًا تطاير ليتجه نحو رأس (مردوخ)، ليختفي تماما بمجرد ملامسة جبهته وكأنه اخترقها، وشعر (مردوخ) بوحي الكاهن يمتزج بعقله، كاهن المعرفة، ثم سمعه يقول له تخاطريا:

- نيرانه ليست مجرد عنصر طبيعة فقط، إنه يمزجها بدموع العنقاء، سحر قديم يجعلها غير قابلة للتدمير، وقابلة لتدمير أي شيء تقريبا.

ثم أضاف والكهنة يتحولون لدخان تباغًا؛ تمهيدا لامتزاجهم بجسد سيدهم الطافر، وإعطائه مميزات ضد خصمه السيد الكيمتي الجبار:

- إنه ليس مجرد سيد للنار، إنه السيد لأول. لذا فليده مزيج من معرفة تتجاوز قوة عناصر الطبيعة وسحر الأقدمين. ولكن لا تقلق، نحن كهنة النار وأفضل من يمكنه مواجهة سيد مثله.

ألقى (أتوم) كرة من نيران زرقاء نحو (مردوخ)، قاصدا قتله قبل امتزاج سحر كهنة النار بجسده. أراد (مردوخ) صدها بكرة مادة مضادة، كرة قرمزية كالتي صد بها كرة نار من (أتوم) منذ قليل. فمنعه كاهن المعرفة قائلا:

- هذه ليست نار طبيعية. إنها نار الأقدمين الشعواء. لا سيطرة للمادة المضادة القرمزية عليها.

ثم أضاف بلهجة حماسية لا تتناسب مع الموقف:

- لم أعتقد أنك ستحتاج لتدخلنا، ولكن بوجود السيد الأول لا فرصة لأي مخلوق بالانتصار بدون دمج عدة عناصر طبيعة وسحر.

سنمرح كثيرا هنا حقا.

اختفى كاهن نار آخر، واستحال جسده لدرع أسود مماثل لسيف كاهن النار السابق الذي شطر جسد (أتوم) منذ قليل. أمسك (مردوخ) بالدرع الأسود ووضعه أمام جسده، فتكسرت عليه النيران الشعواء كموجة عنيفة يصدها حائل صخري جبار، فتناثرت أشلاؤها الزرقاء على الدرع، والكاهن يقول:

- هذه المادة السوداء هي خير دفاع لأي هجوم. إنها مادة مضادة أيضا ولكنها محصنة بتعاويذ سحرية مظلمة قديمة قَدَم السيد الأول هذا نفسه. اعتمد عليها.

عقد (أتوم) حاجبيه وهو يرى الكهنة يفقدون تجسدهم بالتدريج، ليتحول كل منهم لسلاح فقال ل(مردوخ).

أمسك (مردوخ) بالسيف أسود النصل بيميناه، ورفع الدرع الأسود بيسراه. تجسدت عن يمينه دوامة من نيران سوداء كانت كاهن نار من قبل، وعن يساره كرة ظلامية تدور حول نفسها بسرعة مخلقة دخان كثيف كانت كاهنا آخر. واستحال كاهن سادس لدروع جسدية شديدة السواد غطت جسد (مردوخ) بالكامل، وسابع أصبح خوذة سوداء أخفت الوجه ولم يتبق ظاهرا من وجه السيد الطافر إلا عيناه. في حين صار الكاهن الثامن -والأخير- دائرة سوداء استقرت أسفل قدمي (مردوخ) بدلا من الدائرة القرمزية السابقة.

قال (أتوم) بسخرية هذه المرة:

- ولو استعنت بعشرين ساحر، لن تنجح في الانتصار على السيد

الأول!

ثم قال بقوة مشيرا نحوه:

- لتذق نار القدماء!

تشققت قشرة الأرض تحت (مردوخ) في مواضع متفرقة، ثم انفجرت بأصوات اختلطت فيها القرقة بالأجيج، إذ انهمرت الحمم اللاهبة من الأعماق بقوة واندفاع لا يتناسبان مع أحجامها الضخمة. لم تبدو تشعر بالجاذبية - قطع الحمم الزرقاء والبرتقالية النابضة بالنيران- وهي تندفع نحو (مردوخ)، وكأنَّ بركان خامد انتفض لتؤه من قلب الأرض، ليلقي بكل مكنونات السنين في وجه السيد البابلي الطافر.

تحركت الدائرة الحامية السوداء لتقف سدًا في وجه سيل الحمم وتصدها بسهولة، ثم تألقت نجمة خماسية بقلب هذه الدائرة لينبعث منها دخان أسود كاللهب، انسلَّ بسرعة مستهدفًا فجوات الأرض التي تنبعث منها الحمم، ثم رتقها كلها بمنتهى السرعة ليمنعها من الانبعاث بعالمنا.

لم يبدو (أتوم) متفاجئًا، بل لم ينتظر انتهاء صد هجومه السابق، بدأ هجومًا جديدًا. رفع صولجانه صائحًا:

- دراكونيان!

تجسد التنين الناري العملاق في وجه (مردوخ) مباشرة، وبدأ ينفث النيران، في نفس اللحظة التي أدار صولجانه مضيئًا:

- رقصة النار المقدسة!

تلاعبت التعويذة بلهب التنين فجعلته يميل يميناً ويساراً باستمرار، كان (مردوخ) قد سارع برفع درعه الأسود ليتلقى عليه نيران التنين، فلما راوغه اللهب وحاول تجاوز الدرع، كان يحرك السيف بيده الأخرى ليشق بنصله اللهب المتراقص ويبدده. كان مفتوناً بقدرات كهنة النار التي جعلته لا يُقهر أمام السيد الأول، ووجد نفسه يصيح بجذل:

- لماذا نفس الهجوم مجدداً إن كنت تعلم يقيناً أن لدي ما يصد أية نيران؟

فوجئ (مردوخ) بسيفه الأسود يتحرك مغادراً أصابعه، بعد أن التف ذيل عضلي سميك أزرق حول المقبض وجذبه للأعلى. ونظر بغضب للتعبان (أبيب) القادم من غياهب السماء، وهو يفخّ فينفث النيران باتجاه وجه (مردوخ). ضربت النيران وجهه فصدتها الخوذة، ولكنه شعر بالحرارة تلفح وجهه بالداخل، وعلم أن ما يشعر به ينسل على وجنتيه هو دماء صفراء؛ من فرط الحرارة التي سببتها نيران التعبان ملك الشواش والتي أحرقت جزءاً من وجهه.

لقد كان هجوم السيد الكيمتي الأول مجرد تشتيت، من أجل أن يظفر التعبان المتربص بسيفه.

كان (أتوم) يحرك صولجانه إيذاناً بهجوم جديد.. فكّر (مردوخ) أن هذا جنوني.. اكتفاؤه بصد ضربات (أتوم) الجبارة سينتهي به جثة محترقة حتى بمساعدة كهنة النار.. وظهور التعبان الأزرق يعني أن (أتوم) - عن طريق التعبان - صارت لديه القدرة على النيل من جسده بسهولة، كما نجح بسلبه سيفه منذ قليل.. لم يفكر وهو يسارع

بالمبادرة ويحلق عاليا نحو السيف الذي قبض عليه ذيل (أبيب)، ويمد أنامله نحو السيف.. حرك (أبيب) ذيله بسرعة ليبعد السيف، حينها أيقن الثعبان أن هدف (مردوخ) لم يكن السيف، بل حامله.

قبض (مردوخ) على طرف الذيل بيسراه، ثم جذب به بكل ما يملك من قوة. هسهس الثعبان (أبيب) وهو يميل مضطرا للأسفل نحو (مردوخ)، فقابله السيد الطافر بضربة قوية جعل فيها كل قوته، ضربة بالدرع الأسود على رأس الثعبان. كان الاصطدام مريعًا، وتعالى صوت تكسر عظام جمجمة الثعبان. خارت قوى الثعبان وهو يطلق خوارًا رفيعا كالصفير، فعاجله (مردوخ) بدفقة من خيوط خليط من ألوان قرمزية وسوداء، حادة كالشفرات من بين أصابع يديه، نحر بها عنقه وفصلها عن جسده. فسقطت الرأس وهي تدور حول نفسها يمينا ويسارا، ولهب من نيران كان لا ينفك ينطلق من بين الفكين. آخر لهب أطلقه الثعبان قبل مقتله.

كان مقتل الثعبان سريعا لدرجة أنه استغرق الوقت بين نية (أتوم) لبدء هجوم جديد وبين بدء الهجوم. فمع سقوط الرأس متدحرجا على الرمال، واصطدام الجسد الأزرق القوي بعده بالأرض مسببا زلزالا محدودا، كان (أتوم) يتحول للكيان الناري المجنح للمرة الثالثة، وهجمت اللظى مرة أخرى على (مردوخ). الهجمة الأسمى.

كان (مردوخ) -بعد اغتياله السريع للثعبان (أبيب)- يريخ تحت وطأة الלהب المتراقص للتنين الناري. فقد خسر سيفه، ولم يكف درعه للتصدي للرقصة المراوغة للهب. وفكر (مردوخ) لوهلة أن (أتوم) لديه خاصية فريدة حقا؛ إنه يجيد استعمال عدة تعويذات

في آن واحد، بعكس أغلب أسياد عناصر الطبيعة الآخرين. إنه متفرد
حقاً، ولكن لن يعجزه التخلص منه. فإن تخلص منه انتهت الحرب.
في الواقع كان كلا الخصمين يفكر بنفس المنطق، فالمنتصر منهما
سيكون هو المنتصر في الحرب، ومن سينتهي به الحال قتيلاً
سينتهي الأمر باستسلام جيشه على الفور، بمجرد بدء احتضاره.

سيدة الفلك

انقض الوحش (خومبابا) مباشرةً على سيدة الفلك (نوت)، فاتحا فكيه عن آخرهما، نافعا لهبه العاتي نحو جسدها. كانت انقضاضته سريعة جدا مقارنةً بضخامته؛ إذ كان الفارق في الحجم الجسدي بينهما رهيبا، كانت رأس الوحش أضخم من حجم جسد (نوت) الضعف على الأقل. خلقت ثقباً أسوداً أمامها بسرعة كالبرق تمهيدا لابتلاعه، واستعدت لخلق ثقب أبيض خلفها مباشرةً، حيث ستباغته -بمجرد ظهور جسده خارجاً منها- بانقضاضتها الأسمى؛ المذ الكوني، وتنتهي النزال بأسرع ما يمكن.

عَبَرَ الوحش الثقب الأسود وكأنه صورة شفافة لا تأثير لها. فوجئت (نوت) باللهب يهجم عليها. احترق جسدها بالكامل في لحظة، وشعرت بآلام رهيبة -وهي تحترق حية- انتزعت من أعماقها صرخة حادة كادت تمزق أحبالها الصوتية. وكادت تفقد وعيها من شدة الألم لولا علمها باحتياجها لوعيها كاملاً؛ من أجل شفاء جسدها، فإن غابت عن الوعي لم يحدث الشفاء وأصبحت جثة محترقة.

قاومت كما لم تفعل من قبل قَطُّ؛ لتحافظ على وعيها من أجل شفاء جسدها. وكانت على يقين أن حفاظها على وعيها يعني -اختيارياً- الشعور بكل ذرة ألم بكل خلية من جسدها. كان عقلها يكاد يغلي -حرفياً- من فرط مقاومتها للألم، ولكنها نجحت في تحمُّله رغماً عنها، تساعدها غريزة البقاء.

وأقسمت أن تذيب الوحش من صنف العذاب ألوانا مختلفة قبل قتله، وهي تمسح دموعاً سالت على وجنتيها لا إرادياً من شدة الألم

استدار الوحش ليعيد النظر نحو خصمه، كان جسد (نوت) قد أصبح جسدا يموج بالكامل باللهب، ولكن بدأت النيران تخبو لتحل محلها أعضاء جسدها الخارجية كما كانت. زار بسخط وهو يراها تجدد جسدها من جديد، وأعاد هجومه مرة أخرى، عازماً أن يمزق الجسد لأشلاء بعد حرقه هذه المرة. بينما فكرت (نوت) أن هذا الوحش لم يتأثر بعقبها الأسود، لابد أن لديه سلطة من نوع ما على عالم الأثير والانتقال بين الأبعاد؛ لذا لن يفلح معه فخ العقوب الدودية، لذا فكرت في استخدام آخر لهذه العقوب، أكثر أسلحتها مراوغة.

هبط الوحش على سيدة الفلك من علو، نفت نيرانه. خلقت ثقباً أسود جديدا خلفها ثم وثبت بخفة لتخرقه. وبينما يضرب اللهب الفراغ السابق الذي كان يحتله جسد (نوت)، كان ثقب أبيض يتكون خلف الوحش، لتخرج منه (نوت) وهي تدفع قبضتها اليمنى للأمام، فتجذب من السماء كويكبا هائل الحجم، ثم صرخت بقوة وهي تدفع الجرم السماوي بكل قوتها نحو خصمها، استحال الكويكب شهاباً من فرط سرعته متحولاً لكتلة نارية حمراء، زرقاء الذيل. لم يجد الوحش وقتاً لتفاديه. ضرب الشهاب الجسد الضخم، فعوى (خومبابا) بألم وهو يتلقى الضربة الساحقة، فيطير جسده مسافة بعيدة قبل أن يحظ أرضاً بانفجار مدوي، ويستقر بقلب حفرة ضخمة تتناسب مع ضخامته وعنف الاصطدام.

دامت سقطته ثلاث ثوانٍ بالضبط، قبل أن يزأر بسخط وجناحاه

يخفقان فيدفعان جسده الخارق للأعلى. كانت (نوت) تبتسم وقد
اكتمل تشافي جسدها - وإن لم تنس ألم النار الساحق الذي نهش
جسدها- وهي تقول:

لقد بدأ عقابك للتوّ!

الحب الأعمى

كعادته، لم يضيع (نينازو) وقتاً في الحديث أو التحدي، فقط لكز بطن التنين لينقض على أسياذ الصواعق بكل سرعة وعنقوان. كان (نينورتا) و(إينانا) بانتظار هذا النزال المبتور بواسطة (مردوخ) من قبل مرتين. النزال النهائي على حُكم مملكة (بابل) السماوية، النزال الذي أججه النار الدموي المتبادل من الطرفين.

وثب (نينازو) ليقف بقدميه على ظهر التنين، بالتزامن مع سيل النيران التي انبعثت من حلق التنين صوب أسياذ الصواعق. خلق (نينورتا) شبكة من البرق صدت النيران، ولكن لم تكن النيران إلا تمويها مشتتا لانقضاضة (نينازو) الشخصية؛ إذ استغل اندفاعة التنين ليعدو فوق ظهره بضعة خطوات، قبل أن يثب طائرا كرمح متجسد هاويا على خصميه. هجومه المفضل والسريع والمهلك.

اخترق جسده -المدجج بالدروع الحديدية- شبكة البرق، لتفاجأ به (إينانا) يقترب منها بمنتهى السرعة، شاهرا خنجرا حديدا بقبضته. توقف الزمن لدى سيدة الصواعق، تتابعت صور حية متحركة آتية من ركن ذكرياتها المريرة الخالدة.. صورة ل(أنو) وهو يبتسم، ثم صورة له جثة محترقة بقاعة قصره.. صورة ناطقة ل(سرجون) -بطل هالتها الإلهية- وهو يخبرها أن تعق بقدراتها على إطلاق الصواعق، ثم فقدان البطل بغيابات الأثير أثناء قتاله مع التنين حليف أسياذ الحديد.. صورة أخيرة ل(جلجامش) وسلاح سيد الحديد الراحل يجتث روحه.. لقد تسبب أسياذ الحديد بالكثير الكثير من القتل لدى أحبائها، وحان وقت وضع حد لهذه الفوضى من الدم..

تمتت بشفتين متلاصقتين:

- لن يموت أحد اليوم!

تحوّلت لكتلة من الصواعق.. شرارات وبروق وشعلة كهربية فضية ساطعة تموج بانفجارات زرقاء قوية.. ثمّ عن (نينورتا) حركة جسدية تدلّ على همّه بالتحرك لمؤازرتها، وهو يفكر في مدى تعجلها بالبء بالزاجرة.. ولكن تحرك التنين جسدياً ليقف بين سيدي الصواعق، ووجد (نينورتا) التنين (موشوسو) يقترب بوجهه منه حتى شعر بحرارة مصدر النيران الداخلية بحلقه تتأهب للاشتعال.. ولكنه لم ينفث أي لهب، واكتفى بالوقوف حائلاً جسدياً رهيباً بينه وبين شقيقته.. خلق (نينورتا) سيفاً من الصواعق فسارع التنين بلطمه بذيله ليلقيه بعيداً.. كان (نينازو) الآن قاب قوسين أو أدنى من إصابة جسد الصواعق المندفع نحوه بخنجره الحديدي، وانقبض قلب (نينورتا) وهو لا يدري إن كانت مقامرة (إينانا) مامرة أم لا؛ فلا أحد يعلم هل الحديد قادر على اختراق الصواعق أم لا.

لم تشعر (إينانا) بذرة خوف واحدة، بخلاف الانقضاضة الأولى السابقة للمحارب الحديدي عليها والتي جعلتها ترتجف من الرعب. بل قابلته بانقضاضة مماثلة بقوتها الأسمى. تحركت نحوه لتتقلص المسافة بينهما. ولم يغمرها إلا الحنق والرغبة في استئصال شأفة أسياد الحديد وقطع دابرهم للأبد من الوجود. وجدت نفسها تصيح بلا صوت. بينما كان (نينازو) صامت مكتفي بحبس أنفاسه بمنتهى التركيز.

لطالما كانت الحرب أشبه بممارسة الرياضة بالنسبة لـ(نينازو)،

يحارب -دومًا- بدون الشعور بأية ضغوط، يستمتع كلما كان خصمه أكثر قوة أو ذكاءً، فينال متعته القصوى بهزيمته. ليس الفوز هو هدفه بقدر ما كان القتال نفسه هو ما يبحث عنه. يكره السلام كرهه لقتال الضعفاء، في الواقع لا يشعر إلا بالكره دائمًا، ولا يعتقد أنه شعر بأية عاطفة إيجابية طيلة حياته باستثناء لحظات رؤيته لطيف والدته. لذا، كانت هجماته قوية وسريعة بتأثير المقت والبغضاء للحياة بشكل عام، كان يكره حتى الهواء الذي يتنفسه. وهو ما جعله وحشًا لا يعيش من يواجهه ليحكي ما عاناه من فزع قبل أن يموت شرمية.

أما عن (إينانا)، فرغم أن الانتقام كان ما يحركها، ولكنها لم تشعر إلا بالحب الغامر يكتنفها في هذه اللحظة، حب جدها الحكيم وبطليها المخلصين شديدي البأس. حبها لمن فقدتهم هو ما أعطاهم القوة لتهاجم بدلا من الشعور بالخوف أو حتى الاكتفاء بالدفاع ضد هجوم مخيف ومهلك حقا مثل هجوم سيد الحديد والذي يخشاه كل الأسىاد. لم تكن من محبي الحرب والقتال يوما حتى ولو فُرض عليها، تفعله مضطرة كواجب كربه لابد منه. ولكنها لم تكن متضررة الآن وهي تقابل هجوم (نينازو)، لم تكن تشعر بأنه قتال، كانت تشعر بأنها ترسل برسالة لكل من فقدتهم على يد أسىاد الحديد، رسالة مفادها لن ولم أنساكم.

كان انفجارًا أعمى الأبصار. كان التنين واثقا في قوة سيده فلم يلقي نظرة للخلف ليرى نتيجة الهجوم، بعكس (نينورتا) الذي شعر بالفزع وهو ينقض على التنين محاولا إزاحته، ليرى نتيجة اصطدام سيد الحديد مع سيدة الصواعق، اصطدام البرق والحديد.

تحرك نحو التنين بيدين يحملان دوامتين من البرق، خفق التنين بجناحيه ليعكّر تماشك الأثير، تبعثرت دوامتي الصواعق ولكن حافظ سيد الصواعق على تماسكه الفيزيائي وهو ينقض جسديا على التنين، ويميل جانبا بمرونة ليبتعد عنه بنصفه العلوي، بدا وكأنه يهرب، ولكنه أدار ساقه اليمنى للخلف وكأنه يود إلقاء ركلة بكاحله في الفراغ. انبعث من قدمه لسان محدود من البرق، سوط من البرق كما رأى شقيقته تخلقه عدة مرات، فبوغت التنين بهذه الهجمة المراوغة، وضربه السوط على وجهه فأعماه مؤقتا، وشعر بدمائه الصفراء تتبعثر في الفضاء حوله، دماء مصدرها جرح طويل نال من وجهه وأحدث شقا عميقا طويلا نازفا بين عينيه. ولما تجاوز (نينورتا) التنين ألقى نظرة سريعة على موقع تصادم البرق والحديد. فارتجف لِمَا رآه، وعبس لتكفّهز السماوات بانفعاله.

شعرت (إينانا) بجسدها المتسامي يخرق الحديد، ثم يخرق الجسد، لينتهي كل شيء في أقل من ومضة. استعادت جسدها، فوجدت (نينازو) وقد تهتكت دروعه، وصار جسده مرتعا لجروح نافذة عديدة قاتلة. أيقنت أنها تنظر الآن لسيد يحتضر. ولكنها رأت شبح ابتسامة على شفيتين وسط الوجه عديم الملامح والذي استحال كتلة من دم أصفر وأنسجة مُخْتَرِّقة لحد عظام الجمجمة. أكبر ابتسامة ربما لسيد الحديد في حياته، والتي كانت أثناء مماته.

مع مغادرة روحه لجسده، تناثرت أفكاره في الأثير لتصبّ كلها في عقل (إينانا). كان يقول:

- لقد حانت ساعة راحتي الأبدية.. كم أنا سعيد لكونها جاءت على

يد سيد سماوي جبار، سيدة صواعق، الخصم الوحيد الذي قابل هجومي بهجوم مماثل بدون أن ترتجف ببدنه شعرة واحدة. لك أن تفخري بلقب السيدة التي قتلت سيد الحديد مروض التنين.

وجدت (إينانا) نفسها تهمس عبارتها المعتادة:

- لا يوجد فخر في الموت ولا القتل.

خبت نبرة صوته حتى كادت تختفي وهو ينهي كلماته:

- لقد أعماك الحب يا سلية (أنو).. لم أنو قتلك؛ لِمَ أقتل سيدة الصواعق وقد قتلت سيد أسياد الصواعق بذاته من قبل؟! لقد قتلت الكثيرين حتى صار القتل مملا حقا.. لقد فعلت لك ما هو أشد من الموت وأكثر تسلية لي خلال آخر ثواني في حياتي المجيدة.. قَتَلْتُكَ حية!

اقشعر جسدتها.. غامت الدنيا أمامها.. لاحظت أنها لم تر الخنجر بيد (نينازو).. لاحظت أنه قذف الخنجر بالفعل، ولكنه لم يقذفه نحوها أبدا.. لم تجرؤ على التفكير في المعنى الوحيد لكل هذا. لقد كانت هي هدف هجومه؛ الوصيفة!

أدارت سيدة الصواعق رأسها ببطء رغم يقينها بما ستراه، كانت (نينشوبور) ملقية على ظهرها أرضا كما وضعتها (إينانا) ببء النزال، ولكنها كانت غارقة في بركة من الدماء، وخنجر سيد الحديد مغروز حتى المقبض بصدرها..

لقد ماتت (نينشوبور)!

التفتت (إينانا) نحو التنين بعينين تريان كل شيء بلون أسود..

شعرت بالكراهية -أخيرا- تطغي عليها.. كان (نينورتا) يضرب التنين بسيل من الصواعق فيصدها التنين بنيرانه.. قالت ل(نينورتا) وهي تقترب من (موشوسو)، وقد صار وجهها الجميل قبيحا لوهلة من فرط الاكفهار:

- إنه لي.. وحش سيد الحديد الأثير.

تراجع (نينورتا) خائفا مما سيحدث الآن، خائفا على شقيقته، وخائفا منها!

كان هدير التنين صاخبا.. ترك (موشوسو) العنان ليقوده المنتقم؛ لا تجب الكراهية السوداء إلا كراهية سوداء مماثلة.. خفق بجناحيه وهو يدور في حلقات، خلق أثيرا مطلقا وركزه على جسد (إينانا)، وضغط على جسدها قاصدا تمزيقه.. أضاء جسد (إينانا) كنجم ساطع وهي تفرد أطرافها الأربعة، خالقة من جسدها موجات من البرق دائرية ظلت تتسع باستمرار. قابلت الهجوم بهجوم مماثل كما فعلت مع (نينازو). تمزق الأثير المظلم ذاته، سارع التنين بنفث نيرانه تجاهها ليوقف هجومها، تبعثرت النيران إثر قوة هذا البرق الراجف، قبل أن يدوى رعد هادر لحق بموجات البرق الرهيبة.. كان هجوما فريدا على جسد التنين من برق ورعد، لم يختبر هذا من قبل، لم يختبر أي كائن حي هجوما ساحقا مثل هذا.. حتى (نينورتا) ذهل من قدرة (إينانا) على خلق هجوم مدمر يمتزج فيه البرق والرعد.. كان هجوما استثنائيا لم يخلقه سيد للصواعق من قبل.. لم ينجح جسد التنين في تحمله، وعوى بألم ورعب وموجات الصوت الرعدية الفائقة تمزق أعضائه الداخلية، في حين يقطع البرق جسده

الخارجي.. كان موثًا سريعًا ومؤلمًا لأقصى درجة.. وسقط جسد
التنين الهائل بعد أن تمزقت أوصاله لتفترش رمال الصحراء الذهبية،
معلنةً انتهاء حقبة أسياذ الحديد، ولكن على حساب الكثير من الدم.

مجرد وحش

أمسك (نينورتا) بيد شقيقته دامعة العينين. لاحظ تجاهلها التام لإعادة النظر نحو جثة وصيفتها. ضغط شفثيه على بعضهما البعض بانفعال وهو يهمس لها:

- لقد انتهت حربنا وثأرنا الفئيم. هذا كل ما يهم الآن.

التفتت نحو الوحش (خومبابا)، والذي كانت (نوت) تنقض عليه الآن. قالت بإنهاك:

- أيجب أن نقتل وحشها الأليف أيضًا؟

نظر نحو (خومبابا)، الوحش المجنح قبيح الوجه هائل الضخامة. الوحش الذي أنقذ حياته مرتين على الأقل من قبل باستدعاء (نينشوبور) له. كان الوحش يتأهب للانقضاض على (نوت)، التي كانت تخلق كيائين جامدين عن يمين وعن يسار الوحش.

أجاب (نينورتا):

- لم يعد أليفها، لقد اجتمعت السيدة (إرشكجال) الروح الداخلية التي تألفت مع (نينشوبور)، كما فقد الروح الخارجية -روح (نينشوبور)- والتي أعطته دافعًا للحياة بخلاف الانتقام وسفك الدماء. إنه -الآن- مجرد وحش لن يُعجز سيدة الفلك إنهاء وجوده.

تجسدت مجرة هائلة عن يمين الوحش بدت أشبه بعين محدقة ضخمة سوداء تدور حولها أجرام ملونة براقعة. وعن اليسار مجرة أخرى حلزونية، نواتها مظلمة وتدور حولها أذرع دموية حمراء تغص

بالأجرام. كانت سيدة الفلك تضم ذراعيها فتقترب المجرتان من بعضهما البعض. تجمّد الوحش من قوة الجاذبية المتنافرة للمجرتين والتي بدأت تسحق جسده من الجهتين المتضادتين يمينا ويسارا، قوة شلت جسده وأعجزته عن التحرك من مكانه رغم تسارع خفقان جناحيه. رفع عقيرته مطلقا النيران تعبيرا عن غضبه ويأسه.

قالت (إينانا) بهدوء مثير، بينما تنطبق المجرتان على جسد الوحش ليدوي انفجار كوني ساطع، مرق جسده الهائل لأشلاء متطايرة، وخلق نافورة من كل الألوان انعكست على وجهها، كما انعكست على جدران الأهرام الثلاثة فجعلتها تتألق:

- كانت قوته في اتحاد الروحين معا، ولكن كان تفرده في روح (نينشوبور) التي أرشدت الروحين للخروج من ظلمات نفسه اللوامة الملول. لا يستطيع الوحش وحده الصمود في هذا العالم. لقد ظلمته (إرشكجال) بما فعلته؛ جردته من أسباب قوته وتفزده. صار ضعيفا؛ مجرد وحش.

نقل (نينورتا) نظره للنزال الأخير القائم بين (أتوم) و(مردوخ)، سيد (كيميت) السماوية الأول وسيد (بابل) السماوية الطافر. وقال مركزا نظره على (مردوخ):

- وربما خدعت سيدة الجحيم السيد الطافر، نفذت له وعده بما يضمن لها فشله. ربما في الأخير (مردوخ) ليس أكثر أسياد عالمنا السماوي مكرا.

قالت بإيجاز، وهي تتجه نحو النزال الأخير بين السيد الطافر البابلي والسيد الكيمتي الأول، بدون أن تترك يد شقيقها:

- أتمنى هذا!

سلسلة من دم

فكر (مردوخ) في استخراج سيفه من بين الطيات الملتفة لجثة المعبان الضخمة المنطرحة أرضاً، عندما باغتته اللظى. كان الارتجاج عنيفاً. ولكن بخلاف تأثير نفس الهجوم بأول النزال لم يكن الضرر عنيفاً؛ تلقت الدروع السوداء أغلب الصدمة، ورغم أن جسد (مردوخ) كان يشتعل حرفياً، ولكن لم يصبه أدنى ضرر. بينما فوجئ (أتوم) بجسده يرتد للخلف بمنتهى العنف من أثر الدروع السوداء، وعاقود التجشّد وهو ملقي أرضاً يلهث، يفكر في مدى قوة هذه المادة التي نجمت عن تحوّل أجساد كهنة النار الحية لأسلحة مادية.

والأدهى هو خسارته للمعبان ملك الشواش، والتي لن يجعلها تضيع هدراً، فلن يسمح ل(مردوخ) باستعادة سيفه. وإن تعجّب من سرعة رد فعل خصمه التي مكنته من اغتيال المعبان بمنتهى السرعة بدلاً من الذهول بتواجده.

بدأ التنين الناري يتلاشى، وشعر (مردوخ) بثقل دروعه السوداء يصبح أكثر خفة بعد امتصاصه لتيّران التنين وانقضاة اللظى. وأيقن أن طول فترة النزال سينتهي بزوال هذه الدروع، والتي لولاها لكان جثة منذ أمد. رأى بطرف عينه (أتوم) يحلق بسرعه القصوى نحو جثة المعبان. إنه يسعى نحو السيف الذي تحتضنه الجثة الطازجة. فكر (مردوخ) أن هذا السيف سيكون سلاحاً رهيباً في يد (أتوم)، لذا سارع باستخدام (مردوخ) أحد السلاحين الهجوميين هدية كهنة النار: دوامة اللهب الأسود.

قذفها نحو (أتوم). بوغت السيد الأول بالمادة السوداء -والتي

نجحت الدروع المصنوعة منها في صد أقوى هجماته بسهولة- تهجم عليه جسديا في شكل دوامة دخانية صامتة قبيحة. احترمها هذه المرة؛ فما زالت ذكرى ارتداد انقضاضته عن الدروع تؤلمه جسديا. خلق وهجا شمسيا يغص بالعواصف الملتهبة. هنا، بادره (مردوخ) بقذف الكرة السوداء -هدية كهنة النار العانية- فتحركت بانسيابية ككيان كروي دخاني، انساب بسرعة جنونية مستهدفا جسد (أتوم).

كان جسد (أتوم) بالفعل يرتد للخلف جزاء اصطدام الدوامة السوداء ب صدره؛ إذ لم تستطع عواصفه الشمسية صدها بشكل كامل، مكتفية بتخفيف وطأة هجومها. فكانت الضربة مزدوجة، ضربتان متتاليتان بأسلحة مادة كهنة النار السوداء. انشق صدر (أتوم) وتفجرت الدماء الصفراء كالشلال من أحشائه. كان متسع العينين بسخط أكثر من الألم وهو يسقط أرضا محتضرا، لم يتوقع أن يموت في هذا النزال!

زفر (مردوخ) بضيق وهو يحلق متجها نحو جثة العبدان ليستخلص سيفه الأسود، لقد خسر الكثير من أسلحته في هذا النزال، ولا يبدو أن القادم سيكون أقل صعوبة. بوغت ببريق الصواعق أمامه فتراجع بحذر؛ كانت (إينانا) تلتقط السيف بطرف سوط من البرق، ثم تقذفه لتلقطه (نوت) بمهارة. بينما قال (نينورتا) بشماتة:

- لقد خسرت كل جيشك وانتهى أمرك، وماتت أحلامك العفنة باحتلال هذا العالم!

زمجر (مردوخ) بغضب خفيف ظاهر يموج باللامبالاة، بينما كان

يغلي من السخط داخليا. كيف انتهى بهذه السهولة أمر سيد الحديد وتنينه، وكذلك الوحش الجبار الذي بعثته (إرشكجال) من الجحيم؟! هل كان هو الوحيد الذي حارب بكل قوته؟ أم أن خصومهم كانوا أشد منهم قوة وقسوة ورغبة في الانتصار؟! ولكن هناك خصم أقوى من السيد الأول (أتوم)؟!

قال وقبضتاه تلتمعان ببريق من شرارات فضية:

- يجب أن أحسم الأمر بنفسي.. لا بد أن أفعل كل شيء بيدي!

أقلت (نوت) نظرة آسفة على جسد (أتوم) وهو يلفظ آخر أنفاسه، وأغمضت عينيها للحظة باحترام وهي تضم قبضة يمينها لصدرها. لقد كان الأب الروحي لها، ولا تشك لحظة أنه قاتل بشرف وقوة، كما لا تشك أن (مردوخ) فاز بمكره أكثر مما فاز بقوته.

تابعت (إينانا) البريق الفضي باهتمام، ثم لمعت عيناها بفهم وهي تتذكر اللحظة التي كان الملك (حمورابي) يحتضر بعالم البشر، حينها كانت تنتظره بتأهب لالتقاط هالته الإلهية. كانت على يقين حينها أن بطلا مثل سيمتك مثل هذه الهالة، والتي لا توجد إلا لدى الأبطال من البشر، وتظهر للوجود فقط بموته. صدق حدسها، ولمحت الهالة الإلهية تفارق روحه كخيوط من الفضة. ثم زمت شفيتها مع تذكرها لتدخل (مردوخ)، الذي كان يتربص لخروج الهالة بدوره بدون أن تدري أو تراه. لم تكن تعرفه حينها أو تدري بوجوده من الأساس.

اختطف السيد الطافر هالة (حمورابي) منها ليمنعها من التقاط الهالة الثالثة، ثم أتبع هذا باختطافها هي شخصيا بقصره بعالم (بابل) السماوي، تمهيدا ليقوم ساحره الأعظم (النمرود) باستجوابها

واستخراج الهاليتين من بين يديها. كان هذا قبل أن يتدخل (نينورتا) ووصيفتها وينقذانها من بين برائنه بمعركة قمة الزقورة، وتنتهي المواجهة باغتيال (النمرود) على يد (نانشي) عشيقة (نينورتا) البشرية، فينتقم (مردوخ) بذبح عنقها أمام عيني (نينورتا). الموت الذي أسفر عن تحولها لهالة إلهية اندمجت ب(نينورتا)، فقط لتقوم سيدة العقارب بقتل هالتها الإلهية فيما بعد بمعركة أجراس الرعد. يا لها من سلسلة عنيفة ومؤلمة من القتل المستمر من الطرفين! ولكن لابد لكل هذا الدم من الانتهاء، والآن.

تجسدت الهالة الإلهية ل(حمورابي) بين يدي (مردوخ)، جسدا ضخما يناهز حجم السيد الطافر، وجه قاسي الملامح لا يخلو من وسامة، وكان شعره المجدول ينسدل حتى قدميه. وكان جسده كله يتألق بلون أحمر خفّاق. وكان له زوج من الأجنحة المكونة من الشعر المجدول حالك السواد، خفق به لينتقل لأعلى ويقوم بدراسة الموقف كله بهدوء وتركيز. فقاطع تركيزه انفجار مفاجئ بجانب (نوت)، ظهر بعده السيد الكيمتي الحيواني (ست)، وعلى عنقه تستقر أفعى ذهبية لا تكف عن التلوي حول نفسها. وكان يقول بلهجة خشنة:

- سأكون أنا من يحسم هذه المعركة وأعوض فشلي السابق في اغتيال (أوزيريس)!

نظر الجميع نحوه نظرة سريعة وكأنّ المفاجآت لم يعد لها نفس القوة المعتادة، وحدها (نوت) لم تفعل، وغمغمت وهي تلوح بسيفها الأسود نحو (حمورابي):

- مسخ جديد.. ألا يحارب هذا السيد البابلي وحده لمرة واحدة؟!

نظر (حمورابي) نظرة مطولة على الوافد الجديد (ست)، ثم ثبّت نظراته على سيف (نوت) الأسود طويلاً، وكأنه يدرسه، أو معجب به. ثم غمغم بصوت رخيم:

- هذا سيف كهنة النار، السيف الأسود، بقبضة سيدة فلك، لا إنها سيدة الفلك لا مجرد سيدة فلك. وهذان آخر أسياد الصواعق، ومنهما السيدة التي كانت تمتلك هالات إلهية من قبل، والتي وصلت الآن لحالة جسدية ونفسية من القوة التي لم يصلها سيد صواعق من قبل قَطّ، ولا حتى (أنو) المهيّب نفسه. وذاك الوافد الجديد يبدو قريبًا للسيد (نينازو) بعالمنا. هناك جثث لكثير من الجبارين بالمكان، لقد كانت خسارة كبيرة للعالمين كله في فترة قصيرة جداً، خسارة يستحيل تعويضها.

غمغم (مردوخ):

- يستحيل ولكنه سيحدث. مسألة وقت لا أكثر.

حسم (حمورابي) أمره وقال:

- لهذا ستنسحب الآن!

نطقت ملامح وجه (مردوخ) بكل الحنق وهو يصيح:

- استدعيتك لتقاتل لا لتتفوه بالترهات ثم تنسحب!

- حديثي لا يخلو من منطق ومن حساب للمكاسب والخسائر المحتملة.. أملنا في الانتصار ضعيف.. ربما لو اخترت بعث السيد

المناسب من عالم (بابل) السفلي لاختلف الوضع، كان بإمكانك اختيار سيد الشمس أو جبار الماء، سيد الجليد كان ليكون حاسما في نزال ضد السيد الكيمتي الأول التي استنزفك وجعلك تستخدم كل كهنة النار.. سيدة العقارب حتى أو سيد القمر.. لم تقم باختيار إلا وحشا همجيا تم سلبه مصدر قوته.

- فعلتها لأدمر أسياد الصواعق نفسيا؛ لقد كان حليفهم!

- هذا ما نفتته السيدة (إرشكجال) -بخبث- بمنايا عقلك؛ إنها لا تريد خسارة الأفضل من عالمها بكل تأكيد؛ تعتقد أنه قد يأتي وقت وتحتاج القوي منهم لأي سبب مهما كان.. وكانت على يقين أن ابنها أخر أسياد الحديد سيزورها زيارة إجبارية في نهاية هذه الحرب الشرسة.. لست وحدك من كان يخطط لجمع الجيوش!

قال (مردوخ) بعناد:

- يبدو أنك لا تعلم ما فعله كهنة النار، لقد جعلتهم -أثناء المعركة فوق بوابة (أطلانتس) ضد سيد الريح- يحرقوا عالم (كيميت) العلوي عن آخره ويبيدوا كل قاطنيه من العامة! لقد بدأ انتصارنا بالفعل!

شهقت (نوت) لِمَا تسمعه، تدمير العالم العلوي ل(كيميت) والذي لا يحتوي إلا العامة من بعد معركة العروش الخاوية. هذا سيء للغاية. ثم توقفت عن التنفس للحظة. لقد ذكر أن سيد الريح -والدها السيد (شو)- قد خاض معركة، وهي التي كانت تعتقد أنه لم يشارك بالمعركة حتى الآن مثله مثل (ست) ينتظر الوقت المناسب.

كان (حمورابي) يردّ على سيده بلهجة باردة:

- تدمير عالمهم العلوي لا طائل منه. لقد أكثرت من سفك الدماء غير المطلوبة لكسب الحرب. لم تكسب إلا تأجيج النار في صدور خصومك وجعلهم يقاتلون بقوة أكثر. ثم -والأكثر أهمية- إن مصدر قوتهم كله بعالمهم السفلي. ليس لديهم سيدة واحدة فقط أمرة ناهية كجحيمننا السفلي، بل لديهم خماسي من أسياد السحر هم الأعتى في الكون كله. وإن ظهرُوا الآن -وأجزم أنهم يراقبون بالفعل- سيكون وجودك حيًا تتنفس مسألة وقت لا أكثر! لم يرسلوا إلا كشافتهم إن جاز التعبير!

تهدل كتفا (مردوخ)، وقال بيأس:

- لا زلت أحتفظ ب(آشور) كسلاح خفي أخير.

أطلق (حمورابي) ضحكة ساخرة تعجّب لها جميع الموجودين، قبل أن يقول بعينين جاحظتين:

- لقد فعل (آشور) بك ما فعلته ب(كيميت) العلوية، من شابه قائده ما ظلم! لقد انسلّ عائدا لمملكة (بابل) السماوية وحرّق كل مدنها، بدءًا بمدينتك (بابل). في الواقع لم تعد هناك مدينة قائمة على عروشها بكل المملكة السماوية سوى مدينة (آشور) فقط، يمكنك تسميتها مملكة (آشور) السماوية الآن. حقبة جديدة استحقها (آشور) بجداره وبدون أن يسفك دما أو يصاب بخدش، لقد كان يماطل الجميع منذ البداية، كذب على جميع الأسياد من أجل تحقيق هدفه النهائي. يجدر أن تتعلم منه إن أردت أن تكون ماكزًا منتصرًا لا ماكرا مدحورا!!

ثم أضاف ناظرا لخصومه شذراً:

- عذرا على هذا الخبر المفجع، ولكن يبدو أنه لا يوجد منتصر ها هنا.. لقد خسر الجميع!

قال (مردوخ) وهو يستعيد همته للقتال:

- هذا لا يعني أنه لا يوجد طريق للعودة، لنقاتل ونرسل معنا عددا كبيرا منهم للجحيم!

قال (حمورابي) مستعيدا هدوءه:

- ولماذا لا تذهب للجحيم وحدك يا سيدي؟!

- هل تجرؤ؟!

- تمهل.. أتحدث بمنتهى الجدية.. لم يعد لديك حليف سوى سيدة الجحيم البابلي، وهي حليف لا يستهان به. حليف قادر على دك هذا العالم الكيمتي السفلي إن أرادت وغيّرت من سياستها العادلة! وستجد هناك -بعالمها- كل من لقي حتفه من الأسياد من فريقك.. سيكون لم شمل لطيف حقا.. أعتقد أنه قد تكون للقصة بداية جديدة يوما ما.. بداية أفضل كثيرا وأكثر مهارة مما فعلت أنت.. أصدقك القول، لا تصلح قائدا، أنت لست إلا محارب قوي ماهر سيء التخطيط؛ تميل للدموية على حساب تحقيق هدفك الأسمى.. ستقوم السيدة (إرشكجال) بتقويمك وتوجيهك بحسب ما يقتضي الموقف لا بحسب ما تريد غريزتك السادية.

همس (مردوخ) بخشونة وهو يعيد (حمورابي) لمكمنه:

- هذا مهين!

أضاف (حمورابي) بمكر هامسًا بما لم يسمعه غير (مردوخ):

- كما أن الميزة الحقيقية أنه لا سلطة ل(إرشكجال) هنا. إنها لا - ولن- تعرف حرفًا عما يحدث الآن. بإمكاننا ادعاء أن طرف ثالث قام بالظهور وقلب ميزان المعركة. بل وكان هو السبب في اغتيال ابنها. طرف نريد غزوه في النهاية، ولم يكن كل ما حدث ب(كيميت) من مجازر إلا خطوة استباقية لاستعمارهم. (أطلانتس). وبهذا نكون قد أجبنا نيران انتقامها - كسيدة العالم السفلي وكأم أيضًا- من العالم الذي نريده بالفعل كهدف لا مجرد وسيلة.

يبدو أن منطق (حمورابي) قد راق ل(مردوخ)، فقد انتزع خوذته السوداء، وابتسم بإنهاك بوجه شبه محترق من أثر هجمات (أتوم)، قائلاً متوعدًا:

- سنلتقي قريبًا.. قريبًا جدًا.. سأحرص على هذا! وستكون ملحمة حقيقية يا حماة (كيميت)، ملحمة جحيم!

ثم وثب ليختفي بقلب دائرة قرمزية سحرية، وهو يفكر أسفًا أن النتائج قد تكون مختلفة تمامًا إن استعان بالماكر (حمورابي) منذ البداية. ما الخسارة والنصر إلا نتاج خياراتنا منذ البداية.

عم المكان هدوء يفوح برائحة دماء طازجة، وهدأت ضربات القلوب التي كانت على وشك الاشتباك في نزال جديد. أمالت (نوت) سيفها للأسفل حتى لامس طرف نصله الرمال، صفرت الريح وكأنها تستحث أحدهم للحديث، وضربت الرمال الصفراء الوجوه لتعيدهم

للوّاقع الذي يقول إن الحرب انتهت. قال (نينورتا) محاولاً التعبير عن أفكاره بصوت مرتفع:

- لقد هزّمنا (آشور) جميعًا! لم يعد هناك أحد لنحكمه بعالمنا!

لم تبدو (إينانا) أنها سمعته، كان جزء كبير من ذهنها وبالها يتألم لفقدان وصيفتها، وجزء آخر لا بأس به يفكر في رحلة طويلة ومؤلمة لأهلها وعامتها في مملكة (بابل) السماوية، تتخيل (الوركاء) و(نيبور) وقد صارت كل منهما أثرًا بعد عين. ووجدت نفسها تفكر أن الخطوة القادمة المتوقعة من أسياد الصواعق هي الهجوم على (آشور). حرب جديدة، وأبرياء سيلقون حتفهم من العامة بأعداد غفيرة. نفخت بضيق وهي تشعر بكل جزء من جسدها يصيح من التعب واليأس، وقالت ل(نينورتا):

- لا مزيد من الموت والقتل! لم أعد أريد أن أصبح ملكة! لقد كرهت الحكم وما ينال مالكة من تعقيدات لا تنتهي، أو تنتهي كلها بالدم! لم تكن (نوت) تفكر إلا في شيء واحد. تساءلت -بدورها- وكأنها تتحدث مع نفسها:

- سيد الريح.. أين هو؟

أجابها (ست) بغلظة:

- ألم تدري؟ لقد قتله سيدا الصواعق هذان قبل أن ينضما لحلفنا!

اتسعت عيناها بذهول. ثم نظرت نحو (إينانا) و(نينورتا) بمقت لا متناهٍ، وتألّقت عيناها بلون السماء وهي تردد:

- قتلتماه؟! قتلتما أبي!

شهقت (إينانا)، وشعرت بدوار يكتنفها، بينما غمغم (نينورتا) بسخط:

- اللعنة! ألن تنتهي سلسلة الدم هذه أبدًا؟!

رفعت (نوت) سيفها الأسود بيمنها، تجسد فوق رأسها عديد من العقوب السوداء، وحزكت أنامل يسراها لترتجف نجوم السماء في انتظار الأمر بمغادرة أفلاكها واتباع فلك سيدتها. تأهب (ست) وشد جسده ورفعت الأفعى رأسها منتصبه بحركة حادة وتراقص لسانها المشقوق وكأنها ستبادر ببث سمها. تراجع (نينورتا) بحذر، في حين تجمدت (إينانا) بمكانها مغمغمة:

- لا يوجد مكان لنذهب إليه الآن.. خذي بعارك المستحق!

أضاء الهرم فأحال حلقة الليل نهارًا مقيما.. خبت إضاءته بالتدرج مع تنزل ملك (كيميت) السفلية ومليكته - (أوزيريس) و (إيزيس) - من فوق قمة الهرم. اقترب الاثنان ببطء ولكن بحزم من الحشد المتأهب للقتال وسفك الدماء. قال (أوزيريس) بمجرد اقترابه من بما يكفي:

- لقد أدبتهم المهمة على أكمل وجه ونجحتهم في طرد الغزاة. حزين لخسارة عالمنا العلوي، وحزني أكثر لخسارة جدي (شو) وصديقه (أتوم) رغم خلافاتنا السابقة الجوهرية، ولكني أدين لهما ببقاء عالمنا السفلي.

قالت (نوت) ببرود:

- لقد مات أبي من أجل أن لا يصيبك خدش، أيها الابن الجاحد!

رددت (إينانا):

- ابنك؟ ما هذا العالم العجيب؟!

قال (أوزيريس) بلهجة فيها من الحزم الكثير:

- ثارك بيدك، إن أردت أخذه فلن يمنعك أحد.. ولكن إن فعلتها فكوني على يقين أن روحك -التي كانت من متمردي التاسوع- لم تتطهر بعد، وأن خسارة جدنا وسيدنا الأول راحت هباءً. الجد (شو) والسيد الأول (أتوم) حماة عالم (كيميت) السفلي كما سيقال عنهم في تاريخنا للأبد، بينما لن يتذكرك التاريخ إلا كغازية لا تختلف كثيرا عن ذلك السيد الطافر وجنوده! اعف عنهم وستنضمي لنا -وشقيقنا (ست)- في حكم العالم. إنه خيارك.

قالت (إيزيس) بهدوء وبلهجة عذبة ونظرات حزينة:

- فكري في الاختيار الذي كان (أتوم) سيقوم به إن كان مكانك؛ لقد كان أكثر أسياد (كيميت) حكمة في تاريخها، وتحول من قائد لمتمردي التاسوع لأعظم حماة العالم. بإمكانك إنهاء سلسلة الدم الطويلة شديدة الوطء بين العالمين.

أخذت (نوت) نفسًا عميقًا.. قالت بحدة:

- هذا ليس عدلاً!

ولكنها قرنت كلماتها بأن رمت سيفها أرضًا، وتركت نجومها تعود لفلكها الأزلي. وكانت تبكي بصمت.

قالت (إيزيس) بحنان غامر:

- الحياة ليست عادلة يا أماه.

ثم اتجهت نحوها، غاب الاثنان في عناق حميم كلتته الدموع
الدافئة. عناق أم وابنة طال انتظاره منذ قرون.

قرينتان

- أنتِ (إيزيس) إذا؟

- وأنتِ (إينانا)، سيدة الصواعق الشهيرة.

- كلماتك - التي أنقذت حياتي - مسّت وتراً حزينا كاد يتهتك بداخلي. لماذا كل هذا الدم حقا؟! تبدين كملكة لا أقل.

- وأنتِ ملكة بالفعل.

- لم تعد لي مملكة.

أمسكت (إيزيس) بيدي (إينانا) وضغطت عليها ببطء. منحتها ابتسامة الشقيقة لشقيقتها وهي تسألها:

- لتبقى معنا. عالمنا يرحب بك. لقد ساهمت في بقائه بالفعل.

أجابت (إينانا) شاردة:

- لم أنقذه بإرادتي، كما أنني لم أخترقه غازيةً برغبتني أيضاً. يبدو لي أننا لا نفعل شيئاً برغبتنا سوى الموت.

- الحياة معقدة بما يكفي، لا تزيد عليها تعقيداً. عليك واجب أكثر صعوبة بكثير مما فعلته أُمي (نوت) معك. لقد سامحتك (نوت) بصعوبة، ولكن عليك الأكثر صعوبة وهو أن تسامحي نفسك.

- صعب كمثل صعوبة فهم المغزى من الحياة.

سألتها (إيزيس) بشفقة:

- أين ستذهبين إذا؟

أجابت بعينين تنظران نحو (إيزيس) ولكنها تتجاوزها ولا تراها:

- عالم آخر.. عالم جديد.. سأبدأ حياة من الصفر تخلو من اللون الأحمر تمامًا. عالم لن أكون ملكته، ولكني سأكون ملكة نفسي.

ابتسمت (إيزيس) وعيناها تترقرق بالدموع:

- تجيدين التنقل بين العوالم..

- منذ الصغر..

وتذكرت بحنان جارف أبيها الذي حرص على تنمية هذه الموهبة لديها..

قالت (إيزيس):

- في هذا أنا قرينتك.. ولكن أخي (أوزيريس) يخاف أن يصيبني أذى.. لذا فأنت -مقارنة بي- حرة.. أنا سجينه هذا العالم رغم قدرتي على زيارة كل ما أريده من عوالم..

- ولكن وجوده يكفيك..

- (أوزيريس) هو عالمي..

نظرت (إينانا) نحو (نينورتا)، الذي كان يراقب حوارهما بصمت.

قالت مبتسمة:

- وأنا أيضا لدي عالمي. فبغض النظر عن العالم الذي سأختار استكمال حياتي به، فوجود (نينورتا) لم أخسر شيئا يستحق الندم.

تمت بحمد الله.. ٢٠٢٣-٨-١٩